المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه
التعليم الموازي



منهج الشنقيطي في دفع توهم التعارض والاختلاف من خلال كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"

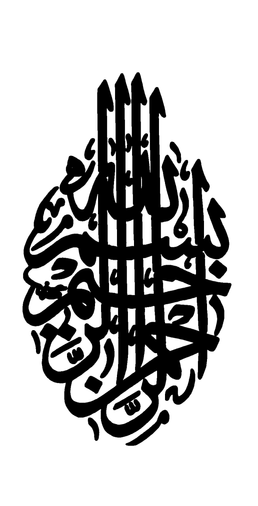
بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه

إعداد
نادية بنت إبراهيم بن عبد الله المفرّج

إشراف
د. إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي

١٤٣٧-١٤٣٨هـ



المقدمة

وتشتمل على:

- أهمية البحث وسبب اختياره.
- أهداف البحث.
- حدود الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وسلم تسليما كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من أعظم النِّعم على الخلق، أن أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل عليهم الكتب، وختم برسولنا محمد ﷺ.

فبلَّغ رسالة ربه أحسن بلاغ وأتمَّه، وبيَّن ألفاظ القرآن ومعانيه، فأخذ عنه الصحابة رضوان الله عليهم؛ حتى كانوا أعلم الناس بكتاب ربهم، ثم أخذ عنهم التابعون، ثم أتباع التابعين، ثم من جاء بعدهم.

وإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وأفنيت فيه الأعمار، ووُجهت إليه الهمم كتاب الله تعالى، الذي هو حبل الله المتين، من تمسك به هُدي، ومن اهتدى بنوره رَشد، ولقد كان محل العناية به من هذه الأمة منذ نزوله على محمد ﷺ إلى وقتنا هذا.

وقد تكفَّل الله بحفظه دون غيره من الكتب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

وأمر تعالى بالتمسك به واتباع ما جاء فيه، فقال عز وجـــلّ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف:٣].

فالسعيد من تمسَّك به، واتعظ بآياته، وجعلها منهاجه وإمامه في حياته، فهـــو حيـــاة القلوب والأرواح.

ولما كان كتاب الله تعالى بهذه المثابة أدرك أعداء الإسلام خطره عليهم، فمـــا فتئـــوا يكيدون له؛ فأثاروا الشبهات والأباطيل حوله، وليست هذه المحاولات وليدة العصر، وإنمـــا هي ممتدة عبر التاريخ الإسلامي، فقد حمل لواءها أعداء الإسلام مـــن اليهـــود والنصـــارى والزنادقة، أجيالا بعد أجيال، إلى يومنا هذا.

وإن من بين هذه الشبهات والأباطيل: الادعاء بأن بين آيات القرآن الكريم اختلافًـــا وتعارضًا؛ حيث يضربون بعض آيات القرآن ببعض، ويثيرون الشبهات حـــول تناســـقها وتلاؤمها، وهذا ادعاء باطل، أرادوا به - أو أراد به بعضهم - هدم الدين؛ ولكـــن علمـــاء المسلمين وحراس المِلَّة عبر التاريخ كانوا لهم بالمرصاد؛ فأبطلوا شبهاتهم، وأبانوا زيفها، وردوا كيدهم في نحورهم.

ومن هؤلاء العلماء الذين أفنوا أعمارهم، وصرفوا أوقاتهم في الدفاع عن كتـــاب الله، ودحض ما أثير حوله من شبهات — **الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"** فقد أفاد وأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الفنِّ من العلوم.

ولما له من مكانة، وعلو كعبٍ في هذا العلم، ورسوخ في شتى العلوم؛ كالتفسير والفقه والأصول والعربية وغيرها، مع حصافة رأي وسعة أفق والتزام بمنهج أهل السنة والجماعـــة، ونظرًا لأهمية موضوع الكتاب العلمية، ورغبةً وطمعًا مني في نيل شرف خدمة كتـــاب الله؛ رأيت أن يكون موضوع بحثي التكميلي لنيل درجة الماجستير (**منهج الشـــنقيطي في دفـــع توهم التعارض والاختلاف من خلال كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"**).

أهمية البحث وسبب اختياره:

تكمن أهمية البحث و سبب اختياره في أمور أبرزها:

١- إمامة الشيخ الشنقيطي، وعلو كعبه في العلم، ورسوخه في التفسير والعربية، والتي شهد له بها القاصي والداني.

٢- القيمة العلمية للكتاب؛ فهو يعالج موضوعا من أهم الموضوعات التي عني بها العلماء قديمًا وحديثًا، وهو موضوع مشكل القرآن، وبالتحديد أحد أهم أنواعه، وهو: موهم التعارض والاختلاف.

٣- غزارة المادة العلمية التي احتوى عليها الكتاب؛ فقد اشتمل على معلومات كثيرة مستقاة من مختلف العلوم المحتاج إليها في التفسير.

٤- إبراز أحد أعلام الإسلام الذين أفنوا أعمارهم، لخدمة الدين، وقضوا حياتهم في العلم والتعليم، والتأليف، وآثروها على المناصب حتى خلّفوا تراثا ضخما في ذلك.

أهداف البحث:

١- إبراز جهود الشيخ الشنقيطي، في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات من خلال كتابه: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

٢- الوقوف على مصادر المؤلف في هذا الفن.

٣- إظهار سعة علم الشنقيطي في علم المشْكِل، وبالتحديد مُوْهِم التعارض والاختلاف.

٤- ترسيخ عقيدة سلامة القرآن الكريم من التناقض والاضطراب وحفظه في قلب المؤمن.

٥- إظهار الأوجه المتعددة لدفع توهم التعارض والاختلاف وبيانها.

حدود الدراسة:

يتناول البحث منهج الإمام محمد الأمين الشنقيطي وجهوده في دفع توهم التعارض والاختلاف بين آيات الكتاب من خلال كتابه الموسوم بـ **"دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"**.

الدراسات السابقة:

يعدُّ **موهم التعارض والاختلاف** من العلوم التي تندرج تحت علم مشكل القرآن، بل هو من أهم أنواعه، وقد تناولته دراسات كثيرة، إما: بالتأصيل أو بالتحقيق لكتبه ومؤلفاته، أو بعرض طرق دفع التوهم عن آيات القرآن المتعلقة بأركان الإيمان وغيرها من مسائل الاعتقاد، أو التي لها تعلق بالأحكام الشرعية الفرعية.

ولم أقف على دراسة متخصصة في جهود الإمام الشنقيطي في كتابه **"دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"** وذلك بحسب اطلاعي على فهارس الرسائل الجامعية، والمراكز البحثية الإسلامية، وقواعد البيانات وأوعية المعلومات القرآنية، التابعة لمركز المعلومات والدراسات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بجدة وغيرهم.

والذي وقفتُ عليه هو: بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: (المؤلفات في مشكل القرآن ومناهجها) للدكتور عبد الرحمن الرحيلي -حفظه الله-.

غير أن دراسة د. عبدالرحمن الرحيلي تقتصر على التعريف بالمؤلفات في مشكل القرآن الكريم، متتبعةً إياها من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري، وتحديدًا حتى عام ١٤٣١هـ.

وكانت تتناول تلك المؤلفات بترجمة مُوجَزة للمؤلف، والتعريف بالكتاب، ومنهج المؤلف فيه بصورة مُوجَزة لكثرة المؤلفات وتباعد أزمانها، وبيان القيمة العلمية للكتاب.

ولم تتطرق لما أهدف إليه من خلال دراستي هذه الموسومة بـ **(منهج الشنقيطي في دفع توهم التعارض والاختلاف من خلال كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب")** - من استيعاب وتفصيل لمنهج الشيخ الشنقيطي كما سيأتي بيانه في الخطة المقدَّمة لهذه الدراسة.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وسبب اختياره، وأهدافه، وحدود الدراسة، والدراسات

السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: التعريف بالمؤلف، وكتابه.

الفصل الأول: موهم التعارض، وعناية العلماء به، وثمراته.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف موهم التعارض والاختلاف، وعلاقته بمشكل القرآن.

المبحث الثاني: عناية العلماء بدفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

المبحث الثالث: القاعدة في باب إيهام التعارض والاختلاف بين الآيات.

المبحث الرابع: أسباب إيهام التعارض والاختلاف بين الآيات.

المبحث الخامس: طرق دفع إيهام التعارض والاختلاف.

المبحث السادس: ثمرات علم موهم التعارض والاختلاف

الفصل الثاني: السمات العامة لمنهج الشنقيطي في كتابه.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاستقراء والتتبع.

المبحث الثاني: الاستيعاب لأغلب الآيات الموهمة للتعارض والاختلاف.

المبحث الثالث: الجمع بين الأشباه والنظائر في الموضوع الواحد.

المبحث الرابع: العمق في دفع موهم التعارض والاختلاف.

المبحث الخامس: التمكن في فهم معاني القرآن واستحضار آياته.

المبحث السادس: اليسر والسلاسة في حل موهم التعارض والاختلاف.

المبحث السابع: توظيف العلوم الأساسية في دفع موهم التعارض والاختلاف.

المبحث الثامن: التواضع والتبرؤ من الحول والقوة بعد كل رأي يتبناه.

الفصل الثالث: منهج الشنقيطي في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات في كتابه.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تحرير وجه الإشكال.

المبحث الثاني: الجمع بالاعتماد على مصادر التفسير المعتبرة.

المبحث الثالث: الجمع بالاعتماد على علوم القرآن.

المبحث الرابع: الجمع بالاعتماد على أساليب العربية وعلومها وسياقاتها.

المبحث الخامس: الجمع بالاعتماد على القواعد الأصولية.

المبحث السادس: الجمع بإعمال قواعد الترجيح عند المفسرين.

المبحث السابع: النسخ.

المبحث الثامن: التوقف.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس اللازمة.

منهج البحث:

سلكت بتوفيق الله وعونه في هذه الدراسة: المنهج الاستقرائي، والتحليلي والاستنباطي، متبعةً الخطوات التالية:

١-الاستقراء التام والدقيق لكلام الشيخ الشنقيطي، في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"؛ لاستخراج مفردات منهجه في دفع توهم التعارض والاختلاف.

٢-تَناولتُ بالتحليل والبيان ما توصلت إليه من تتبع منهجه؛ محاوِلةً استنباط مسالك الشنقيطي وطرق دفعه لهذا الإيهام.

٣-مَثّلتُ لما ذكرته في دراستي عند بيان منهجه وجهوده -رحمه الله-، لإبراز ذلك المنهج والجهد في دفع توهم التعارض والاختلاف.

٤-بيّنتُ الثمرات العملية لعلم المشْكِل بشكل عام، وعلم الموْهِم؛ من أمثلة تطبيقية مستنبطة من صنيع الإمام الشنقيطي في كتاب دفع الإيهام.

٥-عَزَوتُ الآيات القرآنية؛ بذكر السورة ورقم الآية أثناء البحث.

٦-وثقت القراءات من مصادرها المختلفة.

٧-خرَّجْتُ الأحاديث والآثار بعزوها إلى مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كانت في غيرهما خرجتها من مظانها، مع نقل حكم العلماء عليها إن وجد.

٨-تَرجَمْتُ للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، في أول ورود العلم، و لم أترجم للمشهورين كالصحابة؛ للإجماع على عدالتهم؛ ويكفي في ذلك شرف فضلهم، وعلو مكانتهم التي تغني عن التعريف بهم، ولكن لابد أن يُعلم أن الشهرة أمرٌ نسبي، يختلف مِنْ شخص لآخر، وبين أهل فن وفن آخر، فما يراه شخص أن هذا العَلَمَ مشهورٌ قد لا يراه الآخر كذلك، ولكن حسبي أن أبذل جهدي في تحري ذلك.

٩-عَزوتُ الأبيات الشعرية إلى قائلها، وكذلك الأمثال، ووثّقْتُ ذلك من مصادرها ما أمكن.

١٠- ضَبَطْتُ المصطلحاتِ التي تحتاج إلى ضبط.

١١- شَرَحْتُ الألفاظ الغريبة من مصادرها المعتمدة.

١٢- ذَيَّلت البحث بالفهارس اللازمة.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي يسَّر بمنه وكرمه وإحسانه وتوفيقه إتمام هذا البحث، فله سبحانه الحمد كثيرًا، أولًا وآخرًا وظاهراً وباطنًا.

فاعترافًا مني بالجميل، أتقدم بالشكر والثناء بعد شكر الله تعالى لكل من كان له فضل عليَّ بعد الله، وعلى رأس أولئك، والداي اللذان كانا السبب في وجودي، وربياني تربية الإسلام، وشجعاني على فعل كل خير، ويسرا لي بعد تيسير الله تعالى سبل الحياة، ومنها الحثُّ والتشجيع على طلب العلم ومواصلة دراستي، فأسأل الله أن يجزل لهما المثوبة، وأن يتغمد بواسع رحمته ومغفرته والدي، وأن يلطف بحال والدتي، وأن يرزقها طول العمر وحسن العمل، كما أتقدم بالشكر الوافر الجزيل، إلى رفيق دربي زوجي العزيز الأستاذ الدكتور أحمد المزيد، الذي تقاسم معي السهر والعناء، وتحمل معي المتاعب والصعوبات؛ بصبر جميل، منذ بداية الدراسة وحتى نهاية البحث؛ فكان نعم المعين لي بعد الله سبحانه؛ بتشجيعه ونصحه و توجيهه، حفظه الله وأجزل له المثوبة، والشكر موصول لأختي الغالية "ابتسام" التي كانت سببًا بعد الله تعالى في إكمال دراستي العليا.

ويطيب لي أن أُزجيَ فائق الشكر وعظيم الامتنان لكلِّ القائمين على هذا الصرح العلمي المبارك "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، منهل العلم وموئل العلماء؛ الذي كان ولا زال في خدمة العلم وأهله، ومساعدة الباحثين والدارسين.

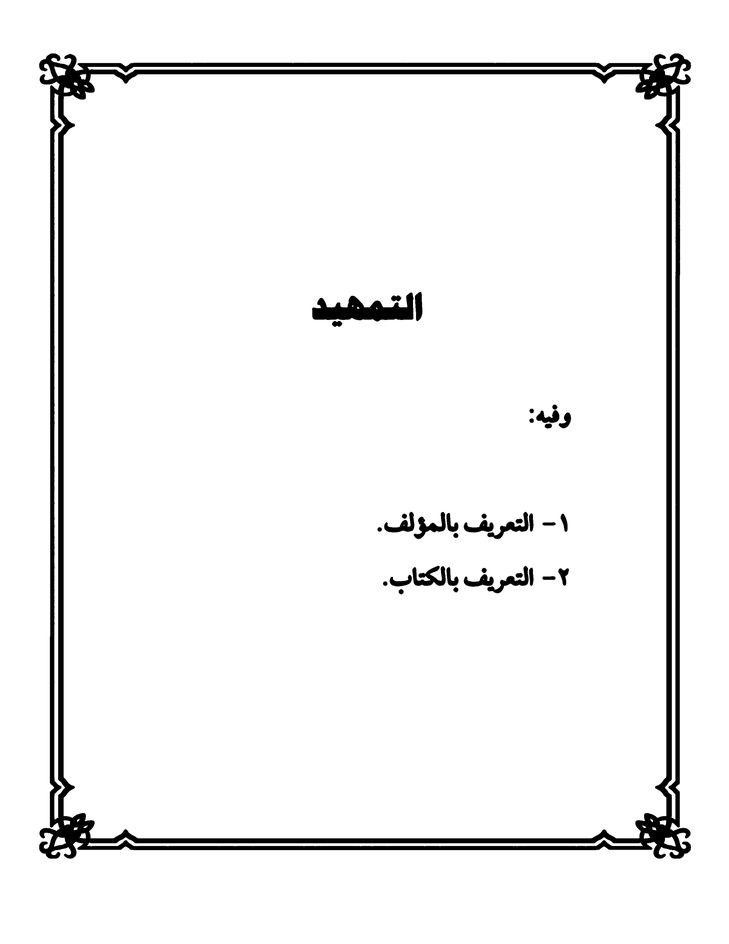
كما أقدر لـ"كلية أصول الدين" جهودها المباركة في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما، والعقيدة الإسلامية، وأخص بالذكر "قسم القرآن وعلومه"، وصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن علي الحكمي المشرف على هذا العمل، ذلك أني قد شَرُفت بالدراسة عليه، فوجدته عالمًا غزير العلم، رفيع الخلق متواضعًا، مرشدًا فريدًا، وناصحًا عضيدًا، بذل لي كثيرًا من وقته، ولم يتوانَ في تقديم آرائه وتوجيهاته القيّمة، فأسأل الله سبحانه أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك له في عمره و علمه وعمله.

وأتقدَّم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخين الكريمين مناقشي هذا البحث على تفضُّلِهما بقراءة بحثي وقبول مناقشته: فضيلة الشيخ الدكتور علي بن عبد الرحمن النحاشيّ، وفضيلة الشيخ الدكتور دخيل بن عبد الله الدخيل؛ فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أن من واجبي أن أعترف بالفضل لذوي الفضل، فمن لايشكر الناس لا يشكر الله، فلا يفوتني أن أشكر جميع من ساعدني وتفضل عليَّ بتوجيه أو مشورة أو إرشاد أو إبداء ملحوظات أثناء كتابتي لهذا البحث، فلهم مني جميعًا جزيل الشكر وخالص الدعاء؛ بأن يجزيهم الله أحسن ما جزى محسنًا عمن أحسن إليه، وأن يبارك في علمهم وعملهم، وأن ينفعهم وينفع بهم الإسلام والمسلمين.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وحسبي أني اجتهدت وبذلت ما في وسعي، وحاولت قدر الإمكان أن أخدم فيه كتاب الله تعالى، إلا أنني على يقين بأن هذا البحث لن يستوي على سوقه، إلا بعد التقويم والنقد والاستدراك؛ فهو جهد بشري، لابد أن يعتريه الزلل والقصور، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





التمهيد

وفيه:

١- التعريف بالمؤلف.

٢- التعريف بالكتاب.

١- التعريف بالمؤلف

وفيه:

أولاً: اسمه ونسبه.

ثانيًا: مولده ونشأته.

ثالثًا: ملامح الشيخ الشنقيطي الخَلْقية والخُلُقية.

رابعًا: نشأته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطلبه للعلم.

خامسًا: جهود الشيخ الشنقيطي في المملكة العربية السعودية.

سادسًا: جهود الشيخ الشنقيطي خارج المملكة العربية السعودية.

سابعًا: شيوخ الشنقيطي وتلاميذه ومؤلفاته.

ثامنًا: عقيدته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تاسعًا: وفاته وثناء العلماء عليه.

١- التعريف بالمؤلف

في وسط قارة إفريقيا، وفي قرية تسمى شِنْقِيط كانت نشأته، وبين مكة والمدينة كانت شهرته، وبرع في العلوم كلها حتى فاق أقرانه، أراد مكة حاجـًا وزائرًا، وأراده الله معلمـًا ومفسِّرا، إن تحدث في التفسيرِ خِلْتَه الطبريَّ، وإن أنشأ في الشعر حِسِبْتَه المتنبيَّ، وإن جال في الحديث وعلومه ظننته ابنَ حجر العسقلاني، مفسِّرا، ومحدثًا، وشاعرًا، وأديبًا، إنه صاحب "أضواء البيان " العالم الزاهد الورع العلامة الشنقيطي، فمن يا ترى هذا الرجل؟ وأين نشأ؟ وكيف تلقى علمه؟ وكيف كانت أخلاقه؟ ومن هم شيوخه وتلاميذه؟ وماهي مؤلفاتـه؟ وماهي عقيدته؟ وماذا قال العلماء في الثناء عليه؟[١]

أولاً: اسمه ونسبه

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمـد ابن سيدي أحمد بن المختار، من أولاد الطالب أوبك، وهذا من أولاد أولاد كَرِيرِ بن المُوَافِي ابن يعقوب بن جَاكَن الأبَرّ، جد القبيلة المعروفة بالجكنيين، والتي يرجع نسبها إلى حِمْيَر[٢].

واسمه مركب من اسمين (محمد والأمين).

وهو مشهور بالشنقيطي، نسبة إلى البلد الذي وُلِدَ ونشأ فيه، وهو شنقيط، كما سيأتي في (مولده ونشأته)[٣].

---

(١) ينظر: شبكة صيد الفوائد (https://saaid.net/Warathah/1/shankeety.htm) بتصرف يسير.

(٢) حِمْيَر: بطن عظيم من القحطانية، ينتسب إلى حِمْيَر بن سبأ بن يشجب بن قحطان. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة (١/٣٠٦).

(٣) ينظر: ترجمته لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم، وهي مطبوعة في آخر أضواء البيان(١٠/١٨) [وهو ملحق في آخر الجزء العاشر]، وعلماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب (١/١٧١)، وآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد (١/١٩)، وترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، ص(٩).

ثانياً: مولده ونشأته

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٣٢٥هـ عند ماء يسمى (تَنْبَه) من أعمال مديرية (كِيفًا) من القطر المسمى بـ(شنقيط)، وهو دولة (موريتانيا الإسلامية) في الوقت الحاضر[١]، وشنقيط كانت ولا تزال اسمًا لقرية من أعمال مديرية (أطَار)، في الجزء الشمالي الغربي من موريتانيا[٢].

وكانت نشأته في بيئة غلب عليها طلب العلم، وروح الفروسية، وكرم الطبع، فكان لها الأثر الكبير عليه، مما ساعده على طلب العلم، حتى صار من أبرز علماء العالم الإسلامي[٣].

وقد نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ يتيمًا؛ إذ توفي والده وهو صبي صغير لا زال يقرأ في جزء عمَّ من القرآن الكريم.

يخبر رَحِمَهُ اللَّهُ عن أحداث فترة طفولته بقوله: "توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء (عم)، وترك لي ثروة من الحيوان والمال، وكانت سُكناي في بيت أخوالي، وأمي ابنة عم أبي، وحفظت القرآن على خالي عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح..."[٤].

وكان ذلك البيتُ الذي تَرَبَّى فيه الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ يزخرُ بمزيدٍ من العلمِ فضلاً عمَّا يكتنفُ تلك البيئةَ من قُطْرِ شنقيط عمومًا من انتشارٍ للعلمِ وَذَوِيهِ، والأدبِ وأربابِه، والفروسيةِ ورجالاتها.

فهذه النشأة الكريمة في تلك البيئة الصالحة، كان لها أكبر الأثر في بروزه وتفوقه العلمي، حتى أصبح من كبار علماء المسلمين[٥].

---

(١) موريتانيا: دولة عربية تقع في غرب أفريقيا، عاصمتها نواكشوط، تبلغ مساحتها حوالي مليون ك م٢، وعدد سكانها حوالي ثلاثة مليون ونصف نسمة، كانت تعرف باسم بلاد شنقيط. ينظر: الموسوعة العربية العالمية(٣٤٨/٢٤).

(٢) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (١٩/١٠) ترجمة عطية محمد سالم، وترجمة الشنقيطي، عبد الرحمن السديس ص(١٠)، ترجيحات الشنقيطي التفسيرية في غير أضواء البيان جمعًا ودراسةً محمد بن مرضي الشراري ص(١٣ ــ ١٤).

(٣) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٢٠/١٠ – ٢١)، وعلماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب(١٧١/١).

(٤) أضواء البيان، للشنقيطي (٢١/١٠).

(٥) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٢٠/١٠) وما بعدها، وعلماء ومفكرون عرفتهم محمد المجذوب (١٧١/١)، وترجمته في مقدمة كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د.عبد العزيز بن صالح الطويان (٣٠/١).

ثالثاً: صفات الشنقيطي الخَلْقية والخُلُقية

أ – صفاته الخَلْقية:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ أسمرَ اللون، رَبْعًا معتدلاً، قوي البنية والعضلات، عظيم الهامة، معتدلاً في الضخامة، إلا أنه في آخر حياته حين اشتدَّ به المرض، رقَّ جسمه كثيرًا[(١)].

قال الشيخ بكر أبو زيد: "لو مرَّ في جمعٍ من الناس وأنت لا تعرفه، لقلت: هذا عالم كبير، لما تلمحه فيه من النبوغ، والألمعية، ولما عليه من جلالة العلم ووقار العلماء"[(٢)].

وقال عنه ابنه محمد المختار: "إن والدي كان شجاعًا قوي البنية، وقد صارع رجلا مشهورًا بالقوة "[(٣)].

ب – صفاته الخُلُقية:

أما عن أخلاق الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فحدث ولا حرج، فهو آيةٌ في أخلاقه، وكرمه، وعفته، وشجاعته، وزهده، وترفُع نفسه، فهو صاحب مَيزةٍ فيها، يقول تليمذه الشيخ عطية محمد سالم[(٤)] : "فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث وإني لا أستطيع إلا تصويره، ولا يسعني في هذا الوقت تفصيله...وإذا كان علماء الأخلاق يُعَنْوِنون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة فإن المروءةَ كانت شعارَه ودِثَارَه"[(٥)].

كان رَحِمَهُ اللَّهُ معروفًا بقوة الحلم، وسعة الخاطر، يُتعجب من عدم غضبه، كلٌّ من قال

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (٣٤/١).

(٢) منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٨٠).

(٣) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (٣٤/١).

(٥) أضواء البيان، للشنقيطي (٦٠/١).الشعار: الثوب الذي يلي الجسد لمماسته الشعر.ينظر: المفردات، مادة (شعر)، ص(٤٥٦)، الدثار، بالكسر: ما فوق الشعار من الثياب. ينظر: البحر المحيط، مادة (دثر)، (٣٩٠/١)

(٤) هو: عطية بن محمد سالم ولد في قرية المهدية من أعمال الشرقية في مصر سنة ١٣٤٦هـ، تلقى العلم في حلقات المسجد النبوي الشريف، وكان للشيخ الشنقيطي دور بارز في حياته فقد تتلمذ عليه ولازمه في حلّه وترحاله أكثر من عشرين عاماً، ودرَّس الشيخ عطية فنوناً مختلفة من العلوم الشرعية، ومن مؤلفاته: تتمة تفسير أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي،و ترتيب التمهيد على أبواب الفقه، وتوفي رحمه الله سنة (١٤٢٠هـ). ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب (٢٠١/٢) وما بعده .

له كلامًا لا يرضيه يقابله بالحسنى، على الرغم من أنه كان من قبيلة ذات شَوْكة وخطـورة ولا تخاف من أحد[١].

وكان كريمًا إلى أبعد حدٍّ، وقد أُثر عنه قوله: "لم يسألنِ أحدٌ قرضًا، ذلك أنه إن كنت موسرًا أعطيته، وإن لم يكن عندي فذاك شيءٌ آخر"[٢].

قال عنه أحد تلامذته: "وما يسأله أحدٌ من ماله زائدًا عنه إلا أعطاه إياه، وهذا نعلمه، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأخذ من راتبه ويعطي كل ضعيف من جماعتـه: امـرأةً أو رجلًـا صـدقةً سرًا وعلانيةً.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل لواء جماعته هنا وهناك في إدارة مصالحهم، فكأنـه جمـع بـين الدنيا والآخرة.

وكان مهاباً لا يجلس في مجلس - حسب علمي به، وكثرة ملازمتي له - يستطيع أحدٌ أن يناقشه في مسألة سواء جدية أو هزلية.

وكان كثير القيام بالليل، كثير المطالعة، كثير قراءة القرآن والتدبر فيه"[٣].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاهدًا في الدنيا وفيما عنده فضلاً عما عند الناس، يقول الشيخ عطيـة سمعته يقول: "لقد جئت معي من البلاد بكنزٍ عظيمٍ يكفيني مدى الحيـاة وأخشـى عليـه الضياع، فقلت له: وما هو؟ قال القناعة".[٤]

وكان يزهِّد طلابَه وأبناءه في الدنيا فكان يقول ناصحًا طلابه: "لو كانت الدنيا مَيْتةً لأباح الله منها سدَّ الخَلَّةِ، ونحن لا نريد إلا سدَّ الخلة"، لأجل هذا؛ لم يطلب منذ أن حـلَّ بأرض الحجاز عطاءً أو مكافأة، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه"[٥].

قال ابنه عبد الله: "كان يحذِّرني من الدنيا كثيرًا، ويقول: الكفاف منها يكفـي، وإن الشيطان ربما سوَّل للإنسان جمعها ليتصدق بها، وهو تلبيس"[٦].

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (١/٣٥).

(٢) المصدر السابق (١/٣٥).

(٣) المصدر السابق (١/٣٥- ٣٦).

(٤) ينظر: ترجمة الشيخ عطية سالم له في كتابه: من علماء الحرمين ص(٤٦٣).

(٥) منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٧٧).

(٦) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين، د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة).

قال عنه الشيخ عطية سالم:

"لم أسمع منه منذ صحبته مقالا لأي إنسان - ولو مخطئ عليه - يكون فيه جرح لشعوره، وما كان يعاتب إنسانًا في شيء يمكن تداركه، وكان كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه"[١].

ومما تميَّز به رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعُرِف عنه أنه لم يكن يغتاب أحداً، وكثيراً ما يقول لإخوانه: (اتكايسوا) أي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة، ويقول إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب[٢].

وكان أيضاً لا يرضى ولا يسمح لأحد أن يغتاب في مجلسه، وكان يقول: "قَتْلُ الأولاد ونهب الأموال يُصبر عليه، أما شائب من المسلمين تؤخذ حسناته، هذا لاصبر عليه. فأسكتوا بأدب أو اخرجوا"[٣].

قال تلميذه أحمد الشنقيطي: "رحم الله شيخنا ما أحْلَمَه، وما أرحَمَه، وما أشدَّ تغاضيه عن زلات الناس، والله ما رأيته منتقمًا من أحد، ولا سمعته متكلمًا في أحد، ولا يستطيع أحد في مجلسه أنْ يتكلم - مهما كانت مكانته عنده - في أحد، إلا قال له: احذر لا تعطِه أحسنَ ما عندك"[٤].

"وفي الجملة، فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ خير قدوة وأحسنها في جميع مجالات الحياة؛ فكان العالم العامل ولا أزكّي على الله أحدًا"[٥].

---

(١) ينظر: ترجمة الشيخ عطية سالم له في كتابه: من علماء الحرمين ص(٤٦٣-٤٦٤)

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٦٢-٦٣).

(٣) ندوة حياة العلامة الشيخ محمد الشنقيطي، ضمن سلسلة ندوات (أعلام المدينة المنورة)، المقامة في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الإربعاء ١٥/٥/١٤٣٤هـ

(٤) مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، لتلميذه: أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي ص(٨٧).

(٥) أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٦٤).

رابعاً: طلبه للعلم

بدأ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ طلبه للعلم في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم تعلم رسم المصحف العثماني والتجويد، إضافة إلى الفقه والأدب، والنحو، والسيرة، وغيرها من العلوم، وحُبِّبَتْ إليه القراءة منذ صغره، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ محبًا للعلم، شغوفًا به، ذا همة عالية في طلبه وتحصيله، فهو لم يقتصر في طلب العلم على فنٍّ من الفنون، بل عقد العزم منذ صغره على أن يكون طالب علم في عدد من الفنون، فشمَّر عن ساعد الجدِّ في طلب العلم؛ لأجل ذلك.

وكان منهج الدراسة اليومي أن يبدأ الطالب بكتابة المتن في لوحه الخشبي، فيكتب قدر ما يستطيع حفظه ثم يمحوه، ثم يكتب قدرًا آخر...وهكذا حتى يحفظ القدر المطلوب، ثم يشرحه له الشيخ شرحًا وافيًا بقدر ما عنده من تحصيل، دون حاجة إلى فتح كتاب أو تحضير في مرجع، بعد ذلك يقوم هؤلاء الطلاب بالاستذكار فيما بينهم، ومناقشة ما قاله الشيخ، وقد يستعينون ببعض الشروح أو الحواشي لمقابلة ما سمعوه، ولا يجتازون ذلك المكان من الدرس حتى يروا أنهم قد حصّلوا كل ما فيه، وكان جُلُّ اهتمامهم الفَهمَ والتحصيل، وليست السرعة وإنهاء الكتاب.

وكان هذا المنهج هو العام السائد في بلاد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لطلبة العلم كافة، وقد تميزت دراسته على هذا المنهج ببعض الأمور التي قلَّ أن تكون لغيره، أوجزها تلميذه الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يلي:

١- أنه أتيح له في بادئ دراسته ما لم يتح لغيره، حيث كان بيت أخواله مدرسته الأولى، فلم يرحل في بادئ أمره للطلب، وكان وحيد والديه، فكان في مكان التدلل والعناية.

٢- أنه قد حُبِّبَتْ إليه القراءة منذ الصغر.

٣- أنه كان يقول عن نفسه: "ولما حفظت القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقت فيه على الأقران؛ عَنِيَتْ بي والدتي وأخوالي أشدَّ عناية، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين، أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبني خادم ومعه عدة بقرات، وقد هيأت لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب، وملابس كأحسن ما تكون، فرحًا بي وترغيباً لي في طلب العلم، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل"(١).

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٢١-٢٩)، ترجيحات الشنقيطي التفسيرية في غير أضواء البيان جمعًا ودراسةً، د. محمد الشراري ص(١٥ ــ ١٧).

وقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمتع بهمة عالية في طلب العلم، فلم يكن يُفَوِّت مسألةً مما درسَ دون استيعاب وتمحيص، وإن كلّفه ذلك جهودًا مضنيةً وأوقاتًا طويلةً، من ذلكم ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "جئت للشيخ في قراءتي عليه، فشرح لي كما كان يشرح، ولكنه لم يَشْفِ ما في نفسي على ما تعودتُ، ولم يَرْوِ لي ظمأي، وقمت من عنده وأنا أجدني في حاجة إلى إزالة بعض اللبس، وإيضاح بعض المشكل، وكان الوقت ظهرًا، فأخذت الكتب والمراجع، فطالعت حتى العصر، فلم أفرغ من حاجتي، فعاودت حتى المغرب، فلم أنتهِ أيضًا، فأوقد لي خادمي أعوادًا من الحطب أقرأ على ضوئها، كعادة الطلاب، وواصلت المطالعة، وأتناول الشاي الأخضر، كلما مللت أو كسلت، والخادم بجواري يوقد الضوء، حتى انبثق الفجر وأنا في مجلسي لم أقم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام، وإلى أن ارتفع النهار وقد فرغت من درسي وزال عني لبسي، ووجدت هذا المحل من الدرس كغيره في الوضوح والفهم".(١)

هكذا كان يصنع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما يعرض له إشكال، بالإضافة إلى ما كان يكابده من سهر في تتبع كلام الشُرّاح للكتاب الذي يشتغل بدراسته طلبًا لاستيفاء كل ما قيل في المسألة أو الباب.

وقد حبا الله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكاءً مفرطًا، وحافظة نادرة، فسخر ذلك كله في تحصيل العلم؛ فكان كلامه في العلم يشد كل من سمعه، حتى يُخيل للسامع أن الشيخ أفنى عمره في ذلك الفن ولا يُحسن غيره.

ولقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما قال:" لا توجد آيةٌ في القرآن إلا درستها على حِدَة".

وقال: "كل آية قال فيها الأقدمون شيئًا فهو عندي"(٢).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحفظ من أشعار العرب وشواهد العربية الآلاف المؤلفة من الأبيات، كما كان يحفظ أكثر أحاديث الصحيحين، وألفية ابن مالك، ومراقي السعود، وألفية العراقي، وغير ذلك من المنظومات في السيرة النبوية، والغزوات، والأنساب، والمتشابه من ألفاظ القرآن، وشيئًا من المتون في الفقه نثرًا ورجزًا، ومن قرأ كتابه "أضواء البيان" أو سمع شيئًا من دروس التفسير لم يستكثر ذلك عليه(٣).

---

(١) آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١/٢٢)

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، جمع د. خالد السبت (١/٤٢)، ومقصود الشيخ: دراستها لنفسه ولا يقصد أنه فسرها في تفسيره.

(٣) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٢٩-٣٣)، ترجمة عطية سالم، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (١/٦١-٦٢).

خامساً: جهود الشنقيطي العلمية في المملكة العربية السعودية

وتشمل نشاطه العلمي الموسع الذي بدأه في المدينة المنورة، ثم الرياض، وأخيرًا مكة المكرمة[١].

أ - في المسجد النبوي:

لما فرغ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مناسك حجة الإسلام، رغب في جوار مسجد رسول الله ﷺ، وتفسير كتاب الله تعالى،؛ يقول الشيخ عطية: وكان يقول: "ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ"[٢].

منهجه في درسه:

قال الشيخ عطية سالم في وصف منهجه في درسه:

"من المعلوم أن التفسير لا ينحصر في موضوع، فهو شامل عام بشمول القرآن وعمومه، فكان المنهج أولاً: بيان المفردات، ثم الإعراب والتصريف، ثم البلاغة، مع إيراد الشواهد على ما يورد.

ثم يأتي إلى الأحكام إن كان موضوع الآية فقهاً، فيستقصي باستنتاج الحكم وبيان الأقوال والترجيح لما يظهر له، ويدعم ذلك بالأصول وبيان القرآن، وعلوم القرآن من عام وخاص، ومطلق ومقيد، وناسخ ومنسوخ، وأسباب نزول وغير ذلك.

وإذا كانت الآية في قصص، أظهر العبر من القصة، وبيَّن تاريخها، وقد يربط الحاضر بالماضي،كربط تَكَشُّفِ النساء اليوم بفتنة إبليس لحواء في الجنة، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما، وفتنته للجاهلية حين طافوا بالبيت عرايا رجالاً ونساءً، وهاهو يستدرجهن في التكشُّفِ شيئاً فشيئاً، بدأ بكشف الوجه ثم الرأس ثم الذراعين... الخ. فكان أسلوبًا علميًا وتربويًا في آن واحد، كما كان أحكامًا وحِكَمًا.

وكان درسُه أشبهَ بحديقةٍ غناء، احتوت أشهى الثمار، وأجمل الأزهار في تنسيق الغرس

---

(١) ينظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (١/٧٠ـــ٧١).

(٢) ترجمة الشيخ عطية سالم في كتابه: من علماء الحرمين ص(٤٥٢).

وجمال الجداول، تشرح الصدر وتشفي القلب وتروق للعين؛ فيستفيد منه جميع الناس ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه"[١].

ب - الرياض:

في سنة ١٣٧١هـ افتتحت الإدارة العامة بالرياض معهدًا علميًا، تلاه عدة معاهد وكليتا الشريعة واللغة العربية.

واختير للتدريس في المعهد والكليتين نخبة من العلماء من داخل المملكة وخارجها، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن اختير لذلك، فتولى تدريس التفسير وأصول الفقه إلى سنة ١٣٨١هـ حين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة.

فكانت مدة اختياره للتدريس بالرياض عشر سنوات دراسية يعود لقضاء العطلة بالمدينة.

ج - في بيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما كان الدرس في الأصول في المسجد عاماً، وفي الطلبة نجباء رغبوا في درس خاص في بيته؛ فكان لهم درس خاص بعد العصر، وكان بيته أشبه بمدرسة لأبنائه الذين رافقوه للدراسة عليه، وقد أملى شرحاً على مراقي السعود في بيته على الشيخ أحمد الأحمد الشنقيطي[٢].

يقول الشيخ عطية سالم: "لقد كان لتدريسه هذا سواء رسمياً في المعهد والكليتين أو في المسجد أو في المنزل كان له أثر طيب، ونتائج حسنة، لا يسعُ متحدث التحدثَ عنها، بقدر ما تحدثت هي عن نفسها، في أعمال كافة المتخرجين من تلك المعاهد والكليتين المنتشِرين في أنحاء المملكة، المبرِّزين في أعمالهم...ولا يُغالي من يقول إن كل من تخرج أو يتخرج فهو إما

---

(١) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ترجمة الشيخ عطية سالم (١٠/٤٠-٤١)، وترجمته له في كتابه من علماء الحرمين ص(٤٥٣ ــ ٤٥٤)، والشنقيطي ومنهجه في التفسير، د.أحمد الشيمي، ص(٢١٨).

(٢) ترجمة الشيخ عطية سالم له في كتابه: من علماء الحرمين، ص(٤٥٥)، و ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب (١٨٤/١).

تلميذ له أو لتلاميذه فهم بمثابة أبنائه وأحفاده وكفى"(١).

د – في الجامعة الإسلامية:

إن من يعرف نشأة الجامعة الإسلامية، وقد عرف الحركة العلمية الحديثة بالرياض ليقول: إن افتتاح الجامعة الإسلامية امتدادٌ للحركة العلمية الحديثة بالرياض.

والمتتبع للحركات العلمية في العالم الإسلامي، ليقول: إن افتتاح الجامعة الإسلامية في ذلك التاريخ عنايةٌ من الله وتداركٌ للتعليم الإسلامي حينما أصيبت بعض دور العلم الكبرى بهزات في برامجها.

فكان إيجادها امتداداً للحركة العلمية الحديثة بالرياض، ومجيئها آنذاك تداركاً لبعض ما فات، ولعلها جزء من تحقيق الحديث: "إن الإيمان ليأرِزُ إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحرها"(٢). ومعلوم أن الإيمان عقيدة وعمل، والعلم قبله.

ومن هنا تظهر أهمية الجامعة الإسلامية وجدوى وجودها بالمدينة المنورة، وبالتالي مجيء أبناء العالم الإسلامية إليها للدراسة وللتربية في هذا الجو الإيماني؛ لتبرز لنا قيمة العمل في الجامعة، وأن رسالتها تربوية بجانب أنها علمية، وأنها منعت الانتساب دون الحضور، لهذا الغرض نفسه.

فلم يدخر الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ وسعاً في تعليم ولم يتوان في توجيه، سواء في دروسه أو أحاديثه أو محاضراته، وسواء مع الطلاب أو المدرسين؛ فكان كالأب الرحيم والداعية الناصح الأمين، تحمَّلَ عنه تلاميذُه إلى أنحاء العالم الإسلامي حينما وصلت منح الدراسة بالجامعة الإسلامية لبلدان العالم الإسلامي.

وقد كان بجانب التعليم عضو مجلس الجامعة؛ فأسهم في سيرها ومناهجها ،كما أسهم في إنتاجها وتعليمها. (٣)

---

(١) ترجمة الشيخ عطية سالم له في كتابه: من علماء الحرمين، ص(٤٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، حديث رقم (١٨٧٦)، (٣/٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، حديث رقم (١٤٧)، (١/١٣١).

(٣) مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– ، عطية سالم، ص(٤٧).

هـ - جهود الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الحركة العلمية الجديدة:

ينقل الشيخ عطية سالم على لسان شيخه الشنقيطي قوله عن هذه الحركة:

"استجابة لرغبة جلالة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حيث قال لجماعة العلماء وهم في مجلسه الخاص: لقد كانت الرياض مليئة بالعلماء عامرة بالدروس، وانتقل الكثير منهم إلى رحمة الله، ولم يخلفهم من يماثلهم؛ وأردت تعاونكم مع سماحة المفتي في تربية جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة؛ فنحن وأنتم مشتركون في المسؤولية"[١].

فكانت هذه النهضة ترعاها عناية ملكية، وتقوم عليها كفاءة علمية؛ حيث تولى إدارة المعهد الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، في حين صارت رئاسته لأخيه سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد وضع الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ المنهج العلمي لتلك الدراسة على أساس في العلوم الدينية والعربية وتكميل من المواد الاجتماعية وعلوم الآلة من مصطلح الحديث وأصول الفقه حتى الحساب والتقويم والخط والإملاء والتجويد؛ فكان قوياً في موضوعه شاملاً في منهجه.

وكان الطلاب من الصفوة الذين درسوا في المساجد المتعطشين للعلوم متطلعين للتوسع، وكان القائمون على التدريس نخبة ممتازة من الأجلة الفضلاء من وطنيين وأزهريين؛ فكان الجو علمياً التقت فيه همة عالية من طلاب جيدين مع عزيمة ماضية من مشايخ مجتهدين، يسودهم الشعور بأن هذه طليعة نهضة علمية واسعة.

كان الشنقيطي والدًا للجميع، وكان درسه في التفسير والأصول، فكان في التفسير المجال الواسع لجميع المواد والعلوم، وكان مع التزامه بالمنهج والحصص إذا تناول بحثاً في أي مادة يخاله السامع مختصاً فيها؛ فعرف له الجميع قدره وتطلع الجميع إلى ما عنده.

كما أن الشنقيطي بدأ يدرس الأصول في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ لكبار الطلبة، وكان الدرس يحضره العامة والخاصة، ويتوافد إليه الطلاب من أطراف الرياض[٢].

---

(١) ينظر: ترجمة الشيخ عطية سالم له في كتابه: من علماء الحرمين ص(٤٥٥)، والشنقيطي ومنهجه في التفسير، للشيمي ص(٢٢٢).

(٢) ينظر: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، للشيمي، ص(٢٢٥).

سادساً: جهود الشنقيطي خارج المملكة العربية السعودية

"إذا كانت الجامعة الإسلامية قد فتحت للبلاد نوافذ تطل منها على العالم الإسلامي كله وجعلت لها أبناء في شتى أقطارها فإن من حق أولئك الأبناء ما يجب من رعايتهم وحق تلك الأقطار ما يلزم من تقوية أواصر الروابط؛ فكانت فكرة إرسال بعثات إلى الأقطار الإسلامية وخاصة إفريقيا.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ على رأس بعثة الجامعة إلى عشر دول إفريقية بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا موطن الشيخ؛ كان لهذه البعثة في تلك البلاد أعظم الأثر، وأذكر في مجلس من أفاضل البلاد بموريتانيا وفي حفل تكريم للبعثة وكِّلَ إلى فضيلته رَحِمَهُ اللَّهُ كلمة الجواب؛ فكان منها: إن الذكريات لتتحدث وإنها لساعة عجيبة أدارت عجلة الزمان حيث نشأ الشيخ في بلادكم ثم هاجر إلى الحجاز ثم ها هو يعود إليكم على رأس وفد ورئاسة بعثة، فقد نبتت غرسة علمه هنا عندكم؛ فذهب إلى الحجاز فنمت وترعرعت فامتدت أغصانها حتى شملت بوارف ظلها بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وها نحن في موطنه نجني ثمار غرسها ونستظل بوارف ظلها. فكانت تلك الرحلة حقاً حلقة اتصال وتجديد عهد وإحياء معالم للإسلام"[1].

أ - في هيئة كبار العلماء:

بعد أن شُكلت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بعد سماحة المفتي رَحِمَهُ اللَّهُ وهي أكبر هيئة علمية في البلاد و كان الشنقيطي أحد أعضائها، وقد ترأس الشنقيطي إحدى دوراتها فكانت له السياسة الرشيدة والنتائج الحميدة.

سمعت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح –حفظه الله– وهو عضو فيها يقول: "ما رأيت قبله أحسن إدارة منه مع بُعد نظرٍ في الأمور وحسن تدبر للعواقب"[2].

ب - في رابطة العالم الإسلامي:

وتعدُّ هذه الرابطة من أكبر الهيئات الإسلامية العالمية، وهي منظمة إسلامية شعبية عالمية

(١) ترجمة الشيخ عطية سالم له في كتابه: من علماء الحرمين ص(٤٥٧).

(٢) المصدر السابق، ص(٤٥٧)، (سمعت) القائل: الشيخ عطية سالم.

جامعة مقرها مكة المكرمة، تقوم بالدعوة للإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ودحض الشبهات والافتراءات التي تلصق به، وتقدم العون للمسلمين لحل مشكلاتهم، وتنفيذ مشاريعهم الدعوية والتعليمية والتربوية والثقافية.

في هذه الرابطة كان الشنقيطي عضوًا للمجلس التأسيسي؛ ولم تقل خدماته فيه عن خدماته في غيره، يتحدث الشيخ عطية سالم عن موقف حَدَّثه به الشيخ الشنقيطي؛ فيقول:

"وإني لأذكر له موقفاً حدثني به، جنَّبَ الرابطة مأزقاً كاد أن يُدْخِل عليها شقاقاً وانثلامًا.

حينما قدم مندوب إيران وقدم طلباً باعتراف الرابطة بالمذهب الجعفري ومعه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير تؤيده على دعواه وتجيبه إلى طلبه، فإن قبلوا طلبه دخلوا مأزقًا، وإن رفضوه واجهوا حرجًا، فاقترحوا أن يُولَى الأمر لفضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جلسة خاصة.

فأجاب في المجلس قائلاً: لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصول هي:

الإسلام دين الجميع والرسول ﷺ رسول الجميع، والقرآن كتاب الله، والكعبة قبلة الجميع، والصلوات الخمس وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، ومجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقة ونحو ذلك، وهذا القدر كاف للاجتماع والترابط.

وهناك أمور نعلم جميعاً أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها فإن رغب العضو الإيراني بحثها واتباع الحق فيها فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة، ويبحثون ما اختلفنا فيه ويعلن الحق ويُلتزم به، أو يسحب طلبه الآن، فأقر الجميع قوله وسحب العضو طلبه"[١].

---

(١) من علماء الحرمين ص(٤٥٨)، و أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٥٠-٥١)، وينظر: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، للشيمي ص(٢٢٦).

سابعاً: شيوخ الشنقيطي وتلاميذه ومؤلفاته

أ - شيوخه:

من أبرز شيوخه رَحِمَهُ اللَّهُ في صغره حينما كان عند أمه وأخواله الآتي ذكرهم:

١- خاله عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد بن نوح، وقد حفظ عليه القرآن الكريم.

٢- ابن خاله سيدي محمد بن أحمد بن محمد المختار، وقد أخذ عنه رسم المصحف العثماني، وتعلم عليه التجويد والقراءات.

٣- زوجة خاله، وقد أخذ عنها الأدب، ومبادئ النحو، والأنساب والسيرة.

وأما شيوخه بعد تجهيزه ورحيله في طلب العلم في أنحاء بلاده فهم:

١- الشيخ محمد بن صالح، المشهور بابن أحمد الأفرم.

٢- الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار.

٣- الشيخ العلامة أحمد بن عمر.

٤- الفقيه الكبير محمد بن النعمة بن زيدان.

٥- الفقيه الكبير أحمد بن مُود.

٦- العلامة المتبحر في الفنون أحمد فال بن آدُه.

وكل هؤلاء المشايخ من الجكنيين [١]، كما تتلمذ على غيرهم من العلماء[٢].

ب - تلاميذه:

أما تلاميذه رَحِمَهُ اللَّهُ فإنهم كثر لا يحصون، حيث تتلمذ على يديه عدد من الطلاب قبل قدومه للمملكة وبعد قدومه إليها، ومن أبرز هؤلاء:

١- الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ مفتي عام المملكة العربية السعودية سابقًا، حيث كان يحضر بعض دروس الشيخ الشنقيطي في المسجد النبوي.

---

(١) لم أقف على تراجم لهم فيما اطلعت عليه.

(٢) ينظر أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٢٤) وما بعدها، ورحلة الحج إلى بيت الله الحرام للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص(١٧) وما بعدها، و منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس، ص(١٤).

٢- الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام وخطيب المسجد النبوي، ورئيس محاكم المدينة المنورة، وقد تتلمذ على الشيخ في المسجد النبوي.

٣- الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عضو هيئة كبار العلماء، حيث لازم الشيخ الشنقيطيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشر سنين ودرس عليه دروسًا خاصةً في منزله وفي المسجد النبوي.

٤- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عضو هيئة كبار العلماء وعضو الإفتاء سابقًا.

٥- الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عضو هيئة كبار العلماء، حيث درس على الشيخ في كلية الشريعة بالرياض.

٦- الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المدرس بالمسجد النبوي، والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، وهو من أخصِّ تلاميذه وأكثرهم ملازمة له في المسجد والمنزل والسفر والإقامة.

٧- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقًا، عضو هيئة كبار العلماء، ودراسته على الشيخ كانت في كلية الشريعة بالرياض.

٨- الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، المدرس بالمسجد النبوي، وبالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ودرس على الشيخ في كلية الشريعة بالرياض.

٩- الشيخ الدكتور عبد العزيز القاري، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية، ودرس على الشيخ في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٠- الشيخ الدكتور محمد الخضر بن الناجي بن ضيف الله الجكني، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، وهو من كتاب أضواء البيان، ودراسته على الشيخ كانت في بيته وفي المسجد النبوي وفي كلية الشريعة بالرياض.

١١- ابنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الدكتور عبد الله، والدكتور محمد المختار،

وهما يُدرِّسان في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وغني عن الذكر ملازمتهما لوالدهما، واستفادتهما منه[١].

وغيرهم كثير ممن تتلمذ على يد الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورحم الأموات منهم، وحفظ الأحياء وبارك لنا في علمهم.

ولقد صدق الشيخ عطية سالم بقوله: "ما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في أنحاء البلاد ابنٌ من أبنائه، وفي كل قُطْر إسلامي بعثة من البعثات الإسلامية لِمِنَح الجامعة الإسلامية التعليمية بالمدينة المنورة، ما مات إلا بعد أن ترك في كل مكتبة وفي كل منزل أضواء البيان يبدد الظلام ويهدي السبيل"[٢].

ج - مؤلفاته:

صنَّف الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا من المؤلفات التي تدل على غزارة علمه، وقوة فهمه وإدراكه، ويمكن تقسيم مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المؤلفات التي كتبها في بلاده قبل مجيئه إلى المملكة العربية السعودية، ومنها:

١- نظمٌ في أنساب العرب، سماه "خالص الجمان"، وألفه قبل بلوغه، وبعد البلوغ أحرقه، وقال: "لأنه كان على نية التفوق على الأقران، وقد لامه مشايخه على دفنه، وقالوا: كان من الممكن تحويل النية وتحسينها"[٣].

٢- رجزٌ في فروع مذهب مالك، يختص بالعقود من البيوع والرهون، وهو آلاف متعددة.

---

(١) ينظر: منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس، ص(٢١٢ -٢٢٠)، ومنسك الإمام الشنقيطي للدكتور عبد الله بن محمد الطيار والدكتور عبد العزيز بن محمد الحجيلان، (٢٨/١ – ٣٠)، وجهود الشيخ الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (٧٢/١ – ٧٦).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤٧٤/٩)، وينظر: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، للشهري ص(١٨٧ ـــ ٢٠٨)، ومنهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، للسديس ص(٨٦ـــ ٩٠)، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (٧٢/١ـــ ٧٦).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٤٩٧/٩)

٣- نظمٌ في الفرائض.

٤- ألفية في علم المنطق.

وكل هذه المنظومات - عدا أنساب العرب - مخطوطة، ولم ينشر منها شيء[١].

القسم الثاني: ما كتبه أو أملاه في طريقه إلى الحج وهو قادم من بلاده:

١- شرح على سُلَّم الأخضري في المنطق.

٢- (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) تحدث عن رحلة حجه إلى بيت الله الحرام، وكان قد سلك الطريق برًا من بلده إلى مكة المكرمة، وتناول فيه المسائل العلمية التي طرحت عليه من كل مكان يتزل فيه[٢].

القسم الثالث: المؤلفات التي كتبها في المملكة العربية السعودية، وهي:

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وقد فسَّر فيه بعض آيات القرآن الكريم، ولم يكملْه، بل وصل فيه إلى آخر سورة المجادلة، ثم وافته المنية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأكمله بعده تلميذه عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والكتاب مدرسة كاملة، يتحدث عن نفسه، وهو من آخر ما ألفه الشنقيطي، وإنما ذكرته في مقدمة مؤلفاته لأهميته وشهرته[٣].

٢- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وقد أبان فيه ما يشبه التعارض في بعض الآيات، شمل القرآن كله، وقد كتبه الشيخ في خمس عشرة ليلة، وهي إجازة الامتحانات عام (١٣٧٣هـ)[٤].

---

(١) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٥١ - ٥٢)، و منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٢٤-٢٩).

(٢) وقد طبع بعد وفاته بعشر سنوات، مطبوع في مائتين وتسعين صفحة تقريبًا، دار الشروق -جدة - الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، ينظر آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، (١/٣٤).

(٣) الكتاب مطبوع عدة طبعات منها: (طبعة عالم الكتب، وطبعة الأمير أحمد بن عبد العزيز (١٤٠٣هـ)، وطبعة دار روضة الصغير (١٤١٣ه)، وهما تصوير عن الأولى، طبعة دار إحياء التراث العربي(١٤١٧هـ)، وطبعة دار عالم الفوائد، الطبعة الثالثة (١٤٣٣هـ)، ملحق بآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد).

(٤) وهو مطبوع مع أضواء البيان، وطبع قبل ذلك مراراً في نسخ محدودة ونفذت، وطبع في دار عالم الفوائد، الطبعة الثالثة =

٣- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.[١].

٤- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، وقد أملاها على طلابه في كلية الشريعة بالرياض عندما كان يدرس مادة الأصول في السنوات الأولى من تدريسه في الريـاض، و لم تطبع إلا في عام (١٣٩١هـ)، وقد جمع في شرحها أصول الحنابلة والمالكية والشافعية[٢].

٥- آداب البحث والمناظرة، وقد وضعه لطلابه في الجامعة الإسلامية، وأوضح فيه آداب البحث مع إيراد المسائل وبيان الدليل ونحو ذلك [٣].

٦- بيان الناسخ والمنسوخ في آي الذكر الحكيم، وهي رسالة صغيرة تقع في نحو أربع صفحات ونصف، شرح فيها الأبيات العشرة التي ذكرها السيوطي في "الإتقان" في الآيات المنسوخة[٤].

٧- شرح على مراقي السعود: أملاه على أحد تلامذته، وهو الشيخ أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي، وقد فرغ منه بتاريخ (١٣٧٥/٧/٢٢هـ) وكان قد شرح جميع المراقي، لكنَّ قطعة من النظم تقرب من أربعة وستين ومائة بيت لم يدوّن شرحها[٥].

- وللشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عدد من الفتاوى والأجوبة على أسئلة وُجهت إليه، ومما عُرف منها:

=

(١٤٣٣هـ)، ملحق بآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، وقد طبع مؤخرًا بتحقيق: أحمد بدوي، من مطبوعات كرسي القرآن الكريم، جامعة الملك سعود.

(١) وهو مطبوع ويقع في اثنتين وستين صفحة، وفي بعض الطبعات ملحق بأضواء البيان، وطبعة دار عالم الفوائد، الطبعة الثالثة (١٤٣٣هـ)، ملحق بآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد.

(٢) وهي مطبوعة في قرابة ستمائة صفحة، دار اليقين مصر الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) تحقيق/ سامي العربي، وهو ملحق بآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، طبعة دار عالم الفوائد، الطبعة الثالثة(١٤٣٣هـ).

(٣) مطبوع في جزأين، مكتبة ابن تيمية مصر، وهو كذلك ملحق بآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، طبعة دار عالم الفوائد، ط٣، (١٤٣٣هـ).

(٤) وهو مطبوع في آخر أضواء البيان، ينظر:آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ص(٣٥).

(٥) وقد طُبع هذا الكتاب بعنوان "نثر الورود على مراقي السعود"وهذه التسمية من محققه لأن المؤلف لم يسمه، ينظر: آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ص(٣٥).

١- فتوى في التعليل بالحكمة، والسائل هو الشيخ عبد الله بن منيع.

٢- وجهة نظر في حكم السعي فوق سقف المسعى.

٣- رسالة في حكم الصلاة في الطائرة: وهي رسالة صغيرة تقع في ست صفحات، كتبها عام (١٣٨٥هـ).

٤- رسالة في جواب سؤال ورد إليه من أحد أمراء بلاد شنقيط، يسأله عن العالم، هل هو مخلوق ومرزوق من بركة النبي ﷺ، أو ذلك بأسباب أخرى؟ ويقع الجواب في ست عشرة صفحة.

٥- رسالة في جواب سؤالات ثلاثة، مقدمة من الشيخ محمد الأمين بن الشيخ محمد الخضر، والسؤالات هي:

أين مقر العقل في الإنسان؟، هل يشمل لفظ (المشركين) أهل الكتاب؟، هل يجوز للكافر أن يدخل مساجد الله غير المسجد الحرام؟، ويقع الجواب في إحدى عشرة صفحة[1].

وللشيخ محاضرات عديدة في موضوعات مهمة ألقاها في مناسبات مختلفة، وطبعتها الجامعة الإسلامية، منها:

١- منهج التشريع الإسلامي وحكمته: عالج فيها العديد من حكم التشريع في كثير من الأحكام.

٢- المثل العليا في الإسلام: بين فيها المثالية في العقيدة والتشريع والأخلاق.

٣- منهج ودراسات لآيات الصفات: وقد أوضح فيها تحقيق إثبات صفات الله تعالى، وقد ألقاها رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامعة الإسلامية بتاريخ (١٣٨٢/٩/١٣هـ).

٤- المصالح المرسلة: وبين فيها ضابط استعمالها.

---

(١) ينظر: آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، ص(٣٥-٣٦).

٥- الإسلام دين كامل: وهي شرح لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣]، ألقاها بالمسجد النبوي عام(١٣٧٨هـ) وكانت بحضور الملك محمد الخامس ملك المغرب عند زيارته للمدينة المنورة.

٦- محاضرة حول شبهة الرقيق: رفع اللبس عن استرقاق الإسلام للأحرار، ألقاها نيابة عنه تلميذه عطية سالم في الموسم الثقافي بالجامعة الإسلامية، ولاتزال مخطوطة[1].

وغير ذلك من المؤلفات النافعة[2].

---

(١) للاستزادة ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٥١ – ٥٧)، وآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد ص(٣٦-٣٧)، ومنهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، للسديس ص(٧٥) وما بعدها، وجهود الشيخ محمد الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (١/٧٧-٧٩).

(٢) ينظر: ترجيحات الشنقيطي التفسيرية في غير أضواء البيان جمعاً ودراسة، للشراري ص(١٩ ــ ٢٨).

ثامناً: عقيدته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بالرغم من أن العقيدة السائدة في موريتانيا هي العقيدة الأشعرية[١] إلا أن الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان في موريتانيا سلفي العقيدة، بل ويدعو إليها، ويحذر الناس من البدع والأهواء، وقد عبَّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك حين سئل عن مذهب أهل السنة في آيات الصفات وأحاديثها - وكان وقتئذ في موريتانيا و لم يكن قد أتى إلى المملكة بعدُ - فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن المذهب الذي يَسْلَمُ صاحبُهُ من ورطتي التعطيل والتشبيه هو مذهب سلف هذه الأمة من الصحابة، والقرون المشهود لهم بالخير، وأئمة المذهب، وعامة أهل الحديث، وهو الذي لا شكَّ أنه الحق الذي لا غبار عليه، وضابطه: مجانبة أمرين: وهما التعطيل والتشبيه؛ فمجانبة التعطيل هي أن تثبت لله عز وعلا كل وصف أثبته لنفسه، أو أثبته له نبيه ﷺ؛ إذ من الضروري أنه لا يصف اللهَ أعلم بالله من الله، ولا من رسوله صلوات الله وسلامه عليه الذي قال عنه ربه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

ومجانبة التشبيه: هي أن تعلم أن كل وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه، أو أثبته له نبيه ﷺ: فهو ثابت له حقيقة على الوجه البالغ من كمال العلو والرفعة والشرف ما يقطع علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]"[٢].

وقد ذكر الشيخ محمد الناجي أنه أتى الشيخ الشنقيطي بكتاب التوحيد للشيخ محمد

---

(١) أصحاب هذه العقيدة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، ويثبتون سبع صفات، ويأولون بقيتها، فيثبتون العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والحياة، يثبتونها حقيقةً، ويجعلون الباقي مجازاً، هذا مذهبهم. ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني (٩٤/١)، وقد رجع رحمه الله إلى مذهب أهل السنة، وكتاب الإبانة ، و كتاب مقالات الاسلامين ، و أهل الثغر شاهدة على رجوعه.

(٢) ينظر كتابه: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ص(٤٨ ـــ ٧٠).

ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال له: يا شيخ، ماذا في هذا الكتاب، هل هو كتاب طيب؟ فقال له: هذا كتاب ليس فيه من أوله إلى آخره إلا آيات وأحاديث، واقرأه إن شئت[١].

ومن الأدلة على صحة اعتقاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أولا: باستعراض تفسير الشيخ الشنقيطي لبعض الآيات وخصوصاً آيات الصفات يمكن الاستدلال منها على عقيدته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنها:

١- قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.. الآية [الأنعام:١٠٣].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "هذه الآية الكريمة توهم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه يرى بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم...والمنفي في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكنه، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يدل على أنه تعالى مستو على عرشه عال على جميع خلقه، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، يوهم خلاف ذلك.

والجواب: أنه تعالى مستوٍ على عرشه كما قال بلا كيف ولا تشبيه، استواء لائقًا بكماله وجلاله، وجميعُ الخلائق في يده أصغرُ من حبة خردل، فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام، ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا، فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق[٣].

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطوبان (٦٨/١).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (١٩١ ــ ١٩٣).

(٣) المصدر السابق ص(٤٠٥ ــ ٤٠٦).

٣- قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ ﴾ [الشمس:٨].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: " أما القدرية[١] فضلوا بالتفريط حيث زعموا أن العبد يخلق عمل نفسه استقلالاً من غير تأثير لقدرة الله فيه.

وأما الجبرية[٢] فضلوا بالإفراط حيث زعموا أن العبد لا عمل له أصلاً حتى يؤاخذ به.

وأما أهل السنة والجماعة: فَلَمْ يُفرِطُوا وَلَمْ يُفَرِّطُوا، فأثبتوا للعبد أفعالا اختيارية... وأثبتوا أن الله خالق كل شيء، فهو خالق العبد وخالق قدرته وإرادته، وتأثير قدرة العبد لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى"[٣].

ثانيا: أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ درَّس بالحرم النبوي، ومن المعلوم أن التدريس في الحرمين وغيرهما من المساجد لا يكون إلا بعد توفر الشروط اللازمة والتي أهمها صحة الاعتقاد، وقد جاء في نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي ما يلي: (جميع المدرسين الرسميين في المساجد يكون تعيينهم وفصلهم وتنقلاتهم وإجازاتهم وغير ذلك من اختصاص رئاسة القضاء من حقها مراجعة الدروس التي يلقونها بحيث لا يقرر فيها ما يخالف العقيدة ويتنافى مع الشرع الشريف...)[٤].

ثالثا: أن رجلا سأل الشيخ وهو يلقي درسًا في بيته عن الصفات، فقال: أكنت تقول

(١) القَدَرِيَّةُ: هم القائلون بأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، ومتقدمو القدرية ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، أما متأخروهم فيثبتون العلم، وينازعون في الإرادة، وخلق أفعال العباد، وقد كفَّر السلف متقدمي القدرية المنكرين للعلم، وأول من أظهر القول بالقدر: معبد الجهني بالبصرة، في أواخر عهد الصحابة، واشتهر إطلاق لفظ القدرية على المعتزلة، لاتفاقهم على القول به، ولنشرهم له، لا لانفرادهم به. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري، ت: محمد عبد الحميد (١/١١٥)، منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (١/٩٠).

(٢) الجبرية: الجبرية هم الذين لا يُثبتون للعبد فعلا، ولا قدرة على الفعل أصلا، فلا فِعْلَ لأحدٍ إلا لله، وتُنسب الأفعال للعباد على سبيل المجاز، وأهم من قال بهذا القول وأشهره: الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان. ينظر: التبصرة في معالم الدين، للطبري، ت: الشبل (١٧٣ - ١٧٦)، مقالات الإسلاميين، للأشعري، ت: محمد عبد الحميد (١/٣٣٨)، الملل والنحل، للشهرستاني (١/٨٧).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٧٨-٤٨٠).

(٤) تاريخ التعليم في مكة المكرمة، د. عبد الرحمن صالح عبد الله (٤٤).

هذا في بلدك؟ قال: نعم كنت أقول به[١].

بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ يُصَحِّحُ العقائد للمخالفين والعامة، يقول تلميذه أحمد بن محمد الأمين ابن أحمد الجكني: "ولكننا نحمد الله تعالى أن تفضل به علينا ومتعنا به مدة من الزمن، يعني الشيخ الأمين - تمكن فيها من تصحيح عقائدنا مما كنا نتشبث به من عقيدة الأشعرية، وما كان فيها من رواسب مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري[٢] الأول أيام كان الناطق باسم زوج أمه الجبائي[٣] شيخ المعتزلة"[٤][٥].

---

(١) ينظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (١/٦٦).

(٢) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري البصري، ولد سنة (٢٦٠هـ)، أحد أئمة المتكلمين، صاحب الكتب، والتصانيف في الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة، أخذ علم الكلام عن شيخه أبي علي بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة، ثم فارقه الأشعري ورجع عن الاعتزال، وتوفي سنة (٣٢٤هـ). ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٣/٢٦٠)،طبقات الشافعيين، لابن كثير (٢٠٨ ـــ ٢١٠).

(٣) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي، ولد سنة (٢٣٥هـ)، رأس المعتزلة وكبيرهم ومن انتهت إليه رياستهم وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)، وله تصانيف، منها: الرد على الأشعري في الرؤية، توفي سنة (٣٠٣هـ).
ينظر: تاريخ بغداد، للبغدادي (١٢/ ٣٢٧)، لسان الميزان، لابن حجر (٧/ ٣٢٤).

(٤) المعتزلة: هم فرقة من القدرية، خالفوا قول الأمة في مسألة مرتكب الكبيرة، بزعامة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، زمن التابعي الجليل الحسن البصري رحمه الله تعالى، ولهم أصول عقدية خمسة يتفقون عليها فيما بينهم، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ينظر: الفرق بين الفِرَق، للبغدادي (١١٧ ـــ ١١٨)، والملل والنحل، للشهرستاني (١/٤٣) وما بعدها.

(٥) مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن احمد الشنقيطي ص(٣٠٦).

تاسعاً: وفاته وثناء العلماء عليه

أ- وفاته:

توفي الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السابع عشر ضحى يوم الخميس من شهر ذي الحجة عام (١٣٩٣هـ)، وعمره قد قارب الثمانية والستين عامًا، وذلك بعد أن أدى فريضة الحج، وصلى عليه الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحرم المكي مع من حضر من المسلمين بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم.

وفي ليلة الأحد الموافق العشرين من ذي الحجة أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي، وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام وخطيب المسجد النبوي بعد صلاة العشاء مباشرة، ودُفن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمقبرة المعلاة بِرَبْعِ الحَجُونِ[1] بمكة، وفُجع بموته العلماء ورثاه الشعراء فـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة[2].

ب- ثناء العلماء عليه:

١- يقول الشيخ عبدالرحمن السديس صاحب رسالة (منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان) : كتبت إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسأله عن قوله في الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأجاب: أعرف عن الشيخ المذكور العلمَ الواسعَ بالتفسير واللغة العربية وأقوال أهل العلم في تفسير كتاب الله عز وجل، والزهدَ والورعَ والتثبتَ في الأمر، ومن سمع حديثه حين يتكلم في التفسير يعجب كثيرًا من سعة علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته، ولا يمل سماعَ حديثه، فرحمه الله رحمة واسعة ونفع المسلمين بعلومه[3].

٢- وكذا الشيخ محمد بن إبراهيم (ت١٣٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفتي الديار السعودية في عهده، فقدكان يثني عليه، ويكفي في ذلك ما قاله للملك عبد العزيز طيب الله ثراه: "إنَّ هذا

---

(١) والحَجُون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وهو حي من أحياء مكة الآن. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٧، ٨)، وآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي إشراف بكر أبو زيد ص(٣٩)، منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس (١٧٨، ١٧٩)، ومنسك الإمام الشنقيطي للطيار والحجيلان ص(٣٤، ٣٥).

(٣) منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٩٤)

الرجل مفلوت من صحراء مستعمرة، ولو كان للإسلام في بلده دولةٌ لما تركته يخرج؛ لأنه من العلماء الأفذاذ"(١).

٣- ويقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد صحبه نحو ثلاث سنوات في الجامعة الإسلامية: "من حيث جمعه لكثير من العلوم ما رأيت مثله، كأنما حينما يلقي محاضرة يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص وبخاصة الآيات القرآنية بشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوة استحضاره للآيات التي تتناسب مع البحث الذي هو يخوض فيه...)(٢).

٤- وقال عنه الشيخ حماد الأنصاري (ت١٤١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد علماء المدينة: "بارع في علوم كثيرة لا سيما في الوسائل اللغوية: الأدب، النحو، التصريف، البلاغة، المنطق، أصول الفقه، والفقه المالكي...وكذلك في التفسير له باع طويل في تفسيره بالقرآن والسنة، ولكن السنة تقوَّى فيها بعد التدريس في الحرم والرياض، وله حافظة نادرة قوية ويعتبر في وقته نادرًا...)(٣).

٥- وقال الشيخ بكر أبوزيد (ت١٤٢٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لو كان في هذا الزمن أحدٌ يستحق أن يسمى شيخ الإسلام لكان هو"(٤).

٦- وقال الشيخ محمد بن عبد الله بن آدُ: "إني حضرت عند كثير من العلماء في مصر والشام ومكة والمدينة وموريتانيا، فلم أر قطُّ أحداً أعلم من الشيخ محمد الأمين لا في التفسير، ولا في اللغة العربية، وأكبر دليل على ذلك: "أنه إذا أراد أن يتكلم في التفسير، وجاءت مسألة في التفسير، أو في الأصول أو التاريخ أو الأدب أو الحديث، وتكلم عليها يظنّ السامعون أنّ ذلك الحديث عن تلك المسألة - لخبرته وقوته في تلك المسألة التي يتكلم فيها - خارجًا عن التفسير، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحفظ الأدب والشعر بشكل لا يتصور"(٥).

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطوبان (١/٨٥).

(٢) منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٩٤).

(٣) المصدر السابق ص(٩٦).

(٤) المصدر السابق ص(٩٦).

(٥) المصدر السابق: (١/٨٤).

٧- يقول الشيخ عطية سالم عن شيخه الشنقيطي: "لقد كانت أعماله تترجم عنه ومؤلفاته تُعرف به؛ حتى عرفه الصغير والكبير، والقاصي والداني، والعالم والعامي، فلم تكن وفاته رزءًا على فرد أو أسرة أو جماعة أو قطر، ولكن على العالم الإسلامي كله".

٨- وقال الشيخ محمد المجذوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحق أن الشيخ الأمين كان في هذه الدروس بحرًا لا يدرك البصر شاطئه وحجة لا ترد"(١).

وقال: "صحبت الشيخ سنين في مجلس الجامعة فلم يختلف عليَّ أمره...إنه كان نفسه الذي أعرفه في قاعة الأساتذة، وفي مجلس العلم، وفي حديثه الخاص حيثما لقيته"(٢).

٩- وقال الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سمع بيان الشيخ لعقيدة السلف: "جزى الله عنا الشيخ محمد الأمين خيرًا على بيانه هذا؛ فالجاهل عرف العقيدة، والعالم عرف الأسلوب والطريقة"(٣).

١٠- يقول د.عبدالعزيز الطويان -حفظه الله-: قال لي الشيخ محمد بن عبد الله بن آدُ: "سألت الشيخ عبد الله بن زاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد مقابلته للشيخ الأمين عند مجيئه من بلاده ومحاورته عن العقيدة: "كيف رأيت صاحبي؟ قال: لا نظير له، ولامثيل له؛ فنحن تأتينا وفود العلماء من كلّ جهة؛ لأننا عند الحرمين، و لم أرَ كقدرة الشيخ محمد الأمين على الإلقاء، ومطاوعة قلبه ولسانه في اتجاه واحد، وحسن تعبيره عند أيٍّ أحد ممن رأيت من العلماء"(٤).

وبهذا الثناء الجميل والذكر الطيب من علماء عصره تتجلى لنا المنزلة الرفيعة، والمكانة العلمية، والأخلاق الزاكية لهذا الإمام الجليل، والشخصية النادرة، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفع بعلمه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



(١) علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب (١/١٨٤).

(٢) المصدر السابق (١/١٨٤).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٣٨-٣٨).

(٤) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للطويان (١/٨٤).

٢- التعريف بكتاب

"دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"

وفيه :

أولًا: تسمية الكتاب.

ثانيًا: سبب تأليف الكتاب، وزمن تأليفه ومكانه وترتيبه بين مؤلفاته.

ثالثًا: طبعات الكتاب.

رابعًا: موضوع الكتاب وقيمته العلمية.

أولًا:

تسمية الكتاب

صرح الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بتسمية كتابه على هذا النحو في مقدمة الكتاب فقال: وسميته "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"[١]، وفي كتاب مذكرة في أصول الفقه، كما ورد ذكره كثيرا في الأضواء[٢].

وقد اعترض على هذه التسمية بعض المعاصرين؛ خشية أن يكون في هذه التسمية نسبةُ نقص إلى بيان القرآن.

غير أنَّ هذه التسمية وقريب منها جرى عليها كثير من علماء الإسلام لا سيما في مجال علوم القرآن؛ كالزركشي[٣]، والسيوطي[٤] وغيرهما؛ حيث أوردوا أبوابًا تحت اسم: علم معرفة موهم الاختلاف والتناقض[٥].

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، تحقيق: أحمد بن محمد بدوي (٣٠)، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، ط١، (١٤٣٦هـ).

(٢) مذكرة في أصول الفقه ص (٣٧٦)، أضواء البيان، للشنقيطي (١/٢١٤)، (٢/٤٠)، (٢/٤٤).

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، فقيه شافعي، أصولي، مفسر، أديب، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، سمع بحلب وبدمشق، ودرس وأفتى، وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، من تصانيفه الكثيرة: "البرهان في علوم القرآن"و" البحر المحيط في أصول الفقه"، توفي سنة (٧٩٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر (٥/ ١٣٥)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٣/ ١٦٧).

(٤) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، محدث، مفسر، أديب، نشأ في القاهرة يتيمًا، وحفظ القرآن وله دون ثمان سنين، وشرع في الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤هـ وأجيز بتدريس العربية بعد سنتين، وبالتدريس والإفتاء سنة ٨٧٦هـ. وشرع في التصنيف في سنة ٨٦٦هـ وحين وصل الأربعين من العمر اعتزل الناس، وخلا بنفسه في منزله، وتجرد للعبادة والتصنيف، له نحو ٦٠٠ مصنف،من أشهرها " الإتقان في علوم القرآن"و"الدر المنثور" توفي سنة (٩١١هـ). ينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للقنوجي (ص: ٣٤٢).

(٥) اختلفت تسميته عند العلماء؛ فالزركشي في البرهان(٢/٤٥) سماه: معرفة موهم المختلف، وسماه السيوطي في الإتقان(٣/٨٨): النوع الثامن والأربعون: في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض ، ويسمى أيضًا: موهم الاضطراب، وكذلك: أسئلة القرآن، ومتشابه القرآن، ومختلف القرآن، والبعض يسميه: جوابات القرآن. ينظر: =

يقول القنوجي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنما قلنا: موهم الاختلاف والتناقض؛ إذ كلام الله تعالى خالٍ عنهما حقيقة، وإنما يكون ذلك بالنسبة إلى الأوهام القاصرة"[2].

وقد وردت في ترجمة الشيخ عطية لشيخه الشنقيطي: (عن آي الكتاب) ونقلها عنه الدكتور خالد السبت في مقدمة العذب النمير[3]، وكذا وردت في ترجمة الدكتور المحذوب للشيخ الشنقيطي[4]، وكذا في "التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط"، وتفسير سورة النساء، وشرح أصول في التفسير للشيخ ابن عثيمين[5]، ولعله تسمُّحٌ منهم؛ إذ إن الشنقيطي أوردها في أول الكتاب نفسه بلفظ "آيات" بصيغة جمع المؤنث السالم وهو من جموع القلة، وذكرها كذلك في أكثر من موضع في "أضواء البيان" وغيره[6].



= دعاوى الطاعنين في القرآن في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن المطيري، ص (٢٧ ـ ٣٠) بتصرف.

(١) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب، ولد سنة (١٢٢٨هـ)، نشأ في قنوج بالهند، وهو من رجال النهضة المجددين، له تصانيف باللغات الثلاث: العربية والهندية والفارسية، منها: أبجد العلوم، وفتح البيان في مقاصد البيان، ، وتوفي عام (١٣٠٧هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي (٦/١٦٨)، مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن بن عبداللطيف،ص (٢٧٤).

(٢) أبجد العلوم، للقنوجي (١/٥١٩)، وينظر: مشكل القرآن الكريم، المنصور ص(٩٧).

(٣) العذب النمير، د. خالد السبت (١/٥١).

(٤) علماء ومفكرون عرفتهم للمحذوب (١/١٨٧).

(٥) تفسير القرآن الكريم، الشيخ محمد العثيمين، سورة النساء (٢/١٩)، شرح أصول في التفسير ص(٢٩٤).

(٦) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠).

ثانيًا:

سبب تأليف الكتاب، وزمن تأليفه ومكانه وترتيبه بين مؤلفاته

ذكر الشيخ عطية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان سببًا في تأليف الكتاب، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد كان سببه التوفيق بين قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ [الصافات:٢٤، ٢٥] مع قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمن:٣٩].

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ باستفاضة، وذكر لها أمثلة عديدة، قائلاً: إن السؤال متنوع، والمواقف متعددة؛ فسألته عن تأليف فيها؟ فقال: لا أعلمه، فكان رجائي منه أن يؤلف فيه؛ لنفع المسلمين، فوعد خيرًا، ثم فعل[1].

- وقد ألّف الشنقيطي كتابه هذا في خمس عشرة ليلة من إجازة الامتحانات لعام ١٣٧٣هـ؛ وذلك بالمدينة النبوية كما ذكر ذلك في آخر الكتاب[2].

وقد نقل الشيخ الشنقيطي من كتابه "دفع إيهاب الاضطراب" في كتابه "أضواء البيان" أكثر من ثمانين مرة، ونقل منه في "مذكرة أصول الفقه" مرة واحدة، فهما تاليان لـ "دفع الإيهام"، ونقل في "دفع الإيهام" عن "رحلته"، فهو سابق على "دفع الإيهام"[3].



(١) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (١٠/٦٩٥- ٦٩٦).

(٢) ينظر: ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٥٠٦)، منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٢١).

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٠٨)، منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، للسديس ص(٢٢).

ثالثًا:

طبعات الكتاب

١- أصدر الشيخ كتابه أول مرة على هيئة مقالات في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتعدُّ هذه الطبعة أفضل طبعات الكتاب من حيث صحة المتن.

٢- وذكر الشيخ عطية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الكتاب طبع بعدها ونفد، وذلك قبل عام ١٣٧٥هـ.

٣- ثم طبع الكتاب مع "أضواء البيان" وتتمته في الجزء العاشر، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٣٩٣هـ.

٤- وللكتاب طبعة بعناية عمر عبد السلام السلامي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥- وطبعته دار عالم الفوائد ١٤٢٦هـ وهو الكتاب الثالث من مشروع آثار الشيخ العلامة الشنقيطي، ضمن مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، بجدة، وقد قالوا عن منهج عملهم في الكتاب: "استفدنا من عدة طبعات للكتاب: الطبعة القديمة التي صدرت في حياة الشيخ، وطبعة أخرى في مجلة الجامعة الإسلامية، وطبعة مكتبة ابن تيمية. صححنا الكتاب أكثر من ثلاث مرات، وراجعنا لحل الإشكالات كتبَ الشيخ الأخرى، وكان في النية الإحالة إلى "أضواء البيان" في المواضع التي تعرَّض لشرحها، لكن لم يتيسر ذلك" اهـ.

٦- وقد ظهر الكتاب محققًا عام ١٤٣٦هـ طبعة أولى، حققه: أحمد بن محمد محمد بدوي، وطبعه: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود[1]، وذكر المحقق عمله فيه، وهو على النحو التالي:

- مراجعة النص على طبعة مجلة الجامعة الإسلامية، والطبعة القديمة - ويعني بها:

(١) وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

المطبوعة مع "أضواء البيان" وتتمته في الجزء العاشر -، وطبعة ابن تيمية، وطبعة المجمع.

- ترقيم السور حسب ورودها في المصحف، وترقيم المسائل ترقيمًا تَسَلْسُلِيًّا[١].

- عزو الآيات على ما رأى المحقق أنه مراد الشيخ، وكذا الأحاديث، وتخريج الأشعار والأرجاز، وتوثيق النقول والأقوال الواردة في الكتاب، والإحالة على "أضـــواء البيـــان"، وتتمته، والتعريف ببعض الأعلام[٢].

---

(١) بلغت (٢٤٢) مسألة.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٢٣ـــ ٢٥)، بتصرف يسير.

رابعاً:

موضوع الكتاب وقيمته العلمية

١ - موضوع الكتاب:

- تضمنت مقدمة كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" بعد حمد الله والثناء عليه أمرين:

الأول: بيان إحكام هذا القرآن الكريم، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فأخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدلٌ، ويصدِّق بعضُهُ بعضًا، ﴿مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣].

الثاني: بيان موضوع الكتاب ومقصوده من هذا التأليف، ومنهجه وطريقته لتحقيق هذا المقصود.

فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان موضوع الكتاب:

"فإن مقيد هذه الحروف- عفا الله عنه- أراد أن يبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يتوهم فيها التعارض في القرآن العظيم"(١).

فموضوعه: بيان أوجه الجمع فيما يتوهم تعارضه من آيات الكتاب الحكيم.

ومنهجه وطريقته كما بيَّنها رَحِمَهُ اللَّهُ:

"مرتباً لها بحسب ترتيب السور، يذكر الجمع بين الآيتين غالباً في محل الأولى منهما وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة وربما يكتفي بذكر الجمع عند الأولى، وربما يحيل عليه عند محل الأخيرة، ولاسيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يتوهم تعارضه إلا تلك الآية؛ فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم"(٢).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٩).

(٢) المصدر السابق ص(٢٩ ــ ٣٠).

وقد كان تناوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ للآيات الموهمة للتعارض عاما دون تخصيص موضوع محددٍ؛ كالفقه أو العقيدة أو اللغة، فهو شامل لما يُتوهم فيه التعارض من الآيات؛ كما بينه بقوله: "مرتبًا بحسب السور"(١).

يقول عنه الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :"وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أمثلة كثيرة في ذلك، ومن أجمع ما رأيت في هذا الموضوع كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله تعالى(٢).

- ويبين الشيخ عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لموضوع الكتاب من أهمية وخصوصية في بابه بقوله:

"وهذا الكتاب من أخصِّ ما كُتبَ في علوم القرآن، وموضوعه: الجواب عن كل ما يوهم تعارضًا أو اضطرابًا بين بعض آيات القرآن مع بعض، وهذا وإن كان موضوعه من حيث هو موجود كمفردات ترد في مجالها من التفسير؛ إلا أنها لم يوجد فيها كتابٌ قد تتبعها في القرآن كله، وجمعها في محل واحد يسهل تناوله، بل ولا يوجد التنبيه على ما جاء فيه في عمومات التفسير"(٣).

- ويوضح الشيخ محمد المجذوب الهدف من هذا الكتاب قائلاً:

"ويريد به إيضاح ما قد يشكل على الغافلين، وما يثيره بعض المُشَكّكِينَ من تَوهم التعارض بين بعضٍ وبعض من آيات الله تعالى"(٤).

وقد تناول الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب جميع سور القرآن الكريم باستثناء (١٢) سورة، وهي: الفاتحة – الشرح – العلق – التكاثر – الهمزة – الفيل – قريش – الكوثر – النصر – المسد – الإخلاص – الفلق. وكلها من قصار السور ولم يذكر فيها شيئًا من توهم التعارض والاختلاف.

وعدد الآيات التي ذكرها في الموهم (٢٤٢) آية مع المكرر.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٩).

(٢) شرح أصول في التفسير لابن عثيمين ص(٢٩٤).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (٢/٦٩٥).

(٤) علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوب (١/١٨٧).

وقد استخدم الشيخ منهجًا واحدًا غالبًا في كتابه وهو: أنه يبدأ بذكر الآية ثم يذكر معناها باختصار شديد، وأحيانًا يذكر بعدها عدة آيات تدل على المعنى نفسه، ثم يورد ما يوهم أنه متعارض مع هذا المعنى المذكور، ثم يذكر الآية الأخرى المشتملة على المعنى المتوهم، ثم يتبعه بأوجه الجمع بين الآيات بدليلها، معلقًا عليها، ناقدًا لها، مرجِّحًا أو مضعِّفًا.

وغالبًا لا يذكر في حل الإشكال إلا وجهًا واحدًا وربما زاد على ذلك[١]، وله مع هذه الأوجه ثلاث حالات:

الحالة الأولى: ترجيح أحد هذه الأوجه على غيرها، أو استحسانه بعدة عبارات كقوله: "وهو الحق"[٢]، "وهو أحسنها وأقربها"[٣]، "ويظهر لي أنه الصواب"[٤]، "وهذا الوجه هو الأظهر"[٥]، "والذي يظهر لنا أن القول بالنسخ أرجح"[٦]، وغيرها من العبارات.

الحالة الثانية: تضعيف أحد الأوجه واستبعاده له بعدة عبارات كذلك كقوله: "...ولا يخفى ضعف هذا القول وبُعْدُهُ عن ظاهر القرآن"[٧]، "فهو ظاهر الضعف"[٨]، "وهذا أضعفها"[٩]، وغيرها من العبارات.

الحالة الثالثة: ترك الأقوال بلا ترجيح، وكأنه متوقف في المسألة، أو أن الأوجه

---

(١) ومن الأمثلة على ذلك: [٧] أوجه: ص(٢٨١)، و [٥] أوجه ص(١٢٩، ٤٥٢)، و [٤] أوجه ص(١٠٩، ٢١٤، ٢٣٠، ٤٥، ٤٦٢)، و [٣] أوجه ص(٣١، ٦١، ٩٧، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٩٣، ٣٤٩، ٤٩٢)، و [وجهان] ص(٥٧، ٩٠، ١٨٨، ٢٧٤، ٣٧٠، ٤٠٤، ٤٨٥، ٥٠٤).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب، ص(٧٥).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٨٠).

(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٨١).

(٥) ينظر: المصدر السابق ص(١٠٥).

(٦) ينظر: المصدر السابق ص(٣٤٦).

(٧) ينظر: المصدر السابق ص(١١٢).

(٨) ينظر: المصدر السابق ص(١٠٩).

(٩) ينظر: المصدر السابق ص(٣١٥).

المذكورة كلها تصلُح أن تكون حلاً للإشكال[١][٢].

وليست للشيخ منهجية محددة في ترتيب أوجه الجمع بين الآيات من حيث القوة والضعف.

فقد يذكر القول الراجح في البداية، ومن ثمّ يعقبه بالقول المرجوح أو الضعيف، أو العكس.

وإن كان للشيخ رأيٌ في الجمع فإنه يذكره بعد سرده لأوجه الجمع، قائلا: "قال مقيده عفا الله عنه"[٣].

وسيأتي مزيد بيان لمنهجه وسماته العامة خلال طيات هذه الرسالة.

ب -قيمة الكتاب العلمية:

تتجلى أهمية الكتاب وقيمته العلمية في أمور منها:

أولاً: تعلقه بكتاب الله تعالى الذي هو أعظمُ كتاب وأشرفُ كلام.

ثانيًا: قيمته الكبيرة عند العلماء، فهو كما تقدَّم عمدة في باب دفع توهم التعارض والاختلاف.

ثالثًا: قيمة الكتاب في كونه فريدًا في بابه، عزيزًا في علمه، عظيمًا في نفعه، وشاملاً في بحثه واستقصائه.

أما أهميته بالنسبة للقارئ: الحثُّ على التدبر، وإعمال الفكر بعد فَهم المعنى، والأخذ بقواعد التفسير.

وقد تميَّز الكتاب بعدة ميزات، من أهمها:

١- سلامة العقيدة للمؤلف، مع بيان معتقدات بعض الفِرَق المخالفة لأهل السنة كالقدرية والجبرية[٤].

(١) ينظر: المصدر السابق ص(١٣١).

(٢) ينظر: المؤلفات في مشكل القرآن الكريم ومناهجها، د.عبد الرحمن بن سند الرحيلي ص(٥٤٧)

(٣) ينظر منها: المصدر السابق ص(٧٧، ١١٣، ١٣٤، ١٥٤، ١٦٧، ١٩٧، ٢٢٥، ٢٣٤، ٣١٧، ٣٩٦، ٤١١).

(٤) ينظر: ص (٢٠٢، ٢٠٣، ٤٧٨).

٢- التنبيه على الإسرائيليات[1] عند ذكرها[2].

٣- ذكر أكثر من حلٍّ لموهم التعارض، وتعداد الأوجه في ذلك.

٤- الاعتماد على مصادر التفسير الأساسية في حل موهم التعارض والاختلاف؛ فقد اعتمد الشيخ اعتمادًا كبيرًا على كتابين عظيمين من كتب التفسير، وهما: كتاب جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري[3]، وكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير[4]، فالشيخ دائمًا ما يذكر اختيارهما، وأقوالهما، وينقل عنهما، فيوافقهما أحيانًا، ويخالفهما أحيانًا أخرى،

---

(١) الإسرائيليات: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل، وحكمها: تكذيب ورفض ما تعارض مع القرآن وتنافى مع العقيدة، وتصديق وقبول ما وافقهما، وما سُكِت عنه لا يُصدق ويقبل ولا يُكذب ويرفض؛ إمتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا ... " الآية. ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد الذهبي (١/٤٨)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد أبو شهبة (١٤).

(٢) ينظر: ص(١٠٣، ٣٣١).

(٣) هو: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، صاحب التفسير الكبير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدًا، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، وعن تفسيره يقول النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يُصنف مثل "تفسير الطبري"، توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد، للبغدادي: (٢/ ٥٤٨)، وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٤/ ١٩١)، وطبقات المفسرين، للسيوطي: (٩٥)، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للقنوجي ص(٩٦).

من تلك المواضع، ينظر:(٣٢، ٩٩، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١٥٢، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٨٢، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٢٢)

(٤) هو: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، قال عنه الذهبي: الإمام المحدث المفتي الفقيه، محدث متقن، قال الحافظ ابن حجر: ولازم المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه، وامتحن بسببه، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته له مؤلفات كثيرة كـ'تفسيرالقرآن العظيم'، و'البداية والنهاية' و'جامع المسانيد والسنن' وغير ذلك، توفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن: (ص: ٤٢٨)، وطبقات المفسرين، للداوودي: (١/ ١١٢)، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للقنوجي (ص: ٣٥٧).

من تلك المواضع، ينظر: (٣٣، ٩٩، ١٠٩، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٤، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٦٩، ٢٩٨، ٣١٦، ٣٢١، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٨).

وأحيانًا يناقش أقوالهما إذا خالفهما.

ويأتي بعدهما تفسير روح المعاني للآلوسي(١)، فقد نقل عنه الشيخ في حلّه للإشكالات في كثير من المواضع(٢).

٥- نسبة الأقوال إلى أصحابها(٣).

٦- مناقشة الأقوال عند ذكرها، وبيان صحيحها من ضعيفها؛ فهو يجيب ويوضح الجواب ويعترض عليه، ويجيب عنه.

وأكثر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من الإحالات، وتكرير الآيات التي تقدَّم الكلام عليها، حيث بلغ عدد الآيات المكررة التي سبق ذكرها مع ما يوهم التعارض معها (٣٠) آية تقريباً(٤)(٥).

وذلك حرصًا منه رَحِمَهُ اللَّهُ على الاختصار، وتجنبًا لسآمة التكرار.

٧- ذكر فوائد عزيزة ومتينة(٦).

٨- التحقيق العلمي المتين؛ ويرجع السبب في ذلك إلى ضلوع مؤلفه رَحِمَهُ اللَّهُ في علم التفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه والفقه واللغة والبلاغة.



(١) هو: أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي، ولد سنة ١٢١٧هـ أخذ العلم عن فحول العلماء، ومنهم والده العلامة، كان متمسكاً بالسنن متجنباً عن الفتن، وكان جل ميله لخدمة كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ، اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرس ووعظ وأفتى للحنفية في بغداد، ومن مؤلفاته: تفسيره المسمى بروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ. ينظر: "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، لابن البيطار: (ص: ١٤٥٠)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦).

(٢) ينظر منها: (١٠٦،١٥٤،٢٧٢،٢٧٨،٢٨٠،٢٨٣،٣٢٨،٤٩٨)

(٣) ينظر: ص (٤٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ٢٢١، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣١٢).

(٤) ينظر: ص (٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٤، ٤٨٥، ٤٦١، ٤٥٠، ٤٤٨، ٤٤٤، ٣٣٨، ٣٣٧، ٤٣٢، ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٥، ٤٢٣، ٤٢٢، ٤١٨).

(٥) ينظر: المؤلفات في مشكل القرآن الكريم ومناهجها، د.عبد الرحمن بن سند الرحيلي ص(٥٤٦ ـ ٥٥٢).

(٦) ينظر: ص(٦٤، ٧٧، ٨٩، ١٦٦، ١٧٠، ٢٢٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٩٠).

الفصل الأول

موهم التعارض، وعناية العلماء به، وثمراته

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف موهم التعارض والاختلاف والعلاقة بينه وبين مشكل القرآن.

المبحث الثاني: عناية العلماء بدفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

المبحث الثالث: القاعدة في باب موهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

المبحث الرابع: أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

المبحث الخامس: طرق دفع توهم التعارض والاختلاف.

المبحث السادس: ثمرات علم موهم التعارض والاختلاف.

المبحث الأول

مُوهِمُ التعارض والاختلاف والعلاقة بينه وبين مشكل القرآن

أولاً: تعريف مُوهِم التعارض والاختلاف:

(أ) المُوْهِمُ:

١- الموهم لغةً:

أَوْهَمَ يُوْهِمُ إِيْهامًا، فهو مُوْهِم: اسم فاعل من أوهم، والأصل الثلاثي: وَهِمَ.

ومعناه في اللغة: "من خطرات القلب، والجمع أوهام، وللقلب وهمٌ. وتَوَهَّمَ الشيءَ: تَخَيَّلَهُ وتمثَّله، كان في الوجود أو لم يكن. وقال: تَوَهَّمْتُ الشيءَ وتَفَرَّسْتُهُ وتوسمته وتبينته بمعنىً واحد"[١].

٢- الموهم اصطلاحاً:

يمكن أن يُعرَّف (الموهم) بأنه: (تصور الشيءِ على غير حقيقته)، أو (السهو والغلط في أمر من الأمور على سبيل التخيل والظن)[٢].

وقد ورد عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ما يدل على أن الوهم معناه: السهو والغلط وما يخطر في القلب على الواقع؛ حيث قالت عن عمر بن الخطاب ﷺ: "وَهِمَ عمرُ، إنما نهى رسول الله ﷺ أن يُتَحَرَّى طلوع الشمس وغروبها"[٣].

والموهِم: ما يجعل القلبَ يذهب إلى المعنى الذي لا يُقصد؛ فيكون سببًا للوهم[٤].

---

(١) لسان العرب، مادة (وهم)، (١٢/٦٤٣).

(٢) موهم التعارض بين القرآن والسنة (دراسة نظرية وتطبيقية) من أول سورة الأعراف حتى نهاية سورة الحجر، تركي بن سليمان النشوان ص(١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المسافرين، باب لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، حديث رقم:(٨٨٣)، (١/٥٧١).

(٤) موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، ياسر الشمالي، (ص:٣٥)، رسالة ماجستير.

(ب) التعارض:

١- التعارض لغة:

مصدر للفعل تَعَارضَ، وهو يدل على المشاركة بين اثنين فأكثر، وأصله راجعٌ لمادة (عَرَضَ) ومعاني هذه المادة دائرةٌ حول الآتي:

الأول: المنع، يقال: عَرَضَ الشيءُ يعْرِضُ واعترضَ، إذا انتصب ومنع وصار عارضًا؛ كالخشبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها.

الثاني: **الظهور**، يقال: عرض عليه الشيء، إذا أظهره وأبداه، ومنه قول تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة:٣١].

الثالث: المعارضة، يقال: عَارَضَ الشيءَ بالشيءِ معارضةً، أي: قابله، وعارضتُ كتابي بكتابه، أي: قابلته، وفي الحديث: "إن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه العام مرتين"[١].

الرابع: المساواة والمِثل، يقال: عارض فلان فلانًا إذا فعل مثل فعله، وأتى إليه مثل الذي أتى به[٢].

والمنع هو المقصود في معنى التعارض الذي يقع بين النصوص الشرعية؛ بمعنى أن أحد الدليلين يمنع مدلول الآخر، ويعترض له.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به، حديث رقم: (٦٢٨٥)، (٨/٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، حديث رقم:(٢٤٥٠)، (٤/١٩٠٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) ينظر في معاني هذه المادة: الصحاح، للجوهري، مادة (عرض)، (٣/١٠٨٢)، ومقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (عرض)، (٤/٢٦٩)، ولسان العرب، لابن منظور، مادة (عرض)، (٧/١٦٥ـ ١٦٩) والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة (عرض)، (١/٦٤٥ـ ٦٤٧).

٢- التعارض في الاصطلاح:

أكثر من تناول التعارض بهذا الاسم هم "الأصوليون"، وأما علماء علوم القرآن فقد تناولوه تحت اسم "موهم الاختلاف والتعارض".

وقد تعددت تعريفات الأصوليين للتعارض، أذكر منها ما يلي:

- قال البزدوي(١): "تقابل حُجَّتَيْنِ على السَّواء لا مَزِيَّة لإحداهما في حكمين متضادين"(٢).

- وقال السَّرَخْسِي(٣): "تقابل الحجتين المتساويتين على وجه يوجب كل واحد منهما ضدَّ ما يوجبه الآخر؛ كالحِلِ والحُرْمة، والنفي والإثبات"(٤).

- وقال الفُتُوحي(٥): "تقابل دليلين - ولو عَامَّين - على سبيل الممانعة"(٦).

---

(١) هو: علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد، أبو الحسن، البزدوي، ولد سنة (٤٠٠هـ)، صاحب الطريقة على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان حسن الصمت، ساكناً، وقوراً، ملازماً بيته، حسن الصلاة، له كتاب "المبسوط" أحد عشر مجلدا، وشرح كتاب"الجامع الكبير" وشرح كتاب " الجامع الصغير" وكتابه في أصول الفقه مشهور، توفي (٤٨٢هـ). ينظر: تاج التراجم، لابن قطلوبغا ص(٢٠٥)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين الغزي ص(٢٣٨).

(٢) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣/٧٧).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي، فقيهًا أصوليًا مناظرًا، أملى "المبسوط في الفقه" في السجن ، وقد شاع أنه أملاه من حفظه من غير مراجعة إلى كتب، توفي في حدود (٤٩٠هـ). ينظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ٢٣٤)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي (٢/ ٢٨).

(٤) أصول الفقه للسرخسي، ت: أبو الوفا الأفغاني (٢/١٢).

(٥) هو: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، الشهير بابن النجار: الفقيه الحنبلي، والأصولي اللغوي المتقن، ولد بمصر سنة (٨٩٨هـ) وأخذ العلم عن والده شيخ الإسلام، برع في فني الفقه والأصول، وانتهت إليه الرياسة في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، حتى قال عنه ابن بدران"كان منفردًا في علم المذهب"، من مصنفاته: "منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات"، توفي سنة (٩٧٢هـ).ينظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد ص(١٤١)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران الدمشقي ص(٢٢٥).

(٦) شرح الكوكب المنير، للفتوحي، ت: محمد الزحيلي و نزيه حماد ص(٦٣٤).

(ج) الاختلاف:

١- الاختلاف لغةً:

من الفعلِ (اختلف)، والاختلاف ضدُّه الاتفاق، ويقال: "تخالف القوم، واختلفوا: إذا ذهب كل واحد منهما إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"[(١)].

وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف[(٢)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ [الأنعام:١٤١]. أي: "مختلفًا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب..."[(٣)].

٢- الاختلاف اصطلاحًا:

"والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقًا غير الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"[(٤)].

ولهذا قسَّم ابن قتيبة[(٥)] الاختلاف إلى نوعين، فقال:

"الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لا يجوز، ولست واجده - بحمد الله - في شيء من القرآن، إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ، واختلاف التغاير جائز..."[(٦)]

---

(١) المصباح المنير، مادة (خَلَفَ)، (١/١٧٨- ١٧٩).

(٢) لسان العرب، مادة (عَرَضَ)، (٩/٨٢- ٨٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر (١٢/١٥٧).

(٤) المفردات، للراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، مادة (خَلَفَ)، (١/٢٩٤).

(٥) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري النحوي اللغوي العالم، صاحب التصانيف الحسان في فنون العلوم، ولد ببغداد، ونشأ بها وتأدب، وأقام بالدينور مدةً فنُسِبَ إليها، من تصانيفه: "غريب القرآن،" و "غريب الحديث"، توفي عام (٢٧٦هـ). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (٢/ ١٤٣)، البداية والنهاية، لابن كثير (١١/٤٨)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/٦٣ - ٦٤).

(٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين (١/٣٣).

- **معنى موهم التعارض والاختلاف في القرآن:**

يجدر الآن أن أبين معانيَ هذا المركب باعتباره مصطلحًا أسير عليه في هذا البحث، فمن مطالعة أقوال العلماء أجد أن المراد منه:

"العلم الذي يبحث في النصوص القرآنية التي يتوهم من ظواهرها التعارض والاختلاف، سواء كان ذلك في اللفظ أو المعنى، ثم دفع ذلك التوهم؛ ببيان المراد من النصوص والجمع بين معانيها، وذكر سبب الإيهام الواقع"(١).

ويمكن أن يُعرَّف بأنه: "تقابل آيتين أو أكثر على وجه تمنع كل منهما مقتضى الآخر تقابلاً ظاهرًا"(٢).

وعرَّفه الشيخ ابن عثيمين بعبارة واضحة ويسيرة كعادته رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: "موهم التعارض في القرآن أن تتقابل آيتان؛ بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى، مثل: أن تكون إحداهما مثبتة لحكم، والأخرى نافية له"(٣).

ثانياً: العلاقة بين موهم التعارض والاختلاف ومشكل القرآن:

تظهر العلاقة في أمورٍ، منها:

١- **المشكل**: ما غَمُضَ معناه، وأشكل فهمه من الآيات، وسُميَ بذلك لأنه دخل شكْل غيره فأشبهه وشاكله"(٤).

فهو يتناول كلَّ إشكال يطرأ على الآية.

وأما موهم التعارض والاختلاف: فهو خاص بالآيات التي يتوهم من ظاهرها تعارضًا

---

(١) موهم التناقض والاختلاف في القرآن الكريم، ياسر بن أحمد الشمالي ص(٤٢).

(٢) ينظر: منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث، د. عبد المجيد سوسوة ص(٥١).

(٣) شرح أصول في التفسير، لابن عثيمين ص(٥١).

(٤) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص(١٠٢).

واختلافًا مع غيرها من الآيات وحسب.

٢- أسباب المشكل إما أن تكون متعلقة بالألفاظ أو المعاني أو الإعراب أو توهم التعارض؛ ويكون دفعه بمعالجة السبب.

وأما موهم التعارض فإنه يرجع إلى نصين متقابلين في الدلالة ظاهرًا فموهم التعارض إذن نوع من أنواع المشكل، ولهذا عدَّه ابن قتيبة في مؤلفه "تأويل مشكل القرآن" بابًا من أبواب المشكل.

٣- أن توهم التعارض هو سبب لحصول الإشكال؛ فهو مرحلة سابقة له، فما يُتوهم تعارضه يسمى مشكلا، وليس كل مشكل يسمى موهمًا للتعارض.

وعليه فالمُشْكِل أعمُّ والتعارض أخَصُّ؛ فبينهما عموم وخصوص مطلق[1].

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص(١٠٢)، وجهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د. أحمد البريدي ص(٢٧٠)، وعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين، د.بريك القرني ص(٤٢٤).

المبحث الثاني

عناية العلماء بدفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات

عِلْمُ موهم التعارض والاختلاف علم قديم، تكلَّمَ فيه الصدر الأول، كابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وغيره من الصحابة، والتابعين؛ كالحسن البصري[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره.

فهو علم أَثرِيٌّ تجلّى فيه عنايتهم برفع ما يُتوهم من الاختلاف والتعارض بين الآيات، ويتجلى ذلك في:

١- تعدد المروي عنهم في هذا العلم، وتأكيدهم أن المتوهم من التعارض والاختلاف مردُّه: نظر العباد وقصور فهمهم، وكلام الله منزه عن ذلك، قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ عن بعض الموهم: "إنما أُتيتَ من قِبل رأيك"[(٢)].

٢- تلقي ما يعرض السائل بالإجابة، ورفع التوهم عنه، مع التأكيد على عدم الشك في آي القرآن والتكذيب فيه.

كقول ابن عباس رضي الله عنهما لسائله: تكذيب؟! فقال الرجل: ما هو بتكذيب، ولكنه اختلاف، وفي بعض الروايات: أَشَكٌّ في القرآن؟[(٣)].

وقد ساق الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ ما ورد من إجابة ابن عباس لِمَنْ رأى بعض أشياء تختلف عليه في القرآن[(٤)].

---

(١) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين، ويسار أبوه: من سبي ميسان، سكن المدينة، وأعتق، نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار، وله يومئذ أربع عشرة سنة، له كتاب "فضائل مكة والسكن فيها"توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: [وفيات الأعيان، لابن خلكان (٦٩/٢)، وتهذيب الكمال، للمزي ص(٢٥٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٥٦٣)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي ص(٢٨)].

(٢) عزاه السيوطي إلى عَبْدِ بن حُمَيْد، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (٢٣٣/١٥، ٢٣٤).

(٣) كما في روايات ابن المنذر في تفسيره (١٥٨/١) [٥٥٨]، وكذا الطبري الذي ساق الأثر(٤٢/٧)، وينظر: علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، د. بريك القرني (٣٩٤ـ ٤٢٦).

(٤) وهي المشهور بـ سؤلات نافع بن الأزرق، ينظر هذه المواضع في: الإتقان، للسيوطي (٦٧/٢ - ١٠٥).

وكذلك أورد ما توقف فيه رضي الله عنهما وهو معنى اليوم المقدَّر مرة بخمسين ألف سنة، وبألف سنة من قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥][1].

ومن ثَمَّ تعددت تصانيف العلماء من المفسرين واللغويين والأصوليين في دفع توهم التعارض عن القرآن الكريم؛ تبعا لمجالات علومهم الدقيقة وتخصصاتهم المختلفة.

ومن أشهر هذه المصنفات:

١) كتاب "الرد على الزنادقة والجهمية" لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل[2] رَحِمَهُ اللَّهُ، المتوفى سنة (٢٤١هـ).

٢) كتاب "تأويل مشكل القرآن" لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة (٢٧٦هـ).

٣) كتاب "تنزيه القرآن عن المطاعن" للقاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد[3]، المتوفى سنة (٤١٥هـ).

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/٩٣)، وعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين، د.بريك القرني (٤١٠-٤١١).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، أحد الأعلام من أئمة الإسلام، وُلِدَ سنة (١٦٤هـ) ببغداد ونشأ بها وسمع من شيوخها، طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة، ورحل إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام والجزيرة، وكان إماماً في النقل وعلماً في الزهد والورع، وكان أعلم الناس بمذاهب الصحابة والتابعين، امتحن فثبت في فتنة خلق القرآن وضرب بالسياط، قال عنه الشافعي: "خرجت من العراق فما خلفت بالعراق رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أتقى من أحمد بن حنبل"، له مصنفات كثيرة، أشهرها "المسند"، وتوفي سنة (٢٤١هـ). ينظر: طبقات الحنابلة، لأبي يعلى (١/ ٥٠)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (٥/ ٢٥٢)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١١/ ١٧٧).

(٣) هو: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، ومذاهب المعتزلة في الأصول، وهو شيخ المعتزلة، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، منها: متشابه القرآن، والتفسير المحيط، وتثبيت دلائل النبوة، وغيرها، توفي سنة (٤١٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد، للبغدادي (١١/١١٣ـ ١١٥)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٢٤٥)، ميزان الاعتدال، للذهبي (٢/٥٣٣).

٤) كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز"، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي[١]، المتوفى سنة (٤٢٠هـ).

٥) كتاب "البرهان في متشابه القرآن" لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني[٢]، المتوفى في حدود سنة (٥٠٠هـ).

٦) كتاب "باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن"، لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي[٣] الملقب بـ "بيان الحق"، المتوفى سنة (٥٥٣هـ).

٧) كتاب "فوائد في مشكل القرآن" لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام[٤]، المتوفى سنة (٦٦٠هـ).

٨) كتاب "مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل" لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي[٥]، المتوفى سنة (٦٦٦هـ).

---

(١) هو: محمد بن عبد الله أبو جعفر المعروف بالإسكافي، الأديب اللغوي، أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، له تصانيف معروفة، منها: "غلط كتاب العين"، و"مبادئ اللغة"، و"شواهد سيبويه" توفي عام (٤٢٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد للبغدادي (٣/ ٤١٨)، الدر الثمين في أسماء المصنفين، لابن الساعي (٢٢٥).

(٢) هو: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي، تاج القراء وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجبًا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل، من تصانيفه: "لباب التفسير"، و"الإيجاز في النحو"، و"الإفادة في النحو"، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها. ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (٦/ ٢٦٨٦)، طبقات المفسرين، للداوودي: (٢/ ٣١٢).

(٣) هو: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، الغزنوي، مفسر، فقيه، أديب، لغوي، شاعر، توفي في نحو سنة (٥٥٠هـ)، من تصانيفه: "جمل الغرائب في تفسير الحديث"، و "إيجاز البيان في معاني القرآن"، و "التذكرة والتبصرة". ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (١٩/١٢٤ـ ١٢٥)، طبقات المفسرين للداوودي: (٢/٣١١).

(٤) هو: عبدالعزيز بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم، ولد سنة سبع - أو ثمان - وسبعين وخمسمائة، وتفقه على الفخر بن عساكر، وأخذ الأصول عن السيف الآمدي، وبرع في الفقه والأصول العربية، ومن تصانيفه: "القواعد الكبرى والصغرى"، و"شجرة المعارف"، و"مختصر النهاية" وغيرها، وتوفي بمصر سنة (٦٦٠هـ). ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٣/ ٢٣٥)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (١/ ٣١٦).

(٥) هو: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر أبي بكر الرازي، نزيل القاهرة، لغوي، مفسر، أديب، من فقهاء الحنفية، أصله من الري، توفي بمدينة قوص من صعيد مصر، سنة (٦٦٦هـ). ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، للفاسي (١/ ٢٢٠)، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (١/ ٣٥٦).

٩) كتاب "مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل"، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(١)، المتوفى سنة (٧٠٨هـ).

١٠) "تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ"، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين(٢)، المتوفى سنة (٧٢٨هـ).

١١) "كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"، لزكريا الأنصاري(٣)، المتوفى سنة (٩٢٦هـ).

١٢) "كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، المتوفى (١٣٩٣هـ).

١٣) كتاب "أضواء على متشابهات القرآن"، تأليف خليل ياسين(٤).

١٤) كتاب "بيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن"، تأليف: الدكتور محمد

---

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، مُحَدِّث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول،ولد في جيان سنة (٦٢٧هـ)، ومن مصنفاته: "البرهان في ترتيب سور القرآن"، و "الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام"، و"صلة الصلة"، وتوفي سنة (٧٠٨هـ). ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (١/ ٨٤)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٦/ ١٦)، والبدر الطالع، للشوكاني (١/٣٣).

(٢) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، أبو العباس، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حرّان سنة (٦٦١هـ)، كان آيةً في التفسير والأصول، فصيحَ اللسان، قلمُهُ ولسانُهُ متقاربان، أفتى ودرَّس وهو دون العشرين،وتصانيفه كثيرة، منها: السياسة الشرعية، ومنهاج السنة، وغيرها، توفي معتقلا بقلعة دمشق سنة (٧٢٨ هـ). ينظر: العبر، للذهبي(٤/ ٨٤)، والدرر الكامنة، لابن حجر (١/ ١٦٨).

(٣) هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، ولد في سنيكة (بشرقية مصر) سنة (٨٢٣هـ)، شيخ الإسلام، قاضٍ مفسر، من حفاظ الحديث، وتعلم في القاهرة وكُفَّ بصره، ونشأ فقيرًا معدمًا، ومن تصانيفه: "تحفة الباري على صحيح البخاري"، و"شرح ألفية العراقي"، و"شرح شذور الذهب"، وتوفي سنة (٩٢٥هـ) ينظر: الكواكب السائرة، للغزي (١/١٩٦)، والأعلام، للزركلي (٣/ ٤٦).

(٤) لم أقف على ترجمة له في كتاب مطبوع، وله ترجمة في:
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=8888

أبو النور الحديدي[١].

١٥) "موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، سنة (١٤٠٨هـ)، إعداد: ياسر أحمد علي الشمالي[٢].

١٦) مشكل القرآن الكريم، د. عبد الله بن حمد النمصور، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو بحث مطبوع.

---

(١) لم أقف على ترجمة له في كتاب مطبوع.

(٢) ينظر: المؤلفات في مشكل القرآن الكريم ومناهجها، د. عبد الرحمن بن سند الرحيلي، ص(٦٢-٦٥)، وموهم التعارض بين القرآن والسنة من أول سورة الأعراف حتى نهاية سورة الحجر، للنشوان: ص(٤٢- ٤٧)، ومشكل القرآن الكريم، للمنصور ص(٢٦).

المبحث الثالث

القاعدة في باب موهم التعارض والاختلاف بين الآيات

إن توهم الاختلاف أو التعارض بين الوحيين أو أحدهما أمرٌ مرفوض البتة، ولا يجوز القولُ به بأي حال من الأحوال.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "يجب أنْ نعلم قاعدة مهمة جدًا، وهي أنه لا يمكن أن يتعارض دليلان قطعيان أبدًا لا من القرآن، ولا من السنة، ولا من العقل؛ لأنهما لو تعارضا لكان أحدهما ثابتًا والآخر منتفيًا، وإذا قلنا الآخر منتفيًا زال عنه اسم القطعي"[١].

وقد نفى سبحانه الاختلاف عن كتابه بقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

أي: أن القرآن لو لم يكن من عند الله تعالى لحصل فيه الاختلاف، لكنه لما كان من عند الله سبحانه، نزَّهه سبحانه عن أن يكون مختلفًا أو متناقضًا، ويجب الاعتقاد بذلك.

قال قتادة[٢]: "إن قول الله لا يختلف؛ وهو حقٌّ ليس فيه باطلٌ، وإن قول الناس يختلف"[٣].

أما ما يتوهمه بعض الناس من اختلاف في الآيات؛ فهو بعيد عن ذات القرآن، فهو نظرًا لاختلاف الفهوم ولاختلاف المقاصد.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، سورة الزمر، للشيخ ابن عثيمين، ص(٣٠١)، وينظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د.البريدي ص(٢٧٦).

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، كان تابعيًا، مُفسِّرًا، حافظًا، ضريرًا، أكْمَه، ولد سنة (٦٠هـ) ، وقال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدلِّس في الحديث، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ). ينظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم: (٢/ ١٠١٩)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٤/ ٨٥)، وطبقات المفسرين، للداوودي (٢/ ٤٧).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري: (٧/٢٥١- ٢٥٢)، وابن المنذر (٢/٨٠٤) [٢٠٤١]، وابن أبي حاتم (٣/٩٢) [٥٧١٥].

قال محمد بن المنكدر[١] عن الآية سالفة الذكر: "إنما يأتي الاختلاف من قلوب العباد؛ فأما ما جاء من عند الله فليس فيه اختلاف"[٢].

وإن من مداخل الطعن التي يدخل بها الملحدون والمشككون في الإسلام: ادعاء وجود آيات متناقضة فيما بينها، والتناقض نقصٌ، إذا فالقرآن كما - يزعمون - لم يصدر عن إلهٍ كامل! وهذا الكلام مبني على مقدمة فاسدة، ألا وهي أن في القرآن آيات متناقضة.

والمنشأ الظاهري لادِّعاء التناقض، هو: الجهل بدلالات ألفاظ اللغة العربية، من العموم والخصوص، والعام والمطلق، والجهل بمجموع النصوص الواردة في الموضوع الواحد من الكتاب والسنة؛ فإن بعضها يبين بعضًا[٣].

إذ لا يَعرف فضلَ القرآن كما يقول ابن قتيبة إلا: "من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ اللّه به لغتها دون جميع اللغات"[٤].

ويؤيد هذا المعنى ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر:

"فإن قال قائل: إننا نجد في كتاب الله ما ظاهره التعارض، فكيف يتفق مع هذه الآية؟

نقول: إذا رأيت شيئا في كتاب الله ما ظاهره التعارض فهذا:

- إما لقصور في فهمك، يعني أن فهمك رديء قاصر.

- أو لقصور علمك، أي أن هناك علمًا يبين الجمع بينهما ولكنك لم يبلغْك هذا العلم.

- وإما لسوء في قصدك لأن الإنسان إذا كان قصده سيئًا فإنه لا يوفق"....إلى أن قال: "ويمكن أن نزيد احتمالًا رابعًا: وهو التقصير في الطلب، والتقصير في الطلب نتيجته عدم العلم"[٥].

---

(١) هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير)، ولد سنة بضع وثلاثين، زاهدٌ من رجال الحديث، من أهل المدينة، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم وقال مالك: كان ابن المنكدر سيد القراء، توفي سنة (١٣٠هـ). ينظر: [التاريخ الكبير، للبخاري (١/ ٢١٩)، وتهذيب الكمال، للمزي ص(١٢٧٥)].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٢) [٥٧١٦]، ينظر: الدر المنثور، للسيوطي (٣/٥٤٨).

(٣) ينظر: سابغات، أحمد يوسف السيد ص(١٣٥).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص١٧).

(٥) تفسير سورة النساء، للشيخ ابن عثيمين (٢/١٨-١٩)، وينظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د.البريدي ص(٢٧٦).

هذا، وقد ورد عن السلف نفيُهم وقوعَ الاختلاف في القرآن، وأن ما حصل منه فهو بسبب تباين آراء الناس واختلافها، وفيما يلي ذكر ما ورد عن بعضهم في ذلك:

١- يقول الإمام الشافعي[١]: "وأولى أن لا يشك عالم في لزومها، وأن يعلم أحكام الله ثم أحكام رسوله لا تختلف، وأنها تجري على مثال واحد"[٢].

٢- وقال أبو بكر الصيرفي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رسالة الشافعي:

"جماع الاختلاف والتناقض: أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض، وإنما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء، ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبدًا، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين: بأن يوجب حكمًا ثم يحلُّه، وهذا لا تناقض فيه، وتناقض الكلام لا يكون إلا في إثبات ما نُفي أو نفي ما أُثبت؛ بحيث يشترك المثبت والمنفي في الاسم والحدث والزمان والأفعال والحقيقة، فلو كان الاسم حقيقة في أحدهما وفي الآخر مستعارًا ونفي أحدهما وأثبت الآخر لم يعد تناقضًا"[٤].

٣- ويقول الإمام الغزالي[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وكلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات فإنه

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، ولد سنة (١٥٠هـ)، نشأ يتيما فقيرًا، وجعلت لذته في طلب العلم، فبلغ فيه ما بلغ، قرأ الموطأ على مالك رحمه الله، ورحل إلى العراق، ثم إلى مصر، وكان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان فصيح طويل وعقل رصين صحيح، صنف التصانيف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعا الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، منها: " الرسالة"، و كتاب "الأم"، وبعد صيته، وتكاثر عليه الطلبة. قال أحمد بن حنبل عنه: " كان الشافعي للعلم كالشمس للدنيا والعافية للناس"، توفي سنة (٢٠٤هـ). ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم الرازي: (٢١ ــ ٢٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٠/ ٧).

(٢) الرسالة للشافعي، ت: الشيخ أحمد شاكر ص(١٧٣).

(٣) هو: محمد بن عبد الله أبو بكر الصيرفي الإمام الجليل الأصولي، وكان يقال: إنه أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، تفقه على ابن سريج، من تصانيفه "شرح الرسالة"، وكتاب في "الإجماع"، وكتاب في "الشروط"، توفي سنة (٣٣٠هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٣/ ١٨٦)، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن ص(٤٩).

(٤) لم أقف على شرح رسالة الشافعي، ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/٥٣).

(٥) هو: محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي، ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ) أفقه أقرانه وإمام أهل زمانه، صنف في كل فن من العلوم، له نحو مئتي مصنف، كان شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة، لكن أدخله سيلان ذهنه =

على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين، ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين..... فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس لا في نفس القرآن وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦]، فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى"[١].

٤- ويقول الإمام الشاطبي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مَهْيَعَ واحد[٣]، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أدّاه بادئ الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف، لأن الله تعالى قد شهد له أنْ لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلّم من غير اعتراض"[٤].

٥- ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه أصول في التفسير بعد تعريفه لموهم التعارض في القرآن: "ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري؛ لأنه يلزم كون

= في مضايق الكلام، ومزال الأقدام، من كتبه: "الإحياء" و"الأربعين"، و"القسطاس"، و"محك النظر"، توفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٩/ ٣٢٤)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩٧).

(١) ذكره الزركشي في البرهان في علوم القرآن (٢/٤٧ـ٤٨).

(٢) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي، العلامة المحقق القدوة المجتهد، كان أصوليًا مفسرًا فقيهًا، محدثًا لغويًا بيانيًا، بحاثًا مدققًا جدليًا، بارعًا في العلوم، له قدم راسخة في الفنون فقهًا وأصولًا وتفسيرًا وحديثًا وعربية وغيرها، مع التحري والتحقيق، حريصًا على اتباع السنة، مجانبًا للبدع والشبهة، ساعيًا في ذلك مع تثبت تام، منحرف عن كل ما ينحو للبدع وأهلها، من تصانيفه: "الموافقات"، و " الاعتصام" و" الاتفاق في علم الاشتقاق"، و"المقاصد الشافية"، توفي سنة (٧٩٠هـ). ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لابن فرحون (ص: ٤٨)، برنامج المجاري، محمد المجاري الأندلسي (١١٦ـ ١٢٢).

(٣) المَهْيَعُ: أي الطَّريق الواسع الواضح. ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة (مَيَعَ)، (٧٦٥).

(٤) الاعتصام، للشاطبي، ت: د. هشام بن إسماعيل الصيني (٣/٢٧٢).

إحداهما كذبًا، وهذا مستحيل في أخبار الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، ولا يمكن أن يقع بين آيتين مدلولهما حكمي؛ لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]، وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخيرة"[١].

- بل إن التعارض منفي عن الحديث فضلاً عن القرآن.

قال ابن خزيمة[٢]: "لا أعرف أنه رُويَ عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادين فمن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما"[٣].

الأمر الذي يعني أن نفي التعارض في القرآن الكريم يكون من باب أولى.

وقد استدل جمهور أهل العلم لهذا المتقرر بأدلة كثيرة منها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

فمفهوم الآية أن القرآن من عند الله، فلا اختلاف فيه إذن، والتعارض بجميع أنواعه سبب للاختلاف فهو منتف فيما بين النصوص الشرعية الصحيحة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى آمرًا عباده بتدبر القرآن، وناهيًا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حقٌّ من حقٍّ؛ ولهذا قال تعالى:

---

(١) أصول في التفسير، للشيخ ابن عثيمين ص(٥١).

(٢) هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر: إمام نيسابور في عصره، كان فقيها مجتهدا، عالما بالحديث، قوي البادرة، كثير الاطلاع، غزير المادة. مولده ووفاته بنيسابور، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر، ولقبه السبكي بإمام الأئمة. تزيد مصنفاته على (١٤٠) مصنفًا، منها: "التوحيد وإثبات صفة الرب"، و"صحيح ابن خزيمة"، و"كتاب الإمامة"، وغيرها، توفي سنة (٣١١هـ). ينظر: الثقات، لابن حبان (١٥٦/٩)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣٦٥/١٤).

(٣) معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح، ت: نور الدين عتر ص(٢٨٥).

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ ، أي: لو كان مفتعلاً مختلقًا، كما يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ، أي: اضطرابًا وتضادًا كثيرًا. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله"[1].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣، ٤].

فهذه الآية تدل على أن السنة وحي من الله، وما كان وحيًا فهو منزهٌ عن الاختلاف والتعارض فيما بين نصوصه، سواء أكان هذا الوحي قرآنًا أو سنة.

قال ابن حزم[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "ويبين صحة ما قلنا - من أنه لا تعارض بين شيء من نصوص القرآن ونصوص كلام النبي ﷺ وما نقل من أفعاله - قول الله عز وجل مخبرًا عن رسوله عليه السلام: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾"[3].

٣- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

فهذه الآية صريحة في نفي الاختلاف والتعارض والتنازع عن نصوص الشريعة؛ إذ أمر الله تعالى المتنازعين بالرجوع إلى الكتاب والسنة ليرتفع الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد، ولو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه فائدة، بل يكون بالرجوع إليه زيادة في التنازع والاختلاف[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٣٦٤).

(٢) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي، فقيه حافظ، أديب، صاحب التصانيف الكثيرة، ولد: سنة (٣٨٤هـ)، وكان مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، وبعد أن كان شافعي المذهب، انتقل إلى مذهب أهل الظاهر، كان عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات شيئا كثيرًا، من كتبه: "الإحكام لأصول الأحكام"، و "الفصل في الملل في الأهواء والنحل"، توفي سنة ٤٥٦هـ. ينظر: [وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٣٢٥)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)].

(٣) الإحكام لابن حزم (٢/٣٥)، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٤) ينظر: الموافقات للشاطبي (٥/٦٠)، الاعتصام للشاطبي (٢/٦٦٢).

٤- أن تعارض الأدلة الشرعية في نفس الأمر يلزم منه إبطال العمل بالناسخ والمنسوخ، ومعلوم أن الناسخ والمنسوخ إنما هو في الأدلة المتعارضة التي لا يمكن الجمع بينها، ولو كان التعارض حقيقيًا لكان إثبات ناسخ ومنسوخ لدفع التعارض لا قيمة له، كما أن العمل بالناسخ والمنسوخ معا باطل إجماعًا[1].

٥- القول بالتعارض بين الأدلة في نفس الأمر يرفع العمل بالترجيح بين الأدلة التي ظاهرها التعارض، وهو خلاف ما عليه الأصوليون، ويكون ما وضعوه من قواعد وضوابط في هذا الفن - أي فن الترجيح -لا فائدة من ورائه ولا حاجة إليه، ولصح العمل بأحد الدليلين من غير مُرَجِّحٍ، وكل هذا باطل وفاسد[2].

٦- أن القول بوقوع التعارض والاختلاف بين الأدلة الشرعية، لا يخلو من أحد احتمالات أربعة كلها باطل:

أ - العمل بالدليلين، ويلزم منه اجتماع المتناقضين، وهو باطل، لأنه تكليف بما لا يطاق.

ب - ترك العمل بهما، ويلزم منه أن الشارع الحكيم نصبهما عبثًا ولغوًا، أو يلزم منه خلو المسألة عن الحكم، وكل ذلك ظاهر البطلان.

ج - العمل بأحدهما دون الآخر على سبيل التعيين، وهو تحكُّمٌ وترجيح بل مرجح، وقولٌ في الدين بالتشهي والهوى.

د - العمل بواحد منهما غير معين، على سبيل التخيير، وهذا يستلزم جواز الفعل والترك لكل من الدليلين، مع أن كل واحد منهما يقتضي نقيض ما يقتضيه الآخر.

٧- دلالة الفطرة، ففي فِطَرِ بني آدم النفور من التناقض والتعارض والاضطراب، وعدم استحسان ذلك، وفي فِطَرِهم أيضا وصف الرب-جل وعلا- بالعلم والحكمة والقدرة

---

(١) ينظر: الموافقات للشاطبي (٥/٦١، ٦٢)، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، للبرزنجي (١/٤٩).

(٢) ينظر: الموافقات للشاطبي (٥/٦٣)، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، للبرزنجي (١/٤٨)، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان حسن (١/٣٤٥).

والإرادة، وظهور التناقض والاضطراب فيما يخبر به سبحانه ينافي هذه الصفات، فتبين أنه لا يصدر عن الشارع الحكيم إلا ما يدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته[١].

وبهذا يتبين سلامة القرآن من التعارض والاختلاف، وأنه لا تعارض بين آياته البتة في الواقع والحقيقة، ولكن قد يتبادر إلى ذهن المجتهد بحسب الظاهر من المسألة أن هذه الآيـــة تقتضي خلاف تلك، وإنما يكون في بادئ الأمر قبل البحث، فأما بعد البحث والتأمل وإطالة النظر في الآيات فإنه يزول ما طرأ في ذهنه سابقًا من توهم التعارض والاختلاف.



(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان حسن ص(٣٤٤/-٣٤٥)، و ينظر: مشكل القرآن الكريم للمنصور ص(١٣٩-١٤٠).

المبحث الرابع

أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات

بعد أن تقرر أن التعارض الحقيقي بين النصوص القرآنية لا يمكن أن يكون، وأن التعارض الموجود إنما هو في ظاهر الأمر وفي نظر المجتهد، لا في نفس الأمر وحقيقته.

بقي أن أذكر الأسباب التي تكمن وراء هذا التعارض الظاهري المتوهم، والتي اجتهد أهل العلم من مفسرين وغيرهم في حصرها.

وقبل الدخول فيها ينبغي أن يُعلم أن هناك سببًا رئيسًا مشتركًا في كل الأسباب التي سأذكرها، وهذا السبب يتعلق بالقارئ لكتاب الله تعالى، ألا وهو: **مقدار العلم والمعرفة**، فبالعلم يتفاوت الناس في هذا الباب، بين مقلٍّ ومستكثرٍ، وإلا فإن التدبر التام للقرآن الكريم كفيل بدفع الإشكال عن النفس، كيف لا يكون كذلك، وقد وصف الله كتابه بقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

فقلة الفهم وضعف المعرفة سبب ظاهرٌ ومشترك في أكثر الأسباب؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

"نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة؛ بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا؛ وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب"[١].

وهذا الأمر الذي يقرره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لا ينطبق على عصره أو العصور التي بعده، بل هو من زمن الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ لم يكن الصحابة الكرام على درجة واحدة في فهم النص

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧/٤٠٠).

القرآني، وذلك لأسباب متعددة: منها ما يتعلق بالملازمة والأخذ عن النبي ﷺ، ومنها ما يتعلق بالقدرة العلمية، وملكة الوعي لفهم النصوص، يقول مسروق[١] رَحِمَهُ اللَّهُ : "جالست أصحاب النبي ﷺ فوجدتهم كالإخاذ[٢]، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ"[٣].

لكن مع ذلك كانوا ﷺ جميعًا يبحثون عن دلائل النص دائمًا ، ويجدُّون في طلب ما غاب عنهم فهمه، ولا يصفون النصَّ إلا بالتعظيم والإجلال.

من أسباب توهم التعارض والاختلاف:

السبب الأول: احتمالية النسخ للآية:

النسخ يطلق عند السلف ويراد به البيان، فيدخل فيه تخصيص العام، وتقييد المطلق وبيان المجمل، ورفع الحكم، (الذي هو النسخ في اصطلاح المتأخرين).

إذن معناه عند المتقدمين: بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه.

ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك ما لا يحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر[٤].

---

(١) هو: مسروق بن عبد الرحمن بن مالك بن أمية بن وادعة، تابعي، مخضرم، سمع أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا، وابن مسعود، وطائفة، قدم الشام في طلب العلم، وتوفي سنة (٦٢هـ). ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦/ ١٣٨)، والإصابة في تمييز أسماء الصحابة، لابن حجر (٨٤٠٨)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (١٠/ ١٠٩).

(٢) الإخاذ: مجتمع الماء شبيه بالغدير، والإخاذات: الغدران التي تأخذ ماء السماء فتحبسه عن الأشاربة. ينظر: لسان العرب، مادة (أخذ)، (٤٧٤/٣).

(٣) العلل، لعلي بن المديني، ت: محمد مصطفى العظمي ص(٢٤)، العلم، لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، ت: الألباني ص(١٧)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٣٤٣/٣).

(٤) إعلام الموقعين، لابن القيم (٣٧٩/١).

فإذا قالوا: "لابد للمفتي أو المفسر من معرفة الناسخ والمنسوخ" فمقصودهم ما سبق.

والنسخ في اصطلاح المتأخرين: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه[١].

وذلك أن المُفسِّر قد تُشكل عليه الآية لاختلافها مع آية أخرى، فيبحث عن وجه الجمع، فإن لم يجده يلجأ إلى القول بالنسخ، بينما يكون غيره من المفسرين يعرف وجه الجمع فيذكره ويورده، ويبين أنه لا نسخ في الآية.

مثاله: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

- فالآية الأولى تدلُّ على التشديد في المبالغة في تقوى الله تعالى، والآية الثانية تدلُّ على خلاف ذلك.

ففي هذا المثال هناك من دفع التعارض المتوهم بالنسخ، وقال: إن الآية الثانية ناسخة للآية الأولى.

وهناك من قال بالإحكام، وجمع بين الآيتين بعدة أوجه:

منها: أن الآية الثانية مبينة للمقصود من الآية الأولى.

ومنها: أن الآية الأولى بيان لما يستحقه الله من التقوى، والآية الثانية: بيان لما يجب على العبد منها[٢].

---

(١) ينظر: روضة الناظر لابن قدامة(١٢١٩)، والإحكام للآمدي (٣/١٠٥)، و كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣/١٥٥ ـ ١٥٦)، و المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٢/٥٠٣).

(٢) الجواب على هذا التوهم، ينظر: البرهان، للزركشي (٢/٢٠٥)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٢٠ ـ ١٢١)، وتفسير السعدي ص(١٤١).

السبب الثاني: اختلاف الموضوع:

وذلك أن يَتَوَهَّمَ القارئ اتحاد الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات بينما الحق أن كل آية لها معناها ودلالتها الخاصة بها[١].

مثاله: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٣].

فالآية الأولى تدل على أنَّ المسرفين ليس لهم أن يقنطوا من رحمة الله، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك.

فالموضوع في الآية الثانية: الإسراف الذي هو الكفر، وموضوع الآية الأولى: الإسراف الذي هو المعاصي دون الكفر[٢].

فالتوهم هنا وقع لتكرر موضوع الاسراف في الآيتين، بينما موضوع الاسراف في الآية الأولى مختلف عنه في الآية الثانية.

السبب الثالث: اختلافهما بوجهين واعتبارين:

وبالمثال يتضح معناه:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢].

---

(١) مشكل القرآن، للمنصور ص(٨٩). وينظر: الإتقان، للسيوطي (٣/٩٤-٩٥)، البرهان، للزركشي (٢/٥٥)، باهر البرهان، للغزنوي، دراسة وتحقيق: سعاد بنت صالح بابقي ص(١٥١).

(٢) ينظر: باهر البرهان، للغزنوي، دراسة وتحقيق: سعاد بابقي ص(١٥٣)، البرهان، للزركشي (٢/٦٠)، الإتقان، للسيوطي (٣/٩٤-٩٥)، وللجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٦٤-٣٦٥)

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ﴾ [غافر:٧٤].

فالآية الأولى تدل على أن الكفار لا يكتمون من خبرهم شيئًا يوم القيامة، والآية الثانية والثالثة تدل على خلاف ذلك.

فهنا الكتم باعتبار ألسنتهم، وعدَمُهُ باعتبار الأيدي، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس:٦٥][1].

السبب الرابع: اختلاف الموضع أو المكان للآيات:

وذلك بأنَّ قارئ القرآن قد يرسخ لديه أحد الأحكام، أو المعاني عند قراءته لبعض الآيات، ثم يقرأ آيات أخرى، فيظهر له حكم أو معنى يتوهم تعارضه مع ما سبق أن ترسخ لديه، فيستشكل الآية لذلك، بينما الحقُّ أن الآية أو الآيات الأخرى تتحدث عن الموضوع ذاته، ولكن موضعها ومكانها يختلف عن موضع ومكان الآية أو الآيات الأولى[2].

مثاله: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [غافر:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات:٣٥، ٣٦].

في الآية الأولى تدلُّ على أن أهل النار ينطقون ويعتذرون، وفي الآية الثانية تدل على خلاف ذلك؛ وأنهم لا ينطقون ولا يعتذرون، فالنطق والاعتذار في مكان وموضع، وعدمه في مكان وموضع آخر[3].

---

(١) وللجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي ص(١٤٤). وسيتضح معناه أكثر من خلال الأمثلة في المبحث الثالث من الفصل الثالث.

(٢) مشكل القرآن، للمنصور ص(٩١)، وينظر: باهر البرهان، للغزنوي ص(١٥١).

(٣) للجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي ص (٤٤٠).

السبب الخامس: وقوع المخبَرِ به على أحوالٍ وأطوارٍ مختلفة:

وهو أن ترد عدد من الآيات تتحدث عن شيء واحد، وتكون ألفاظها مختلفة، مما يوقع الإشكال لدى قارئ القرآن الكريم، بينما الصواب أنها كلها مجتمعة ومتجانسة، وإنما الواقع أنها تحكي أحوالًا أو أطوارًا لهذا الشيء الذي تتحدث عنه[١].

مثاله:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:٥٩]، وفي آية أخرى، يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر:٢٦]، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الصافات:١١]، وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرحمن:١٤].

ظاهر الآية الأولى يدل على أن آدم خلق من تراب وفي الآيات التي بعدها ظاهرها يدل على خلاف ذلك؛ فالآية الثانية من حمأ مسنون، و الثالثة من طين لازب، و الرابعة من صلصال كالفخار.

فهنا الآيات متفقة في المعنى؛ لأنها تحكي أطوار خلق ذلك التراب، (من تراب) ثم (طين لازب) ثم (حمأ مسنون) ثم (صلصال كالفخار)[٢]

السبب السادس: اختلاف جهة الفعل:

وهو أن تأتي آيات تبين الفعل وفاعله، ثم تأتي آيات أخرى -أو حتى نفس الآية- تذكر نفس الفعل وتثبت فاعلا آخر له، وهذا يعني اختلاف جهة الفعل، مع أنه نفس الفعل، فمن هنا يظهر الإشكال، وتبرز أهمية دفعه[٣].

---

(١) مشكل القرآن، للمنصور ص(٩٣).

(٢) مشكل القرآن، للمنصور ص(٩٣)، وينظر: البرهان، للزركشي (٢/٥٤-٥٥)، الإتقان، للسيوطي (٣/٩٤)، وللجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٥٤).

(٣) مشكل القرآن، للمنصور ص(٩٦)، وينظر: باهر البرهان، للغزنوي ص (١٥٣)، والبرهان، للزركشي (٢/٥٩ -٦٠)، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/٩٥).

مثاله:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة:١١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام:٦١].

فالقارئ لهذه الآيات قد تشكل عليه، من حيث نسبة التوفي، ففي الأولى نُسب إلى ملك الموت، وفي الثانية إلى الله عز وجل وفي الثالثة إلى رسل الله والمراد الملائكة[1].

السبب السابع: تعارض العمومات:

وهو أن يتعارض عمومان في الظاهر فيزيد أحدهما على الآخر من وجه وينقص من وجه آخر.

فهنا يجب الجمع بينهما، أو ترجيح عموم أحدهما على الآخر، وجعل الآخر مخصصًا له لوجوب العمل بالراجح.

وهذه المرجحات تظهر عند التدبر والتأمل في كتاب الله ومعانيه، وغير المتدبر والجاهل يظن أن هناك اختلافا.[2]

مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٥ – ٦].

فالآية الأولى عامة في كل الأخوات فيشمل ملك اليمين، والثانية تعم كل ما تملك اليمين، ومن ذلك الأختين المملوكتين[3].

---

(١) وللجواب على هذا التوهم ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٤٠).

(٢) ينظر: باهر البرهان، للغزنوي، ص (١٢٠،١٥٢). موهم الاختلاف والتناقض، للشمالي ص (١٤١).

(٣) ينظر: الجواب على هذا التوهم، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٩) وما بعده.

السبب الثامن: الإجمال والبيان[١]:

والإجمال لغةً: جَمَلَ الشيءِ، جمعه عن تفرقة[٢].

الإجمال اصطلاحًا: في اصطلاح الأصوليين، معناه أنه: "ما تردد بين محتملين فأكثر على السواء"[٣]، وقيل: "ما له دلالة على معنيين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه"[٤].

أما البيان لغةً: فمعناه الوضوح والظهور[٥].

والبيان اصطلاحًا: هو ما نصَّ على معنى معين من غير إبهام، وهو الذي يفهم معناه عند الإطلاق[٦].

وهو أن ترد آيات قرآنية فيها إجمال، وآيات أخرى بينتْ وحددتْ المراد منها، وهذه الآيات تكون محلا للوهم بأن يكون بينها تعارض في الظاهر، بينما هي في الواقع تفسر بعضها وتبين المراد منها.

مثاله: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.. الآية [آل عمران:١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فالآية الأولى: تدل على التشديد البالغ في تقوى الله تعالى.

والآية الثانية: دلت على خلاف ذلك، و أن المقصود بتقوى الله القدر الذي يستطيعه، والآيتان ظاهرهما يوهم التعارض[٧].

---

(١) باهر البرهان، للغزنوي ص (١٥٢)، وموهم الاختلاف والتناقض، للشمالي ص(١٤١).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (حَمَل) (١١/١٢٨).

(٣) شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي ص(١٩). وقد رجّحه البزدوي في كشف الأسرار (١/٥٤). و ابن اللحام، المختصر في أصول الفقه ص(١٢٦).

(٤) المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/١٢٢١).

(٥) ينظر: لسان العرب،لابن منظور، مادة (بَيَنَ)، (١٣/٦٧).

(٦) ينظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٣/٤٣٧).

(٧) للجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٢٠-١٢١).

السبب التاسع: العموم والخصوص:

العموم لغةً: العَمَمُ: عِظم الخلق في الناس وغيرهم، والعمم: الجسم التام، ...

وأمر عممٌ: تام عام.. وعمهم الأمر يعمهم عمومًا: شملهم، يقال: عمهم بالعطية، والعامة: خلاف الخاصة.

فالعموم شمولُ أمرٍ لمتعدِّد، سواء كان الأمرُ لفظًا أو غيره[١].

والعموم اصطلاحًا: "اللفظ العام المستغرق لجميع ما يصلح له"[٢].

الخاص لغةً: يقال: خصه بالشيء يخصه خصًّا.. أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد.

وايضا: من خصَّ الشيءَ يخصُّهُ خصوصًا، ضدَّ عمَّ[٣].

والخاص اصطلاحًا: ما وضع لشيءٍ واحدٍ[٤]، "أو هو قصر العام على بعض أفراده"[٥].

- والمعنى: أن ترد آية أو آيات قرآنية فيها عموم، وآية أو آيات أخرى خصصتها، وحددت المراد منها، وهذه الآيات يكون بينها تعارض في الظاهر، إذا ضُمَّتْ إلى بعضها، بينما هي في الواقع عند التأمل والتدبر تخصص إحداهما الأخرى، وتحدد المراد منها[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (عَمَم)، (١٢/٤٢٦).

(٢) المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/١٤٥٩)، وينظر: المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسين محمد بن علي البصري، (١/٢٣٧).

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور مادة (خصص)،(٧/٢٤)، و المصباح المنير، للفيومي، مادة (خصص)، (١/١٧١).

(٤) ينظر: التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد الكلوذاني (٢/٧١).

(٥) المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/١٥٩٥).

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/٤٨)، وموهم الاختلاف والتناقض في القرآن، للشمالي ص(١١٢).

مثاله: قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور:٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

هذه الآية تدل على أن الإماء إذا زنين جُلِدن خمسين جلدة.

وقد جاءت آية أخرى تدل بعمومها على أنّ كل زانية تجلد مائة جلدة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور:٢].

فالآيتان يوهم ظاهرهما التعارض[1].

السبب العاشر: اختلاف الجمع والإفراد:

بأن ترد الكلمة في آية مفردة، وفي آية أخرى مثناة، وفي ثالثة مجموعة، فيوهم التعارض عند قارئ القرآن.

مثاله: قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [المزمل:٩]، وقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن:١٧]، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠]. فأفرد مرة، وثنى أخرى، وجمع ثالثة[2].

السبب الحادي عشر: الإطلاق والتقييد:

المطلق في اللغة هو المنفك من كل قيد حسيًا كان أو معنويًا.

تقول: أطلقت الدابة إذا فككت قيدها وسرحتها،ومنه الطالق من الإبل: التي طلقت في المرعى، وقيل: هي التي لا قيد عليها، وهذا إطلاق حسي، ونعجة طالق: مخلاة ترعى

(١) للجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٤٠).

(٢) للجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٦٢).

وحدها، وحبسوه في السجن طلقا أي بغير قيد ولا كبل، وأطلقه،فهو مطلق وطليق: سرحه، والجمع طلقاء، والطليق: الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلي سبيله، وطلاق النساء لمعنيين: أحدهما حل عقدة النكاح، والآخر بمعنى التخلية والإرسال، ويقال: طلق الرجل زوجته إذا فك قيدها من الارتباط به وهذا إطلاق معنوي(١).

والإطلاق اصطلاحًا: "هو ما دلّ على الحقيقة بلا قيد"(٢) أو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه"(٣).

والمقيد لغةً: هو ما يقابل المطلق في اللغة، فالقيد هو الربط حسيًّا كان أو معنويًّا، تقول: قيدت الدابة: إذا ربطتها بحبل، وقيود الأسنان: لثاتها، والمقيد: موضع القيد من رجل الفرس والخلخال من المرأة، وهذا قيد حسي، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قيدوا العلم بالكتاب"(٤)، وهذا قيد معنوي(٥).

والمقيد اصطلاحًا: (هو المتناول لمعيَّن أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنس"(٦).

وذلك: بأن ترد آية قرآنية فيها إطلاق، وآية أخرى قيدها، وحددت المراد منها، وهذه الآيات بينها تعارض في الظاهر؛ إذا ضُمتْ إلى بعضها، بينما هي في الواقع عند التأمل

(١) لسان العرب،لابن منظور، مادة (طَلَقَ)، (١٠/٢٢٥-٢٢٧).

(٢) روضة الناظر، لابن قدامة (٢/١٠١).

(٣) روضة الناظر لابن قدامة (٢/١٠٢)، والمهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/١٧٠٢).

(٤) أخرجه الدارمي في المقدمة ص (٤٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/١٠٦)، وصححه ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص (٣٩٦)، والخطيب في تقييد العلم ص(٨٨).

(٥) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (قَيَدَ)، (٣/٣٧٢-٣٧٤).

(٦) المهذب في علم أصول الفقه، د. النملة (٤/١٧٠٥).

والتدبر تقيِّد إحداهما الأخرى وتحدد المراد منها[١].

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة:٣].

قيَّدَ في هذه الآية الرقبة المعتقة في كفارة القتل خطأً بالإيمان، وأطلق الرقبة التي في كفارة الظهار واليمين عن قيد الإيمان، حيث قال في كل منهما: فتحرير رقبة ولم يقل: مؤمنة، وهذا يوهم التعارض فيهما[٢].

السبب الثاني عشر: اختلاف الحال:

وهو أن يرد نصان ظاهرهما التعارض، ولكنَّ الحقيقة أن كلا منهما مسوق لحالة تختلف عن الأخرى، وبالتالي فإن الحكم يختلف من هذه الحالة لتلك أو الظرْف الواقع فيه المكلَّف؛ ويعرف ذلك من السياق ودلالة النصوص.

مثاله:

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٣].

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم:٣٨].

يعني ما أسمعهم وأبصرهم، إلى غير ذلك من الآيات التي تتكلم عن حال الكفار من ناحية النظر والسمع يوم القيامة.

---

(١) ينظر: باهر البرهان، للغزنوي ص (١٥٦)، وموهم الاختلاف والتناقض في القرآن، للشمالي ص (١١٩).

(٢) للجواب على هذا التوهم، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٤٦-١٥١).

فمرةً يصف بصرهم بأنه مرفوع، ومرةً هم خاشعون من الذل، ومرةً هم يسارقون النظر ينظرون من طرف خفي، ومرةً هم عمي لا يرون[١].

والجواب: أن مواقف يوم القيامة كثيرةٌ ومتعددة، والقرآن الكريم يذكر في كل موضع من المواضع حالةً من حالات الكفار، تدلُّ على شدةِ الأهوال والزلازلِ يومئذ.[٢].

فمرد اختلاف هيئاتهم وصفة حشرهم نظرًا لاختلاف حالهم وطبيعة حسابهم وما يريده الله بهم، فهم عندما يخرجون من قبورهم يكونون رافعي رؤسهم من الخوف وهول المفاجئة، وفي عرصات القيامة أيضًا يكونون في أحوال مختلفة، فمرة يقرأون كتبهم وهذا يقتضي أن يكونون في غاية الأبصار حتى يروا بأعينهم ما قدموه لأنفسهم، وكذلك حتى يروا أهوال القيامة ... وكونهم يُحشرون عُميًا كما نصت عليه آيات أخرى إنما هو في نهاية المطاف عندما يُلقون في جهنم لتجتمع عليهم ظلمة جهنم وظلمة العمى ... وبهذا يتبين لنا جليًا كيف أن الصور المختلفة لأحوال أهل المحشر تُبين بمجموعها حال الكفار في مواطن القيامة المختلفة من المحاسبة والمجازاة، فالآيات في غاية التوافق والانسجام، وقد وزعت في عدة مواطن من القرآن، وفي كل موطن ذُكر لنا موقفًا ومشهدًا يصور حالة معينة حتى يكون قائ القرآن دائم التذكر لذلك اليوم ومستعدًا له بالعمل الصالح[٣].

---

(١) موهم الاختلاف والتناقض في القرآن، للشمالي ص(١٣٣ـــ١٣٤).

(٢) المصدر السابق ص (٦٦٠).

(٣) المصدر السابق ص(١٣٣ـــ١٣٤).

المبحث الخامس

طرق دفع توهم التعارض والاختلاف

سبق أن التعارض والاختلاف ليس حقيقيًا وإنما متوهم[١]، ولا بدَّ من دفعه، فقد يرى البعض أن آية كذا ليست مشكلة عنده، وهذا لأسباب كثيرة، ولكن ليس له أن يقول إن هذه الآية لاينبغي أن تشكل على أحد، وذلك لكون المسلمين فيهم العالِمُ وفيهم الجاهل، والمطلوب هو بيان القرآن الكريم لهم ومذهب الجمهور في دفع التعارض الظاهري: هو أن يسلك المجتهد الطرق التالية مرتبة الأول فالأول.

أولاً: الجمع:

ويراد بالجمع: بيان التوافق والائتلاف بين الأدلة الشرعية، وإظهار أن الاختلاف غير موجود بينهما حقيقةً[٢].

والجمع من أبرز المسالك التي يسلكها العلماء لدفع توهم التعارض.

فإذا كان ثَمَّ نصانٌ متعارضانِ ظاهرًا وأمكن العمل بهما ولو من وجه دون وجه وجب إعمالهما معًا؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما، والأصل في الأدلة الإعمال دون الإهمال؛ إلا إذا ثبت بالطرق المعتبرة أن أحد النصين ناسخ والآخر منسوخ فهنا لا يعمل إلا بالنص الناسخ، لأنه مراد الشارع، والواجب التعبد بما يريده سبحانه.

والأصوليون متفقون على وجوب الجمع بين الأدلة التي يوهم ظاهرها التعارض، وإن اختلفت اتجاهاتهم في مقدار الأخذ به أو الرفض له[٣].

---

(١) ينظر ص (٧٦-٧٧) من هذا البحث.

(٢) ينظر: التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، البرزنجي (٢١١/١)، المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٢٤١٩/٤).

(٣) ينظر: التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، البرزنجي (٢١٣/١).

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "ولزم أهلَ العلم أنْ يُمْضُوا الخبرين على وجوههما، ما وجدوا لإمضائهما وجهًا، ولا يَعُدُّونهما مختلفين وهما يحتملان أن يُمْضَيا، وذلك إذا أمكن فيهما أن يُمْضَيَا مَعًا، أو وُجِد السبيلُ إلى إمضائهما، ولم يكن منهما واحد بأوْجَبَ مِن الآخر"[١].

ويقول الإمام الحازمي[٢] أيضًا في هذا الصدد -وهو وإن كان يتحدث عن الأدلة الحديثية إلا أن كلامه ينطبق على القرآن الكريم-: "وادعاء النسخ، مع إمكان الجمع بين الحديثين على خلاف الأصل، إذ لا عبرة بمجرد التراخي"[٣].

وعن طريقة إعمال النصين بالجمع بينهما يشير العلامة اللكنوي[٤] إلى ضرورة البحث والتعمق، والفهم في طلب المعاني المرادة من النصين، إلا لو وجد الدليل القاطع على أن أحد النصين منسوخٌ فيصير إلى النسخ، إذ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"إن إخراج النص الشرعي عن العمل به مع إمكان العمل غيرُ لائق، فالأولى أن يُطلب الجمع بين المتعارضين بأي وجه كان، بشرط تعمق النظر وغوص الفكر، وأما إذا وُجد ما يدل على ارتفاع الحكم الأول صريحًا صِيْرَ إلى النسخ كما صرَّح بذلك أهل الحديث، وليس

---

(١) الرسالة، للشافعي، ت: أحمد شاكر ص(٣٤١).

(٢) هو: محمد بن موسى بن عثمان بن حازم أبو حافظ أبو بكر الحازمي الهمذاني ولد سنة (٥٤٨هـ) أو (٥٤٩هـ)، من تصانيفه: "الناسخ والمنسوخ"، و"العجالة"، و"المختلف والمؤتلف"، أدركه أجله وهو شاب سنة (٥٨٤هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٢٩٤ - ٢٩٥)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن (٣٣٠)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي (٦/ ١٠٩)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٤/ ٢٨٢).

(٣) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، محمد بن موسى بن عثمان الحازمي ص(٦٧).

(٤) هو: محمد عبد الحليم بن محمد أمين الله اللكنوي الأنصاري: ولد سنة (١٢٣٩هـ)، له علم بالحكمة والطب القديم، من كتبه "الأقوال الأربعة "، و " الأنوار في شرح المنار، في أصول الفقه" وتوفي سنة (١٢٨٥هـ). ينظر: [الأعلام، للزركلي (٦/ ١٨٧)].

كل متأخر معارض لمتقدمه ناسخًا له، وإن التعارض في نظر الرجال لا يُخرج الدليلين عن العمل بهما معا، فيُعمل بكل واحد منهما إما عزيمةً وإما رخصةً"[١].

ومن الشروط التي وضعها العلماء للجمع بين النصوص:

١-أن يكون الباحث في المتعارضين والناظر فيهما من أجل الجمع أهلاً لذلك، وعليه: فلا يُقبل مثلُ هذا من كل واحدٍ لا يليق بهذا المسلك

٢- أن لا يؤدي الجمع إلى بطلان نصٍ من نصوص الشريعة أو بطلان جزء منه.

٣- أن لا يصطدم الجمع مع نص صحيح.

٤- أن لا يكون الجمع والتوفيق بين المتعارضين بالتأويل البعيد، وذلك إنما يتحقق بما يلي:

أ – أن لا يخرج عن القواعد المقررة في اللغة.

ب – أن لا يخالف عُرف الشريعة ومبادئها.

ج – أن لا يكون بحيث يخرج الكلام به إلى ما لا يليق بكلام الشارع الحكيم[٢].

ثانيًا: النسخ:

قد مرَّ بنا تعريف النسخ[٣]. ومما لا شك فيه أن معرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن الكريم، التي ينبغي للمجتهد إتقانها، بل هي أحد أركان الاجتهاد، وبالتالي لا يمكن الاهتداء إلى الحكم الصحيح، إلا بمعرفة المتقدم من المتأخر. فعن عليٍّ ﷺ: "أنه قال لقاصٍّ:

---

(١) الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، أبو الحسنات اللكنوي ص(١٨٣ ــ ١٨٤).

(٢) ينظر: التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي، د.محمد إبراهيم الحفناوي ص(٢٦٤ ــ ٢٧٠)

(٣) في المبحث الرابع من هذا الفصل ص(٧٥).

أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال: هلكتَ وأهلكتَ"[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، (يعني: المعرفة بالقرآن ناسخِه ومنسوخِه، ومحكَمِه ومتشابِهِه، ومقدمِه ومؤخرِه، وحلالِه وحرامِه، وأمثالِه)[٢].

وينبغي أن يُعلم أن هناك ثمة أمورًا تتعلق بالنسخ، وهي كالتالي:

١- أن الناسخ هو الشارع الحكيم سبحانه.

٢- النسخ لا يقع إلا في الأحكام الشرعية التي هي ليست من الكليات.

٣- النسخ لا يلزم منه أن الله تعالى قد انكشف له ما لم يكن عالمًا به[٣].

على أنه ينبغي الإشارة هنا إلى أن أمثلة النسخ في القرآن لا تتجاوز في جملتها عشرين موضعًا كما قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]، والشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ قد استدرك على السيوطي

---

(١) أخرج هذا الأثر النحاس عن علي رضي الله عنه من طريق سفيان الثوري عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي، وذكره ابن حزم الأنصاري في ناسخه بدون إسناد، عن أبي عبد الرحمن، كما ذكره الخطيب البغدادي عنه، بإسناده، وروى نحوه البيهقي في الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب: إثم من أفتى أو قضى بالجهل (١١٧/١٠)، ورواه الحافظ ابن أبي خيثمة في كتاب العلم، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ينظر: كتاب العلم، للحافظ ابن أبي خيثمة ص ١٤٠، ت: الألباني، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٥)، ومعرفة الناسخ والمنسوخ المطبوع على هامش تفسير ابن عباس ص(٣٠٥)؛ والفقيه والمتفقه ، للبغدادي (٨٠/١)،و البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٩/٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، قال: حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن طلحة، عن ابن عباس به (٥٣١/٢)، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٨/٥). وبعضهم ضعَّف هذا الإسناد: للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس إلا أن بعض العلماء ذهب إلى تصحيحه بناء على أن الواسطة بينهما ثقة، سواء كان مجاهدًا وعكرمة، أو مجاهدًا وحده، أو مجاهدًا وسعيد بن جبير، وقد اعتمد البخاري كثيرًا على هذا الطريق في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس في التفسير والتراجم. ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٣٩/٨).

(٣) يقصد به (البداء) قال به اليهود والشيعة، ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (١٦٢/٣ ـ ١٦٦)، إرشاد الفحول للشوكاني (٥٢/٢-٥٣)، والنسخ في القرآن الكريم، مصطفى زيد (٢٠٦/١).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٧٧/٣).

موضعين فقال بعدم النسخ فيهما، إضافة إلى موضعينِ ذكرهما الشنقيطي وقع فيهما نسخ للناسخ[١].

وليُعلمْ أن هذا المسلك - احتمال النسخ - إنما يصار إليه إذا تعذر الجمعُ والتوفيقُ بين الآيات؛ فهو لا يعدو كونه طريقةً من طرق دفع توهم التعارض بين الآيات، وليس مرتبةً يصار إليها بطريقة آلية، إن صح التعبير.

ثالثًا: الترجيح:

ويراد به: إثبات مرتبةٍ في أحد الدليلين على الآخر[٢].

وعند الأصوليين: تقويةُ إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل[٣].

والمراد به عند المفسرين:

هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو لتضعيف ما سواه من الأقوال[٤].

والترجيح عند المفسرين لا يخرج عن الإطار العام للترجيح عند الأصوليين من تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليلٍ، وإن كان استعمال المفسرين للترجيح أوسع وأشمل من خلال ترجيحهم لقول على آخر أو ترجيحهم بين المعاني المختلفة في النص الشرعي الواحد[٥]. وهذا يسمى اختيار.

(١) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٧٠٤/٩).

(٢) ينظر: التعريفات، للجرجاني ص(٥٦).

(٣) ينظر: شرح الكوكب المنير (٦١٦/٤).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (٢٩/١).

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١٣٤/٣)، ودراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني، د. عبدالله الرومي(٢٠٦/١).

والذي يجب مراعاته عند المفسر: التفرقة بين الترجيح والاختيار[١].

وهذا المسلك لا يصار إليه إلا عند تعذر كلٍّ من الجمع والنسخ.

جاء في روضة الناظر: "فإن لم يمكن الجمع ولا معرفة النسخ رجحنا فأخذنا الأقوى في أنفسنا"[٢].

ومن مسالك الترجيح بين الأدلة:

١- تقديم المدني على المكي؛ فيقدم الحكم بالآية المدنية على المكية في التخصيص والتقديم، علاوة على أنه يبين الناسخ من المنسوخ.

٢- أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة، والآخر على غالب أحوال أهل المدينة؛ فيقدَّم الحكم الآخر الذي فيه أحوال أهل المدينة.

مثاله: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾... [البقرة:١٧٨] مع قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

حيث إن الإجماع منعقدٌ على أن من جنى في الحرم لا يُؤَمَّن؛ لأنه هتك حرمة الحرم، وردَّ الأمان، وإنما الخلاف فيما إذا وجب القصاص عليه خارج الحرم؛ فالتجأ إلى الحرم، فهل يستوفى منه القصاص في الحرم؟[٣]

قال الشنقيطي: "وأجرى هذه الأقوال على الأصول، وهو أولاها، هو الجمع بين الأدلة، وذلك بقول من قال: يضيق على الجاني اللاجئ إلى الحرم، فلا يباع له، ولا يشترى

(١) ينظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/١٠-١١)

(٢) روضة الناظر، لابن قدامة (٢/٣٩١).

(٣) ينظر: موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، للشمالي (١٥٣-١٥٤).

منه، ولا يجالس، ولا يكلم حتى يضطر إلى الخروج، فيستوفى منه حق الله إذا خرج من الحرم؛ لأن هذا القول جامع بين النصوص، فقد جمع بين استيفاء الحق، وكون ذلك ليس في الحرم، وفي هذا خروج من الخلاف"[١].

٣- أن يكون أحد الظاهرين مستقلا بحكمه، والآخر مقتضيًا لفظًا يزاد عليه؛ فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترجيح.

٤- ترجيح النصّ على الظاهر[٢]: وذلك لأن النص في دلالته على الحكم أقوى من الظاهر؛ ولذلك إذا تعارض النص مع الظاهر يُقدم النص في العمل.

مثاله: قوله تعالى في الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

هذه الآية نصٌّ في التحريم ولا يحتمل غير ذلك، ولا يكون قولُهُ تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة:٩٣] معارضاً له.

فهذه الآية لم تُسَقْ لتحليل كل طعام وشراب، بل لبيان منزلة المتقين، وأن المتقي من يعمل الصالحات ويحسن عملها[٣][٤].

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٥/٤٦٣).

(٢) النص: ما يفيد بنفسه من غير احتمال، أو هو الصريح في معناه. والظاهر: ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنىً مع تجويز غيره، أو ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر من الآخر. ينظر: (روضة الناظر: ١٥٧).

(٣) أصول الفقه، لأبي زهرة ص(١٢١-١٢٢)، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٤/١٨).

(٤) ينظر بعض هذه المسالك في: البرهان، للزركشي (٢/٤٨)، الإتقان، للسيوطي (٣/٩٩).

ولذلك لما سيق شارب خمر إلى عمر ﷺ وسأله: لِمَ شربتها؟ واستدل بهذه الآية، أقام عليه عمر الحدّ، وقال له: أخطأت التأويل، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرَّم الله[١].

رابعًا: التوقف:

ويراد بالتوقف هنا: الامتناع إلى أمد عن إصدار حكم يرفع به الإشكال الوارد على معنى الآية أو الآيات لعدم القبول بهذا الحكم عند التوقف.

والتقييد الوارد في التعريف (إلى أمد) يعني إلى غاية، وهي: العثور على ما يدفع به الإشكال، فيصار إليه.

إن التوقف من المفسِّر فيما لم يتضح ويتبين له أولى من أن يقول في الآية بغير علم؛ فيدخل في باب القول على الله بغير علم.

فإن لم يتيسر الجمع وتعذر معرفة الناسخ والمنسوخ وانعدمت طرق الترجيح؛ فإنه يجب التوقف حتى يتبين وجه الحقّ.

قال ابن حجر[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: "فصار ما ظاهره التعارض واقعًا على هذا الترتيب:

الجمع إن أمكن، فاعتبار الناسخ والمنسوخ، فالترجيح إن تعين، ثم التوقف"[٣].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه تحقيق وتخريج: حبيب الأعظمي (٩/٢٤٠) رقم (١٧٠٧٦) عن معمر عن الزهري، قال أخبرني عبد الله ابن عامر بن ربيعة...إلخ، والبيهقي في الأشربة (٨/٣١٦).

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل الشافعي، شهاب الدين ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، مولده ونشأته ووفاته بمصر، ولَعَ بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى معظم البلدان الإسلامية للسماع وطلب الحديث، وعلت له شهرته، فقصده الناس للأخذ عنه، وتوفي سنة (٨٥٢هـ)، وله مؤلفات كثيرة، منها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، وتهذيب التهذيب، ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (٢/٣٦)، والبدر الطالع للشوكاني (١/٨٧).

(٣) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، ت: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ص(٢١٨).

وسيأتي - إن شاء الله - مزيد إيضاح عند الحديث عن مسلك التوقف في المبحث الثامن من الفصل الثالث (منهج الشنقيطي في دفع موهم التعارض والاختلاف بين الآيات).

وقد نهج الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المنهج في كتابه"دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" وغيره، فقال:"... واعلم أنه إن حصل التعارض وجب الجمع أولًا إن أمكن؛ كتنزيلها على حالين كما أكثرنا في أمثلته القرآنية في كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"...فإن لم يمكن الجمع، فالمتأخر ناسخ للمتقدم، فإن لم يعرف المتأخر فالترجيح..."[1].



(١) مذكرة في أصول الفقه ص(٣٧٦).

المبحث السادس

• ثمرات علم موهم التعارض والاختلاف

لمعرفة عِلْمِ مُوْهِمِ التعارضِ والاختلاف ثمراتٌ كثيرةٌ، من أهمها:

أولا: بيان تآلف آيات القرآن وتناسبها:

لم ينزل القرآن جملة واحدة، ولم ينزل مرتبًا على حسب ترتيب المصحف الآن، بل كان ينزل ابتداءًا وينزل مُفرَّقًا حسب الوقائع والأحداث والأسئلة خلال ثلاث وعشرين سنة.

ومع هذا كله فإن المتأمل لآيات القرآن وسوره يجد تناسبًا وموافقةً بين آياته وسوره وكأنه وحدة موضوعية واحدة؛ لا تناقض ولا اختلاف بين آياته، ولعلَّ شيخَ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار في أكثر من موضع إلى هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ إذ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عما تضمنته سورة البقرة إجمالا[١]:

"فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض، وكيف ذكر أحكام الحج فيها في موضعين: مع ذكر بيته وما يتعلق بمكانه، وموضع ذكر فيه الأهِلَّة، فذكر ما يتعلق بزمانه، وذكر أيضا القتال في المسجد الحرام، والمقاصة في الشهر الحرام؛ لأن ذلك مما يتعلق بالزمان المتعلق بالمكان؛ ولهذا قَرَنَ سبحانه ذكر كون الأهلة مواقيت للناس والحج.

وذكر أن "البرَّ" ليس أن يُشقِي الرجلُ نفسَه ويفعل ما لا فائدة فيه؛ من كونه يبرز للسماء فلا يستظل بسقف بيته، حتى إذا أراد دخول بيته لا يأتيه إلا من ظهره[٢]، فأخبر أن الهلال الذي جعل ميقاتًا للحج شرع مثل هذا[٣]، وإنما تضمن شرع التقوى، ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بأحكام النكاح والوالدات، وما يتعلق بالأموال والصدقات والربا والديون

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني، د.محمد العواجي ص(١٩٠).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٩].

(٣) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: "لم يشرع لمثل هذا" كما يدل عليه الكلام. وينظر: إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني، د.محمد العواجي ص(١٩٠).

وغير ذلك، ثم ختمها بالدعاء العظيم المتضمن وضع الآصار والأغلال والعفو والمغفرة والرحمة، وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ما شرعه من الدين في كتابه المبين)[1].

وإذا كان هذا هو حال آيات القرآن في تناسبها وارتباطها فكيف يُدَّعى أن بين آيات القرآن تناقضًا أو اختلافًا، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

ثانيًا: الذبُّ عن خاصية الإعجاز والحرص على تثبيتها:

إن خاصية إعجاز القرآن الكريم من ناحية نظمه وأسلوبه هي قضية الإعجاز الأولى التي تناولها القرآن الكريم في تحديه للعرب أن يأتوا بمثله؛ لا سيما وأن القوم الذين تحداهم رسول الله ﷺ كانوا ذوي حرص على تكذيبه والردِّ عليه، وحالهم معروفة في معاداته ومعاندته، وإظهار بغضه وأذاه، وقذفه بالجنون والشعر والسحر...إلخ

فلا ريب أنهم راموا ذلك فما أطاقوه، وحاولوه فما استطاعوا، وأنهم رأوا نظمًا عجيبًا خارجًا عن أساليب كلامهم، ورصفًا بديعًا مباينًا لقوانين بلاغتهم ونظامهم؛ فأيقنوا بالقصور عن معارضته، واستشعروا العجز عن مقابلته وهذا هو الوجه في إعجاز القرآن[2].

إذًا الوجه الإعجازي في القرآن هو الذي يتحقق في كل سورة من سوره، وهو الذي به تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله، وهو الإعجاز البياني في نظم القرآن وأسلوبه وفصاحته وبلاغته ومعانيه.

وقد قامت الحُجَّةُ على العرب حينما لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، وبذلك تكون الحُجَّةُ قامت على مَنْ بعدهم؛ لأن العرب الذين بُعث فيهم رسول الله هم أهل الفصاحة والبلاغة، ومن بعدهم لا يبلغون ما بلغوا في ذلك[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤٦/١٤ ــ ٤٧).

(٢) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي (٢٠٥/١-٢٠٦).

(٣) نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، عيسى بن ناصر الدريبي ص(١٠٠).

وبالتالي فإن ثمرة علم موهم التعارض تعضد بيان هذه الحقيقة، وتكشف مزيدًا من إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه، وأنه لا تعارض بين آياته لفظا أو معنى، وهو يوجه المتدبر لآيات القرآن إلى وجوه دفع هذا التوهم، من خلال القواعد الأصولية، وطرائق التفسير.

ثالثًا: تحقيق التدبر لكتاب الله تعالى:

فقد أنزل الله تعالى كتابه على نبيه محمد ﷺ للعمل به، وتدبر آياته، فقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص:٢٩]، وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢].

قال ابن عاشور[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها؛ أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق"[٢].

وكان صحابة رسول الله رضي الله عنهم يسألون النبي ﷺ عن الآيات التي تشكل عليهم؛ وذلك فيما يبدو نتيجة لتحقيق الأمر الإلهي بتدبر القرآن العظيم، ثم لما جاء عصر التابعين وكثرت الإشكالات عما كان عليه الأمر في عهد الصحابة، وبعد ظهور الفرق والمذاهب، كثر السؤال حول آيات القرآن؛ وتنوعت هذه الأسئلة: فبعضها كان عن الألفاظ، وبعضها كان عن المعاني، وبعضها عن الإعراب، وبعضها في القراءات، وبعضها فيما أوهم التعارض...إلخ[٣].

---

(١) هو: الأستاذ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد بالمرسى شمالي تونس، سنة (١٢٩٦هـ)، تخرج من جامع الزيتونة، ثم عين مدرسا به، وتدرج في عدة مناصب تعليمية، فقدم إصلاحات كبيرة، وأثرى المكتبة بأعماله العلمية، ومن كتبه: "تفسير التحرير والتنوير، و"مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، وتوفي سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور، للشيخ محمد الحبيب بن الخوجة (١/١٦٨)، محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، د. بلقاسم الغالي ص(١٤٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/١٣٧).

(٣) ينظر: مشكل القرآن الكريم، المنصور ص(٨٤-٨٥).

فالتدبر لآيات الكتاب مدخل مهم للرد على هذه الإشكالات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آية معينة بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان؛ تمنعه من معرفة الحق، وتارة **لعدم التدبر التام**، وتارة لغير ذلك من الأسباب)[١]".

والتدبر في القرآن يُستكمل في قلب القارئ إذا بذل الجهد، وأعمل النظر الدقيق بقدر طاقته العلمية وقوته الذهنية، وفهمه الصحيح، واستعمال الآلات اللغوية التي مَكَّنه الله تعالى منها، بغية الوصول إلى مقاصدها، والاتعاظ والعمل بها، وتلك هي حقيقة التدبر.

فالعِلمُ بطرقِ دفع توهم التعارض والاختلاف عن آيات القرآن الكريم مما يحقق للعبد تدبر القرآن، والانتفاع به، والعمل بأوامره ونواهيه، وكذلك فإن التدبر مدخل غاية في الأهمية لكشف تلك الأوهام التي قد ترى أن ثمة إشكالًا أو تعارضًا أو اختلافًا بين آي الكتاب العزيز.

رابعًا: بيان إيضاح السنة للقرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٣، ٤٤].

يقول ابن عطية[٢]: "وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ يحتمل أن يريد لتبين بِسَرْدِكَ نَصَّ القرآن ما نزل، ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك المجمل، وشرحك ما أُشكل مما نزل، فيدخل في هذا ما

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٤٠٠)

(٢) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد، مفسر فقيه أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، من كتبه: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، توفي سنة (٥٤٢هـ). ينظر: بغية الوعاة، للسيوطي (٢/ ٧٣)، طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٦٠).

بينته السنة من أمر الشريعة، وهذا قول مجاهد"[١].

فكون القارئ يجد في بعض الآيات ما يثير في ذهنه القاصر بعض الإشكالات؛ فإن سنّةَ النبي ﷺ تُفسّرُ وتبيّن له ما أشكل عليه؛ وفي هذا دليل على أن السنة مفسِّرةٌ للقرآن الكريم.

وفي تفسير هذه الآية أيضا يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ربهم، أي: لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصّلَ لهم ما أُجمل، وتُبيّنَ لهم ما أشكل: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين[٢].

خامسًا: إظهار فضل العالم على غيره:

ذلك أن إيضاح ما يتوهم اختلافه أو تناقضه من الآيات القرآنية يحتاج في كشفه وحلاله إلى علوم شرعية كثيرة؛ من الحديث، واللغة، والفقه، والنحو، والبلاغة وغيرها؛ لاستعمالها في دفع ما يُتوهم إشكاله أو تعارضه، ولا يتأتى ذلك إلا لمن بذل المزيد من الجهد والمشقة للوصول إلى تحصيل تلك العلوم؛ ومن ثمَّ تأتي منزلة العلماء الراسخين في العلم[٣].

ولهذا اشترط العلماء شروطًا لمن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى، يقول صاحب كتاب المباني في نظم المعاني: "يحتاج من تكلّم في تفسير كتاب الله عز وجل إلى عشر خصال، إن أخطأ واحدة منها كان السكوت أولى به.

إحداها: أن يكون عالمًا بظاهر التنزيل، عارفًا باختلاف القراءات، وما يختلف به المعنى، وما لا يختلف"[٤].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد (٣/٣٩٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٧٤)، و ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٧/١٤٩)، مشكل القرآن الكريم، المنصور ص(٧٩-٨٠).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٧/١٤٩)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٤/٢٠٠-٢٣٠).

(٤) كتاب المباني في نظم المعاني، لأحمد بن محمد العاصمي، نشره آرثرجفري، ضمن "مقدمتان في علوم القرآن" ص(١٧٤).

وكذا يشير أبو حيان إلى أهمية إحاطة المفسِّر بأسباب النزول؛ فيقول: "تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخٍ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك من علم الحديث"(١).

ومما يحتاجه المفسِّر أن يكون عالمًا بصحيح سيرة رسول الله ﷺ من غيرها، وأن يكون قد وقف على غزواته ووقائعه وأخبار حياته؛ وهذا مما يعين على فهم القرآن ودفع ما يتوهم من إشكالاتٍ(٢).

وهكذا، تتجلى قيمة العلماء وفضلهم فيما يحملونه من علمٍ يُدفع به ما يُتوهم تعارضه أو اختلافه من الآيات الكريمة، فضلا عن أنَّ ثمرة دراسة هذا العلم تطلعنا على لونٍ من ألوان جهاد العلماء، حملة الكتاب في بيان هذا الفن الدقيق من علوم التفسير(٣).

سادسًا: سبب لزيادة الأجر والثواب من الله:

البحث في هذا العلم يوجب بذل المزيد من الجهد والوقت والمشقة؛ للوصول إلى ما يدفع هذا التوهم، مما يحصل معه المزيد من الثواب والأجر(٤).

سابعا: تحصيل العلوم الشرعية:

مما لاشك فيه أن البحث في هذا العلم يوجب على الباحث تحصيل علوم شرعية كثيرة من الحديث والفقه وأصوله واللغة والنحو وغيرها، وذلك لتوظيفها في دفع التعارض المتوهم بين الآيات، فكان هذا العلم سببًا ومعينًا ومحفزًا على تحصيل هذه العلوم(٥).



(١) البحر المحيط (١/١٥).

(٢) ينظر: أصول التفسير، للشيخ ابن عثيمين ص(٥٠ ـــ ٥٥).

(٣) ينظر: مشكل القرآن، للمنصور ص(١٠٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٧٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق ص(٧٧).

الفصل الثاني
السمات العامة لمنهجه في كتابه

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاستقراء والتتبع.

المبحث الثاني: الاستيعاب لأغلب الآيات الموهمة للتعارض والاختلاف.

المبحث الثالث: الجمع بين الأشباه والنظائر في الموضوع الواحد.

المبحث الرابع: العمق في دفع توهم التعارض والاختلاف.

المبحث الخامس: التمكّن من فهم القرآن واستحضار آياته.

المبحث السادس: اليسر والسلاسة في حلّ موهم التعارض والاختلاف.

المبحث السابع: توظيف العلوم الأساسية في دفع موهم التعارض والاختلاف.

المبحث الثامن: التواضع والتبرؤ من الحول والقوة بكل رأيٍ يتبنّاه.

تمهيد

يتسّم منهج الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع التعارض عن آيات الكتاب العزيز بسمات عديدة، منبعها شخصيته العلمية التي ارتسمت فيها كل صور النبوغ العلمي، والشمول المعرفي للنقل والعقل واللغة، والاطلاع الواسع على تراث الأئمة والعلماء في مختلف الفنون؛ ولهذا يُفاجأ من يقرأ له بسيل جارف من المعلومات المتدفقة في أهم العلوم والفنون التي سخّرها جميعاً لخدمة القرآن الكريم بدءاً بتفسيره، ووصولاً إلى دفع موهم التعارض والاختلاف عنه.

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستقرئ المواطن الموهمة للتعارض والإشكال ويتتبعها، حتى إنه ليوقف القارئ على بعض منها لم يكن يتوقع وجود شيء من ذلك فيها! حتى استوعب أو كاد جميع الآيات التي قد يُتوهم فيها تعارضٌ أو اختلاف.

كما استقرأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسلوب القرآن، وخصائص الشرع وأحكامه، وأساليب العربية التي استفاد منها كثيرًا في دفع توهم التعارض والاختلاف عن آيات القرآن الكريم، بأسلوب قوي ومفحم.

كما وجدتُ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عميقًا في فهم معاني آيات القرآن، قوياً في استحضارها، فيذكرها في موطن واحد يتجلى معه معنى الآية بالنظر إلى مجموع نظائرها من الآيات التي يوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما السلاسة والسهولة في دفعه للتعارض المتوهّم، فقد بلغ فيه شأوًا عجيبًا، حتى ليجد القارئ نفسه، عند تصوير الشيخ للتعارض، أنه أمام قضية عويصة ومشكلة، تثير تساؤلاً في نفسه: كيف لو أثيرت هذه الشبهة وطُلب مني دفعها؟! فإذا بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدفع ذلك التعارض ويزيله بكل وضوح ويسر.

إلى غير ذلك من السمات التي شكّلت جانباً من منهج الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه، سأتطرق إليها بالتفصيل مع هذه التي ألمحتُ إليها، في مباحث هذا الفصل، وهي مجتمعة غيضٌ من فيضٍ تميّز هذا الإمام الجليل في علم من علوم القرآن، وهو (موهم التعارض والاختلاف).

المبحث الأول

الاستقراء والتتبع

الاستقراء: هو تصفح أمور جزئية لنحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات.

وقيل: هو: الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته.

وقيل: " في أكثر جزئياته "؛ لأن الحكم لو كان في جميع جزئياته لم يكن استقراء، بل يكون قياسا مقسماً.

وسمي ذلك استقراء؛ لأن مقدماته لا تحصل إلا بتتبع الجزئيات.

و ينقسم الاستقراء إلى قسمين:

الأول: استقراء تام، وهو الذي يشمل جميع الجزئيات،فهذا يفيد اليقين.

الثاني: استقراء ناقص، وهو الذي يشمل أغلب وأكثر الجزئيات، وهو لا يفيد إلا الظن[1].

أما عن الاستقراء عند الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فهو فارِسُه الذي لا يُشق له غبار فيه، سواء في القرآن الكريم أم في الشرع وأحكامه ومقاصده، أم في اللغة العربية ولهجات قبائلها، ومذاهبها في نحوها وبلاغتها ! وذلك عائدٌ – بلا شك- إلى كثرة النظر في القرآن الكريم وتأمل سَننه وأسلوبه في شتى الموضوعات والمسائل، العقدية والتشريعية والأخلاقية. وكذلك كثرة التأمل في أحكام الشريعة ومقاصدها ودلائلها، والنظر في اللغة العربية، شعرها ونثرها، ونحوها وبلاغتها.

كما تمثّل عنده رَحِمَهُ اللَّهُ بعد دراسة آرائه وتقريراته في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن

---

(١) ينظر: المستصفى، للغزالي (١/٤١)، روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة (١/٩٥)، المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (١/١٠٩-١١٠).

آيات الكتاب" في فهم النص، واستكناه مضامينه، وسبر مقاصده ومدلولاته؛ حتى يصل إلى حكم صادق وصحيح ومتّسق مع الشرع، كما هو معروف في منهج العلماء الذين لهم نوع استقراء للأحكام الشرعية والوقائع[١].

وقد ورد عن الشيخ بصريح العبارة ما يدل على استقرائه للقرآن وللشرع، وللغة العربية، من أمثال قوله: "وقد علمنا ذلك من استقراء القرآن العظيم"[٢]، وقوله: "القول الذي يدلّ استقراء القرآن على رجحانه"[٣]، وقوله: "يدلّ استقراء القرآن على أنّ واحداً منها هو الحقّ"[٤].

ومن أقواله الدالة على استقراء الشرع: "لما عُرف من استقراء الشّرع"[٥]، وقوله: "أنّ استقراء الشريعة استقراءً تاماً يدلّ على..."[٦]، وقوله: "لأنه عُرف من استقراء الشّرع"[٧].

ومن أقواله الدالة على استقراء اللّغة العربية، قوله: "الذي يدلّ عليه استقراء اللّغة العربية"[٨] وقوله: "الذي يظهر لي من استقراء اللّغة العربية التي نزل بها القرآن"[٩].

وهذه لا تعدو أن تكون أمثلة على أنواع كثيرة من الاستقراء عند الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ما يدلّ على تبحّره في تلك العلوم؛ ولذلك نجد تقريراته يغلب عليها الجزم وعدم التردد،

---

(١) ينظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل). نصر محمد عارف. ص(٨٣)

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (١/٣٧٧).

(٣) المصدر السابق (٢/١٦٦).

(٤) المصدر السابق (٧/٢٣٣).

(٥) المصدر السابق (٣/١٤٨)

(٦) المصدر السابق (٥/٤٦٧)

(٧) المصدر السابق (٣/٤٩٨)

(٨) المصدر السابق (١/١٠٠).

(٩) المصدر السابق (٢/٤١٩). وينظر: (٤/٢٧٢)، (٧/٥٣٨).

بأسلوب يدل على اطمئنان نفسه وثباتها لما يقرّره، أو يرجّحه، أو يردّه وإن كان القائل بـــه من الأكابر في العلم.

ولهذا – أيضاً- فإن الشيخ في كتابه "دفع إيهام الاضطراب"، يستعمل هذا المنهج المتين في دفع التعارض والاختلاف عن آيات القرآن، ويبني عليه ردوده القوية على من يروم وصم القرآن الكريم بالتعارض والاختلاف.

وهذه بعض الأمثلة [١] للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الأصل المهم – الذي هو الاســـتقراء- في كتابه "دفع إيهام الاضطراب"، أستعرضها للتدليل على هذا المنهج الأصيل عنـــد الشـــيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

١ -استقراء الشيخ للقرآن الكريم:

ومن أمثلة وقوع ذلك:

١- مسألة: وقوع إطلاق المفرد وإرادة الجمع، مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٩].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "لا خلاف بين أهل اللسان العربي في وقوع إطلاق المفرد وإرادة الجمع مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته، **وهو كثير في القرآن العظيم وفي كلام العرب**"[٢].

ثم استدلّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما ذهب إليه بأمثلة من القرآن وبـــأقوال الشـــعراء العـــرب، وأئمة العربية، مما يدلّ على استقرائه وتتبعه للمسألة في القرآن الكريم وفي كـــلام العـــرب،

(١) سألتزم في إيراد الأمثلة في هذا المبحث جميعه بترتيب ورودها في الكتاب، وليس على الموضوعات والمسائل.

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٦).

كما ذكر[١].

٢- مسألة: مجيء الظن بمعنى اليقين:

كالذي ورد عند استشهاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾[البقرة٤٦].

حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والعرب تطلق الظنّ بمعنى اليقين ومعنى الشك. وإتيان الظن بمعنى اليقين كثير في القرآن وفي كلام العرب"[٢].

ثم استدل على ذلك بآيات من القرآن، وبكلام العرب[٣].

٣- مسألة: وجود آية هي الأولى في المصحف، وهي ناسخة لآية بعدها:

قال الشيخ: "وليس في القرآن آية هي الأولى في المصحف وهي ناسخة لآية بعدها إلا في موضعين". [٤] ثم ذكر الأول منهما وهو موضع آية [البقرة: ٢٣٤] : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ فهي ناسخة لآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة:٢٤٠].

والثاني: قوله تعالى: آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، هي الأولى في المصحف وهي ناسخة لقوله: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ [الأحزاب:٥٢]؛ لأنها وإن تقدّمت في المصحف فهي متأخرة في النزول[٥].

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٦-٤٩).

(٢) المصدر السابق ص(٥٢).

(٣) المصدر السابق ص(٥٢-٥٣).

(٤) المصدر السابق ص(٨٩).

(٥) المصدر السابق ص(٨٩).

٤- مسألة: إسناد الفعل إلى المجموع مراداً به بعضه:

إسناد عقر الناقة لقوم صالح مع أن العاقر واحد من القوم، وذلك في سورتي الأعراف والشمس، قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ [الأعراف:٧٧]، وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾[الشمس:١٤].

وأحال الشيخ في موضع على ورود تلك المسألة في سورة الأنفال واستغرق الحديث صفحتين مشحونة بذكر الشواهد من القرآن، مما يدلّ على استقراء الشيخ وتتبعه الشديد لما في القرآن من المعاني[١].

٥- تعبير الشيخ بقوله عن موضوع معيّن: "مع كثرته في القرآن"[٢]، و"وهو كثير في القرآن العظيم"[٣].

٦- كما يظهر استقراء الشيخ للقرآن العظيم ومعانيه في تعيين بعض المعاني لبعض الألفاظ بما لا يتبادر إلى الذهن بادي الرأي، كإطلاق لفظ (الوفاة على النوم)[٤]، ولفظ (الإمام على الداعي إلى الشر)[٥]، و(استعمال الهدى في الإرشاد إلى الشر)[٦].

ب -استقراء الشيخ للغة العربية:

ويظهر هذا الجانب من تضاعيف الأمثلة والمسائل التالية:

١- مسألة إطلاق المفرد وإرادة الجمع، مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته:

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢١٥-٢١٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٥٧).

(٣) المصدر السابق ص(٤٢٣).

(٤) المصدر السابق ص(١٠٢).

(٥) المصدر السابق ص(٢٤٦).

(٦) المصدر السابق ص(٢٤٦).

ذكر الشيخ في هذه المسألة اتفاق أهل اللسان العربي وعدم اختلافهم عليها، وذكر أن هذا الأسلوب كثير في كلام العرب، وساق ذلك في أربع صفحات من كتابه، داعماً أقواله بالشواهد القرآنية، والشعرية والنحوية[1].

٢- مسألة: إطلاق القلّة وإرادة العدم:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إطلاق القلة وإرادة العـدم كـثيرة في كـلام العـرب "واستشـهد على ذلك[2].

٣- مسألة: إفراد لفظة (خصم) ومجيء الضمائر بعدها على خلاف ذلك:

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الخصم في الأصل مصدر خصمه، والعرب إذا نعتـت بالمصـدر أفردته وذكّرته"[3].

٤- مسألة: (لا) التي للصلة:

في ردّ ما يتبادر إلى الذهن من نفي القسـم في أمثـال قولـه تعـالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[البلد: ١]، قال الشيخ -رحمه الله-: "الجمهور، أن " لا " هنا صلة على عادة العرب، فإنها ربما لفظت " لا " من غير قصد معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده"*[4].

---

(١) المصدر السابق ص(٤٦-٤٩).

(٢) المصدر السابق ص(١٣٩).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٦٣).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٦٢). وينظر ما عزاه أيضاً لـ (عادة العـرب) في ص(٢٨٢)، وص(٤٨٨).

*(لا) التي للصلة هي: اللام الزائدة المؤكّدة الملغاة، وقد استبعد بعض النحويين زيادة (لا) وأن يقع الحرف مزيدًا للتأكيد أوّلًا، وقالوا: لأن حكم التأكيد ينبغي أن يكون بعد المؤكّد، ومن النحاة مـن أسماهـا: (لا) الزائـدة، وبعضهم أسماها: (لا) الصلة، وقيل: إنها لتوكيد النفي الذي يجيء بعدها، وقيل غير ذلك. ينظر: شرح المفصـل لابن يعيش (٥/٧٥-٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/٦٥٨-٦٥٩)، معاني النحو د. فاضل السامرائي (٤/١٦٩-١٧٠)

٥- مسألة: مجيء الظن بمعنى اليقين:

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "والعرب تطلق الظن بمعنى اليقين ومعنى الشك، وإتيان الظن بمعنى اليقين كثير في القرآن وفي كلام العرب"[١].

كانت هذه بعض ملامح سمات الاستقراء عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقرآن العظيم وللغة العربية، الذي استعمله في دفع توهم التعارض عن بعض آيات القرآن، مما لم يترك مجالاً في سلامة القرآن ونظمه مما يوهم ذلك.

---

(١) المصدر السابق ص(٥٢).

المبحث الثاني

الاستيعاب لأغلب الآيات الموهمة للتعارض والاختلاف

نهج الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عرض ما يوهم التعارض والاختلاف في القرآن العظيم نهجًا يدلّ على صبر وجلد، وطول تأمل في آيات القرآن، لتصور كل ما يمكن أن يُساء فهمه من آي القرآن فيطعن فيها بالتعارض، أو بالاختلاف، ولو بصور ضعيفة في نظر الطاعنين، ما يدفعه للقول في كثير من الأحيان في الرد على تلك الأفهام الكليلة: (والجواب ظاهر)!

وقد بلغ عدد المسائل من نوع موهم التعارض والاختلاف مائتين واثنتين وأربعين (٢٤٢) مسألة شملت أغلب سور القرآن، عدا اثنتي عشرة (١٢) سورة.

وبالرغم مما قد يقال، أو مما قد قيل: إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترك بعض السور فلم يتعرض لموهم التعارض فيها[1]، فإن هذا لا يضيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويكفيه أنه دراسته استوعب – في مدة وجيزة جدًا من الزمن– أكثر آيات القرآن الكريم من خلال اثنتين وتسعين (٩٢) سورة التي قد يُتوهم فيها التعارض والاختلاف، وهذا جهد عظيم لا يُستهان به. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، يعدّ كتاب الشيخ (دفع إيهام الاضطراب) اللبنةَ الأولى في دراسات الموهم في زمننا المعاصر، فقد توالت الدراسات الأكاديمية – على وجه الخصوص– المتعلقة بالموهم، وقد استفادت كلّها أو جلّها على الأقلّ من كتاب الشيخ ومنهجه في دفع التعارض عن آيات الكتاب الحكيم، والمسائل العلمية التي تطرق إلى نصوصها من حيث إزالة الإشكال عنها، فتطرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مسائل العقيدة، والأحكام، كما تطرق إلى علوم اللغة العربية بأنواعها من نحو وصرف وبلاغة وأدب وشعر.

وبتطرق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذه العلوم، فتح الباب للمتخصصين إلى معالجة موهم

---

(١) لذلك قال مشرف كرسي القرآن الكريم، أ.د. عبدالرحمن الشهري، الذي أشرف على طبع الكتاب: (ولذلك يتسع العذر لمن صنّف في هذا الفن فيما يذكره وفيما يتركه من الآيات، والغرض هو الانتصار للفهم الصحيح للقرآن، ونفي الخطأ عنه أو احتمال الخطأ). دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٤).

التعارض والاختلاف كلٌ من زاوية تخصصه، فالمتخصص في العقيدة تناول موضوع موهم التعارض والاختلاف المتعلق بمسائل الاعتقاد[1]، والمتخصص في علوم القرآن وإعجازه دفع موهم التعارض والاختلاف عن نظم القرآن وبلاغته لإثبات أوجه الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن العظيم، ودفع طعون الطاعنين في القرآن وإبطالها... إلخ.

لكن يبقى العمل البشري دائماً عرضة للنقص، فالكمال المطلق هو لكلام الله تعالى؛ ومن هذا المنطلق تكلم تلميذ الشيخ ومتمّم تفسيره، الشيخ القاضي عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على المواضع التي من موهم التعارض و لم يتعرض لها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذلك قوله:

- "و لم يتعرض له الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في دفع إيهام الاضطراب"[2].
- "و لم يتعرض لها في دفع إيهام الاضطراب"[3].

بيد أن الناظر في كتاب (دفع إيهام الاضطراب) يجد أدلة كثيرة تدل على أن مؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد استوعب مسائل الموهم بصورة كبيرة جداً، مما يدل على سعة اطلاعه، وتتبعه الشديد كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق.

ومما يُستدل به على هذه الحقيقة – في نظري على الأقل بعد النظر في الكتاب وفي تفسير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأمور التالية:

١- ما ذكره تلميذه الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد نوّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببعض المباحث التي بحثها الشيخ في (دفع إيهام الاضطراب) بما لا مزيد عليه، من ذلك قوله:

- "وقد بحث الشيخ –رحمة الله تعالى علينا وعليه– هذه المسألة بتوسّع في دفع إيهام

---

(١) على سبيل المثال: الرسائل المتعلقة بـ" آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض" وهي ما تعلق بأركان الإيمان الستة، للباحثين: خالد بن عبدالله الدميجي، وحياة بن حمد المحمدي، وحنان بنت رافع العمري، في جامعة أم القرى. وقد طُبعت الرسائل الثلاث سنة ١٤٣١هـ بدار الفضيلة بالرياض.

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (٨/٤٣١).

(٣) المصدر السابق (٩/٥٥١).

الاضطراب بما يغني عن إيراده"[١].

•"وبيّن في آخر المبحث تحت عنوان: مسألة في حكم تاركي الصلاة جحداً أو كسلاً. وزاده بياناً، عند قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون:٩]، في دفع إيهام الاضطراب للجمع بين هذه الآية وآية: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٤٢]"[٢].

•"كل ذلك بحثه الشيخ -رحمة الله تعالى علينا وعليه- بتوسّع في دفع إيهام الاضطراب"[٣].

٢- إحالات الشيخ في كتابه (أضواء البيان) على كتابه "دفع إيهام الاضطراب":

مما يزيد من القيمة العلمية لكتاب (دفع إيهام الاضطراب)، أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أحال عليه كثيراً في كتابه الكبير في التفسير (أضواء البيان)، وهذا يدل على الاستيعاب في كتاب (دفع إيهام الاضطراب)، وأنه مصدر في موضوع (موهم التعارض والاختلاف في القرآن الكريم).

وقد تتبعت تلك الإحالات – بحمد الله – فوجدتها قرابة الخمسة وثمانين موضعاً نصّ فيها رَحِمَهُ اللَّهُ على اكتفائه بما تناوله في كتابه "دفع إيهام الاضطراب"، وقد جاءت عباراته الدالة على ذلك على النحو التالي:

- قوله:"وقد أشرنا إلى هذا البيان في كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"".[٤]

- وقوله:"وقد أوضحنا زيادة لفظة "لا" وشواهد ذلك من القرآن، ومن كلام العرب في سورة البلد، في كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"".[٥]

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٩/٥٨).
(٢)أضواء البيان، للشنقيطي (٩/١١٦).
(٣) المصدر السابق (٨/٥٠٣).
(٤) المصدر السابق (١/٢١٤).
(٥) المصدر السابق (٢/٩).

- وقوله: "كما أوضحناه في كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"".[١]

- وقوله: "وقد حققنا هذه المسألة مع مناقشة أدلة الفريقين في كتابنا "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب""[٢][٣].

٣- إحالات الشيخ عطية سالم في "تتمة أضواء البيان" على "دفع إيهام الاضطراب":

وقد عبّر الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض المواطن بأن ما حرره الشيخ في دفع إيهام الاضطراب، لا مزيد عليه، أو بأن الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد توسع فيه جداً، وبعبارات مثل هذه تدل على استيعاب تناول الشيخ لموهم التعارض بما فيه كفاية للناظر فيه.

- ومما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد بيّن الشيخ - رحمة الله تعالى عليه - هذا النوع في دفع إيهام الاضطراب على الجواب عن الإشكال الموجود في نسيان آدم، هل كان عن قصد أو عن غير قصد، وإذا كان عن غير قصد فكيف يؤاخذ؟ وبين خصائص هذه الأمة في هذا الباب - رحمة الله تعالى عليه - فليرجع إليه"[٤].

- وقال:"وقد بحث الشيخ - رحمة الله تعالى عليه - مسألة بقاء العصاة وخروجهم من النار وخلود الكفار فيها، بحثًا واسعًا في دفع إيهام الاضطراب في سورة "الأنعام"، فليرجع إليه"[٥].

- وقال: "وقد بحث الشيخ -رحمة الله تعالى علينا وعليه- هذه المسألة بتوسع في دفع

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٢/٤٠).

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (٢/٤٤).

(٣) وهذه إحالات بالأرقام على مثل تلك الإشارات: (١/٢١٤، ٤٢٦، ٤٦٦)، (٢/٧،٩، ٤٠، ٤٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٩، ٢٠١، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٩٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٤٠٦، ٤٢٢، ٤٤٥)، (٣/٥٩، ٧٥، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٥١، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٦٩، ٤٨٠، ٤٨١)، (٤/٥٢، ٧١، ٩١، ١٠٤، ١٢٨، ١٤٦، ٢٨٣)، (٥/١٩٥، ٢٥٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣٥٥، ٣٦٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٥٥٠)، (٦/٤٢، ٥٢، ١١١، ١٢٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ٢١٣، ٣٠٤)، (٧/١٣، ٤٥، ٤٧، ٦٩، ٩٨، ١٤٧، ١٨٦، ٢٣٦، ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٤٨، ٤٧٠، ٥٠٤، ٥٣٨).

(٤) أضواء البيان، للشنقيطي (٨/٥٦).

(٥) المصدر السابق (٨/٦١).

إيهام الاضطراب، بما يغني عن إيراده"[١][٢].

٤- الإحالة على المسائل المطروقة وربط بعضها ببعض في جميع مواطن ورودها :

إذا تكرّرت مسألة علمية معينة، أو موضع إشكال في آية قرآنية، أو ما يوهم التعارض بين مجموعة من الآيات، فإن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دأب على أمريْن في كتابه:

الأول: التذكير بأن المسألة سبق درسها مع تلخيص مركّز لأوجه دفع التعارض أو الإشكال عنها، ثم الإحالة على الدراسة الموسعة لها التي تمت في موضعها.

الثاني: أنه كان من عادته أن يرجيء دراسة مسألة معينة مع الإحالة على موضعها، بذكر الآية وسورتها التي وردت فيها.

وهو بهذا النهج لا يترك موضعًا دون دراسة أو تعليق، وغايته هي تقصي المواطن كلها، أما درسًا وإما إحالة.

وأنوّه هنا بأن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفي بما يعد في إحالاته، فقد كنت أتتبعها وأجدها كما وعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بل من دقة الشيخ واستقصائه أنه يحيل في مسائل على بعض كتبه، فقد أحال في (قصة الغرانيق)[٣][٤] على كتابه "الرحلة إلى بيت الله الحرام"[٥] بقوله: "وقد بيّنا هذه المسألة بيانـاً

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٩/٥٨).

(٢) وهذه إحالات بالأرقام على مثل تلـك الإشـارات: (١/٢١٤، ٤٢٦، ٤٦٦)، (٢/٧،٩، ٤٠، ٤٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٩، ٢٠١، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٩٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٤٠٦، ٤٢٢، ٤٤٥)، (٣/٥٩، ٧٥، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٥١، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٦٩، ٤٨٠، ٤٨١)، (٤/٥٢، ٧١، ٩١، ١٠٤، ١٢٨، ١٤٦، ٢٨٣،)، (٥/١٩٥، ٢٥٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣٥٥، ٣٦٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٥٥٠)، (٦/٤٢، ٥٢، ١١١، ١٢٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ٢١٣، ٣٠٤)، (٧/١٣، ٤٥، ٤٧، ٦٩، ٩٨، ١٤٧، ١٨٦، ٢٣٦، ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٤٨، ٤٧٠، ٥٠٤، ٥٣٨).

(٣) والغرانيق: ذكر بعض المفسرين أن النبي ﷺ قرأ بمكة: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجدوا وسجد، فنزلت. وهذه القصة غير ثابتة لا من جهة النقل، ولا من جهة العقل والنظر. ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد أبو شهبة ص(٣١٤ -٣٢١)، وقد ألف الشيخ الألباني رحمه الله كتاب" نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق"، جمع طرق تلك القصة من كتب التفسير والحديث، وبين عللها متناً وسنداً وعقّب على ذلك بذكر بعض البحوث والنقول عن بعض الأئمة ذوي التحقيق في الفروع والأصول ، تؤيد ما ذهب إليه من نكارة القصة وبطلانها، ووجوب رفضها، وعدم قبولها.

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٠٧-٣٠٨).

(٥) الرحلة إلى بيت الله الحرام ص(١٢٠-١٣٢).

شافياً في "رحلتنا"؛ فلذلك اختصرناها هنا. فظهر أنه لا تعارض بين الآيات"[١].

وهذه بعض الأمثلة على إحالات الشيخ، وسأكتفي بعد ذلك بالإحالة على باقي مواضعها على الصفحات في كتاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمن عبارات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في إحالاته على ما يأتي أو ما مضى، ما يلي:

١ـ قال في سورة البقرة: "ويأتي إن شاء الله تحرير المقام في سورة (الأحزاب)"[٢]، وقد حرّر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المسألة في سورة الأحزاب كما وعد في ثلاث صفحات كاملات[٣].

٢ـ وقال في سورة النساء: "وسيأتي – إن شاء الله – تحرير المقام في قضية أفعال الله بما يرفع الإشكال، في سورة (الشمس)"[٤]، وقد حرّر الشيخ المسألة في سورة (الشمس) في ثلاث صفحات"[٥].

٣ـوقال في سورة الأنعام: "وقد قدّمنا ذلك واضحاً بأدلته في سورة (المائدة)"[٦]، وقد تحدث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في سورة (المائدة) على تلك المسألة الأصولية بنَفَس طويل جداً[٧]، وهذا دليل على ما قدمتُ من الكلام على استيعاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لأوجه توهم التعارض وطرق الجمع بكل ما أوتي من قوة علمية وأدلة، نقلية وعقلية.

٤ـ ومن أمثلة ما يعد به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تناول المسائل في مواطنها الأكثر مناسبة، قوله: "وقد وعدنا فيما مضى أنّا -إن شاء الله- نبيّن القول بزيادة "لا" مع شواهده العربية في الجمع بين قوله: {لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ} [سورة البلد:١]، وبين قوله: {وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ} [سورة التين:٣][٨].

وقد أنجز الشيخ ما وعد به في موضعه من سورة (البلد) وأطال النفس في ذلك كثيراً

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٠٨).

(٢)دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٨٩).

(٣) المصدر السابق ص(٣٤٥-٣٤٨).

(٤) المصدر السابق ص(١٤٦).

(٥) المصدر السابق ص(٤٧٨-٤٨٠).

(٦) المصدر السابق ص (١٩٠).

(٧) المصدر السابق ص(١٥٨-١٨١).

(٨) المصدر السابق ص(٢٠٨).

بلغ ثلاث عشرة صفحة"[١][٢].

٥- التوسّع في الكلام على مسائل علمية معينة [٣]:

من منهج الشيخ في استيعاب مسائل موهم التعارض والاختلاف في كتابه، أنه يتوسّع في دراسة بعضها دراسة وافية وشاملة، حتى لا يترك منها شيئاً غامضاً أو مشكلاً بأي نوع من أنواع الإشكال، كما يستعمل كل ما يتعلق بالمسألة من مباحث أصلية وفرعية، ويقــرر ويناقش ويعرض للأقوال المختلفة، ثم يرجّح بما يراه دافعاً لتوهم التعارض.

وقد مرّ بعض عبارات تلميذه الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعض المســائل الــتي درسها الشيخ ووصفها بأنها مما (يغني عن إيراده) أي: إعادته في مواطن نظائرها.

ومن المسائل التي تناولها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بتوسّع لدرء توهم تعارض بين آيتين أو أكثر، أو لدفع إشكال يرد على النص القرآني، المسائل التالية:

١- مسألة ذبائح أهل الكتاب[٤]:

فقــد أورد قــول الله تعــالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾ [المائدة:٥]، ونقل الإجماع على أن ذبائح أهل الكتاب داخلة في طعامهم المذكور في الآية.

ثم ذكر أنه جاءت آيات أخر تدل على أن ما سمي عليه غير الله لا يجوز أكله، وعلــى

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٦٢-٤٧٤).

(٢) وبقية الأمثلة هذه مظانها في ثنايا كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ":
ص(٨٩،١٤٦، ١٩٠، ٢٠٨،٢١٨،٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٩،٣٣٣، ٣٤١، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٨٥).

(٣) ذكر المسائل هنا للتمثيل فقط على هذا المسلك من الشيخ -رحمه الله-، وإلا فالحديث عنها بالتفصيل ســيرد في مبحث (توظيف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للعلوم الأساسية في دفع التعارض بين نصوص القرآن)، (١٣٩).

(٤) استغرقت هذه المسألة في كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) (٢٥) صفحة، ص(١٥٦-١٨١).

أن ما لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله أيضاً[١].

ثم بدأ الشيخ في تحرير المسألة ودفع التعارض عن نصوصها من القرآن بترجيح دلالة النصوص الناهية على دلالة النصوص المبيحة في مباحث تفصيلية طويلة، بلغت صفحات كثيرة كما أشرتُ سابقاً.

٢- مسألة الإرادة الإلهية وأن منها كونية ومنها شرعية[٢]:

تحدّث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المسألة العقدية المهمة لدفع التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، ومعنى قوله تعالى في آية هود ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هو: أنه تعالى خلقهم لسعادة بعض، وشقاوة بعض.

وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

فتطرق الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تحرير المسألة بالتمييز بين نوعي الإرادة في كلا الآيتين، وهما الإرادة الكونية القدرية في آية هود، والإرادة الشرعية الدينية في آية الذاريات[٣].

٣- مسألة (إن) وهل هي شرطية أم هي بمعنى (إذ) أو (قد)؟[٤]:

وقد تناول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة في مسلك الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[الأعلى:٩]، وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية:٢١]، إذ في آية الأعلى يُفهم منها أن التذكير لا يُطلب إلا عند مظنة نفعه، وفي آية الغاشية ومثيلاتها أن الأمر بالتذكير مطلق.

وهنا توسّع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على عادته في روم الاستيعاب والاستقصاء في دفع التعارض

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٥٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٣٨-٢٤٢).

(٣) المصدر السابق ص(٢٤١-٢٤٢).

(٤) المصدر السابق ص(٤٥٣-٤٥٩).

والاختلاف عن الآيات، فتحدّث عن أداة (إن) وهل هي بمعنى الشرط، أم بمعنى (إذ) أو (قد)؟.

ثم تحدث الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ترجيحه بقاء الآية على ظاهرها، وأن معناها أن التذكير يُطلب حيث يُرجى نفعه، وأضاف فوائد علمية عن الحِكم من التذكير.

كانت هذه بعض الأوجه والمسالك التي ظهرت لي من صنيع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه، وهي مسالك الاستيعاب والاستقصاء في طَرْق كل السُّبل لدرء توهم التعارض والاختلاف عن نصوص القرآن ورفع الإشكال عنها، وهذا ينمّ عن منهج متكامل عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا العلم (موهم التعارض والاختلاف)، وحريٌّ بالباحثين والمهتمين بهذا العلم أن يحتذوه ويتبعوه لما فيه من قوة الحجة العلمية، والعارضة الحِجاجية.



المبحث الثالث

الجمع بين الأشباه والنظائر في الموضوع الواحد

الأشباه والنظائر:

أكثر العلوم التصاقًا بهذين اللفظين هما: علوم القرآن، وعلم القواعد الفقهية.

- فالنظائر في علوم القرآن هي كالألفاظ المتواطئة، فهي اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة[١].

وعرّف "النظائر" أحد الباحثين بقوله: "النظائر: هي المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفق فيها معنى اللفظ؛ فيكون معنى اللفظ في هذه الآية نظير - أي شبيه ومثيل - معنى اللفظ في الآية الأخرى"[٢].

ومن أقدم من ألّفَ في هذا الفنّ "مقاتل بن سليمان"[٣]، فقد ألّف كتاباً سمّاه "الأشباه والنظائر في القرآن"[٤]، كما اهتم بهذا الموضوع الإمام ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن"[٥].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/١٠٢)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/١٤٤).

(٢) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد الطيار، ص(٩٤).

(٣) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، المفسّر قال ابن حجر: (كذّبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم)، واستبعد شيخ الإسلام ابن تيمية ما رُمي به. له عدة مصنفات، منها: الأشباه والنظائر، والتفسير الكبير، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة (١٥٠هـ).ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر ص(٥٤٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٧/٢٠١)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٣٠).

(٤) طبع بتحقيق د. عبد الله شحاتة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ط٢، ١٤١٤هـ.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص(٢٤٦-٢٧٧).

هذا وقد عُرِّفت "الأشباه والنظائر" في كتب القواعد الفقهية والتخريج بما يلي:

"الأشباه" هي: الفروع الفقهية التي تُشبه بعضها بعضًا في أكثر الوجوه وحكمها واحد.

و"النظائر" هي الفروع الفقهية التي تشبه بعضها بعضًا في بعض الوجوه، وحكمها واحد[١].

فخلاصة التعاريف السابقة أنها لا تخلو من اعتماد على المعنى اللغوي للفظ، ومن اعتماد على المعنى المنطقي العقلي الذي يحكم للشيء بمثل ما يحكم لنظيره أو شبيهه أو مثله، وهذا هو القياس الصحيح الذي دلّ عليه القرآن الكريم، وأمر بالقيام به، ومغزاه هو: التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين.

فهذا الأمر هو ميزان كل شيء في مجال النظر، والاعتقاد، والعمل، ولذلك كان محوراً أساسياً في كثير من الأدلة العقلية النقلية؛ ومن ذلك ما ورد في الاستدلال بسنة الله تعالى في باب النبوة، وبالأخص في صفات النبي المرسل، وفي عادة الله تعالى في مصدّقيه، وفي مكذّبيه، وهي سُنة لا تتخلف ولا تنقض ولا تتبدل[٢].

ومما غلب على أسلوب الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ سَنَنه في كتاب (دفع إيهام الاضطراب) في ذكر الأشباه والنظائر، وهو من أبرز ملامح جماله وإتقانه، ومن محاسن طرقه في الاستدلال، ألا وهو أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيراً ما ينبّه على النظير بنظيره، والشبيه بشبيهه، والمِثل بمِثله. فيجده القارئ يحيل على مواطن نظائر الآية أو الآيات سواء التي يشبه بعضها بعضاً في المعنى، أو تلك التي يحلّ إشكالها في القرآن الكريم مما مضى أو مما يأتي، دون أن يغفل إيجاز الكلام والتذكير بخلاصته

(١) ينظر: القواعد الفقهية تأليف د. يعقوب الباحسين ص(٩٠)، وتخريج الفروع على الأصول، تأليف عثمان شوشان، (١/٨٠).

(٢) ينظر : النبوات لابن تيمية (٢/٩٥٨-٩٧٨)، وزاد المعاد لابن القيم (٥/٧٨٨).

التي سبقت، وهذا من تمام الإتقان عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا يسأم الشيخ من إعادة المعاني، يدل على ذلك قوله في بعض المواطن: "كما تقدم نظيره مراراً"(١).

بل يوجد عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دقة عجيبة في تصنيف النظائر وسَوقها، فقد يحكم لأول وهلة أن جميع النصوص متقاربة المعنى، لكن بالتأمل في صنيع الشيخ يجد القارئ أنه يرتبها ترتيبا دقيقاً جدًّا، في أدق تفاصيل المعاني المشتركة بين تلك النظائر، فيحصل له ترتيب داخل آخر! مثال ذلك:

في حديثه عن حجة الله تعالى على الخلق وأنها بالرسل عليهم السلام، وأن الله لا يعذب قبل إرسال الرسل. قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

" قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]:

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الله تعالى لا يعذب أحدا حتى ينذره على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ الآية [طه:١٣٤]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]، إلى غير ذلك من الآيات.

ويؤيّده تصريحه – تعالى- بأن كل أفواج أهل النار جاءتهم الرسل في دار الدنيا، في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ الآية [الملك: ٨ – ٩]"(٢).

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٩٢).

(٢) المصدر السابق ص(٢٦٢-٢٦٣).

...ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ [الزمر: ٧١].

...ونظيره أيضا قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] "[١].

ففي هذا المثال ينتقل الشيخ من بيان حجة الرسل إلى تصديقها باعتراف أهل النـــار، فالموضوع واحد لكن تقسيم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للآيات ونظائر كل قسم فيه براعة ودلالة على الفهم العميق لنصوص القرآن الكريم، وهذا من أعظم قواعد التدبر والتأمل في كتاب الله.

هذا كله في النصوص وما يتصل بها.

كما أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبّه على الإشكال ونظيره أو نظائره.

وله في ذلك طرق وعبارات.

فمن عبارات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدالة على جمع النظائر والاستشهاد بها، ما يلي:

- قوله : "نظير هذه الآية "، أو "نظيرها"[٢].
- قوله: "وذكرنا... نظائره في القرآن العظيم"[٣].
- قوله: "أمثال ذلك من الآيات"[٤].
- قوله: "وأمثالها من الآيات"[٥].
- قوله: "وأمثال هذا في القرآن كثيرة"[٦].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٦٢-٢٦٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٥).

(٣) المصدر السابق ص(٤٠٠).

(٤) المصدر السابق ص(٢٤٠).

(٥) المصدر السابق ص(٢١٠).

(٦) المصدر السابق ص(٢٦٣).

●وقوله: "ونظير هذا الإشكال"[1].

●وقوله: "ويأتي مثل هذا الإشكال والجواب"[2].

ولايخفى ما لهذا الأسلوب من الفوائد العلمية العظيمة، التي من أهمها – في تقديري–

– جمع النصوص ذات الموضوع الواحد في مناط واحد، ليسهل استحضارها والاستدلال بها، فكلما كثرت النصوص في موضوع معين زادته قوة في الدلالة والحجة.

– كما أن من فوائد ذلك، أن أي نظير لآية تصلح للاحتجاج فيما احتُج بالآية عليه.

–ومن فوائدها كذلك، تحديد المعنى الذي تتحد فيه تلك النظائر. مثاله: "قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧، ١٢٢]، لا يعارض قوله تعالى في تفضيل هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .. الآية [آل عمران:١١٠]، لأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصرحة بأن هذه الأمة أفضل منهم"[3].

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة:١١٥] "وأما قوله: فإني أعذبه الآية، فيجاب عنه من وجهين:

الأول: وهو ما قاله ابن كثير: أن المراد بـ: العالمين عالمو زمانهم وعليه فلا إشكال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧]"[4].

– ومن فوائده أنه يهدي إلى قواعد لتدبر القرآن الكريم وطرقه: ومنها النظر في المواطن وأمثالها، ونظائرها، وأشباهها في القرآن الكريم، وعلى هذا بُني علم (التفسير الموضوعي).

– ومن فوائده التنبيه على الوحدة الموضوعية لبعض الآيات التي قد تخفى على بعض

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٠٢).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٢٦).

(٣) المصدر السابق ص(٥٣).

(٤) المصدر السابق ص(١٨٥-١٨٦).

الناس، ومن أبرز الأمثلة على هذه الفائدة لما تحدّث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن آية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ﴾[لقمان:٣٣]، أشار إلى أنه سيأتي لهذا زيادة إيضاح في سورة النجم[1] في الكلام على ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾؛ لأن الموضوع واحد وهو انتفاع الأولاد بصلاح آبائهم، وانتفاع الآباء بعد موتهم بسعي أولادهم من الدعاء لهم، والتصدق عنهم...إلخ. والله أعلم[2][3].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٣٩)، وانظر ص(٣٩٨-٣٩٩) منه.

(٢) وانظر في هذا المعنى :دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٢٠).

(٣) وهذه مواطن الإحالات على مواضع النظائر في كتاب (إيهام الاضطراب):
ص(٩٠، ١٤٠، ١٤٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٣٠، ٢٤٠-٢٤١، ٢٦٢-٢٦٣، ٢٧٢، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٦٤، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٨، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٨٥، ٥٠٤).

المبحث الرابع

العُمق في دفع توهم التعارض والاختلاف

يظهر من بعض النصوص القرآنية نوع إشكال قوي في ظواهرها، فتوهم التعارض مع نصوص أخرى، سواء من القرآن أو من السنة؛ فتجد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعمّق في إزالة ذلك الإشكال، وفي دفع توهم التعارض بين النصوص المتعلقة به، ويبرز صنيعه ذاك في صور، منها:

١- عباراته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدالة على التعمق بعد التريث كقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وقد مكثتُ زماناً طويلاً أُفكر في حل هذا الإشكال"[١] وهو متعلق بآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩]، وتعارضها الظاهري مع آية: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات:٣٠]، ثم بيّن، رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله هداه إلى حلّ هذا الإشكال بالقول بأن هذا الإشكال مدفوع من وجهيْن، الأول منهما أن المراد بالخلق هو الخلق اللغوي الذي هو التقدير، لا الخلق بالفعل والإبراز. والثاني هو أنه لما خلق الأرض غير مدحوّة، وهي أصل لكل ما فيها، كان كل ما فيها كأنه خُلق بالفعل[٢].

وكعبارة: " بعد البحث"[٣]. في مسألة وصف " المكر" بالسيء. وأنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه، وأنه أسلوب من أساليب العربية يكثر وروده في كلام العرب. كقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾[البقرة:١٨٥]، والشهر هو رمضان[٤].

٢- المبالغة في إيضاح وجه الإشكال حتى ليستدل له بالآيات، لكن لا يلبث أن يجيب عن ذلك الإشكال، ويوجه النصوص المستشكلة أو التي يستند إليها الإشكال.

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(٤٣-٤٥).

(٣) المصدر السابق ص(٣٥٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٣٥٦-٣٥٩).

٣- إيراد الوجوه الكثيرة في الأجوبة عن ذلك الإشكال، حتى تصل الأربعة أوجه في بعض المسائل وتزيد على ذلك[١]. مثال ذلك ما أورده من بحث مسألة نحوية هي " لا التي هي صلة" وتأتي لتقوية الكلام وتوكيده، فكتب فيها ثلاث عشرة صفحة[٢]، كل هذا لبحث مسألة التعارض الظاهري بين قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:١]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾[التين:٣].

٤- إيراد الأقوال الكثيرة والمتعددة في معاني بعض الآيات مما يخالف ما يتبادر إلى الذهن منها، فيزول الإشكال بمعرفة ذلك؛ وهذا مسلك عظيم في بيان خطأ بعض الفهوم لبعض النصوص القرآنية مثال ذلك ما أورده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة "سؤال النبي ﷺ أمته المودة في القربى"، وأنها معارضة بما جاء من أن الرسول ﷺ بل والرسل جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم صرّحوا بأنهم لا يطلبون الأجر على دعوتهم[٣].

فساق الشيخ أربعة أقوال في معنى سؤال النبي ﷺ مودة قرابته، ثم اختار من الأقوال أقواها في دفع هذا التعارض الظاهري، وهو ما نُقل عن أئمة السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، وفحواه أن مودة ذوي القربى، ليست بأجر، وهي مبذولة لكل أحد في قرابته. فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وإذا كان لا يسأل أجراً إلا هذا الذي ليس بأجر، تحقق أنه لا يسأل أجرًا... وهذا هو القول الصحيح في الآية، و اختاره ابن جرير. وعليه فلا إشكال"[٤].

٥- تحرير محل النزاع في المسائل، ونسبتها إلى قائليها مع أدلتها عندهم، والترجيح بعد ذلك مع الاستدلال لترجيحه بما تيسر له رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أدلة الترجيح. وهذا مبثوث في صنيع الشيخ في مسائل التي تحتاج إلى تحرير، وهي بارزة في الكتاب.

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٨١-٢٨٩)، وقد وصلت في بعض الأحيان إلى خمسة أوجه ص(١٢٩، ٤٥٢)، وأحيانا إلى سبعة أوجه ص (٢٨١).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(٤٦٢-٤٧٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٣٥٠-٣٥١).

(٤) المصدر السابق ص(٣٥٢)، وينظر ص(٣٥٠-٣٥٤).

٦- النقل والاقتباس من كتب أهل العلم بالنص، ما يزيد المسائل إيضاحاً ويؤكد اختيارات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وينصّ على ذلك.

مثال ذلك: مسألة حياة الشهداء في قبورهم، مع إثبات الموت لمن هم أفضل منهم، وهم الأنبياء. فبعد مناقشة المسألة، استدل بكلام طويل لابن القيم[١] رَحِمَهُ اللَّهُ من كتابه الروح، استغرق صفحة كاملة، جمع فيها بين خبر موت الأنبياء وأخبار صلاة بعضهم في قبره، والأخبار الصحيحة في تبليغ ملكيْن رسولَ الله ﷺ صلاة من يصلي عليه من أمته، وأنه ﷺ تُردّ عليه روحه حتى يرد عليه.

وفي هذا الاقتباس نص الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه بلفظه بقوله: " انتهى محل الغرض من كلام ابن القيِّم بلفظه"[٢].

٧- بلوغ صفحات دفع الإشكال عشراً وأكثر من عشرين في بعض الحالات، والضابط في ذلك – في تقديري- هو أهمية المسألة المعارَضة وخاصة إذا كانت عقدية أو تتعلق بالحلال والحرام أو تتعلق بالعقيدة وأحكام الحلال والحرام معاً كمسألة (ذبائح أهل الكتاب) وقد بلغت (ستًّا وعشرين) صفحة [٣] ومسألة (توبة المرتد إذا كفر بعد توبته)[٤]، وقد استغرقت صفحات كثيرة بلغت (اثنتي عشرة) صفحةً، استعمل فيها علوم كثيرة كأصول الفقه، والمنطق، وعلوم اللغة العربية.

٨- استعماله التقسيم والسبر[٥] الصحيح في الإيضاح والخروج بحكم صحيح أو راجح

---

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقيُّ، أبو عبد الله، ولد بدمشق سنة (٦٩١هـ)، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهذَّب كتبه ونشر علمه، وسُجِنَ معه في قلعة دمشق، وكان حسنَ الخُلُق محبوبًا عند الناس، أُغْرِي بحبِّ الكتب، فجمع منها عددًا عظيمًا، وألّف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، وشفاء العليل، وزاد المعاد، وغيرها، وتوفي بدمشق سنة (٧٥١هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٢/ ١٩٥)، والبداية والنهاية، لابن كثير(١٤/ ٢٣٤)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (٨/ ٢٨٧).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٧٠).

(٣) المصدر السابق ص(١٥٦-١٨١).

(٤) المصدر السابق ص(١٠٩ – ١٢٠).

(٥) التقسيم والسبر:

التقسيم اصطلاحاً هو: حصر الأوصاف المحتملة للتعليل بأن يقال: العلة إما كذا أو كذا.

في المسألة.

مثاله: مسألة (القول بفناء النار). فقد استعمل فيها الشيخ -رحمه الله- التقسيم والسبر، حيث ذكر احتمالات مقام النظر في المسألة، وأنه لا يخلو من خمسة أقسام، ثم بيّن الشيخ بطلان أربعة منها بصريح القرآن الكريم، ثم رجح الخامس[1] كما قال بـ(التقسيم والسبر)[2].

= السبر اصطلاحاً هو: اختبار الوصف في صلاحيته وعدمها للتعليل.

والمراد بالتقسيم والسبر: حصر الأوصاف التي تحتمل أن يعلل بها حكم الأصل في عدد معين، ثم إبطال ما لا يصح بدليل، فيتعين أن يكون الباقي علة. المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٥/٢٠٦٧).

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٩٤-٢٠١)

(٢) المصدر السابق ص(٢٠١).

المبحث الخامس

التمكّن من فهم القرآن واستحضار آياته

لا يخطيء القارئ للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ملاحظة كثرة استشهاده، وغنى ثروته الاستدلالية بآيات القرآن الكريم، وليس هذا فقط بل قوته في جمع الآيات من القرآن الكريم في الموضوع الواحد، بل في الجزئية الواحدة، بشكل ملفت للنظر ومبهر لذهن القارئ، حتى ليظن أنه لم يقرأ تلك الآيات بذلك المعنى إلا حين يسردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استدلالاته.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر الآية من القرآن، ثم ما قد يرد عليها من الإشكالات على ظاهرها، وليؤكد على ذلك المعنى تجده يسوق الآيات التي تشبهها أو تماثلها في المعنى، ولا يكاد يترك آية من ذلك النوع.

وبمثل ذلك المسلك يفعل في دفع ذلك الإشكال والتوهم، بأن يسرد الآيات الكثيرة في المعنى الذي يدفع ما سُبق إلى فهم القارئ بادي الرأي من معان لا تدلّ عليها الآية موضع الشاهد.

ويدرك المتتبع لصنيع الشيخ هذا، الوحدة الموضوعية لتلك الآيات، ويعجب من سرعة استحضار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها!

كما أن مما يبرز التمكن الواسع في فهم معاني القرآن ودلالاتها عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه يبيّن ما قد يسبق إلى الذهن من فهوم غير دقيقة من مدلول الآيات، حتى إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليذكر الإشكال الذي يندر أن ينتبه له القارئ، حتى لكأنه يستبق فهم القارئ وخطأه في فهم الآيات، فيكون كالتحذير له من الخطأ في حمل الآية على ما ليس من مرادها، فيسارع الشيخ -رحمه الله- في دفعه وإبراز المعنى الصحيح من الآية، مما ليس فيه ما يعارض السياق أو المعاني المستقرة في هذه الشريعة، ومما يرفع الإشكال الذي قد يُتوهم ويدفعه.

ولاشكّ أن هذا التمكّن والبراعة في استحضار الآيات في المعنى المشكل، وفي المعنى الذي يزيل ذلك الإشكال بسرعة وبداهة عجيبتين، مردّه إلى المطالعة الدائمة في كتاب الله العزيز، وتدبّر

آياته، والاستفادة من كتب الأئمة الأوائل، وذلك ظاهر في مراجعه التي يذكرها في كتابه، ومن تلك المصادر تفسير الإمام الطبري الذي ذكره أكثر من أربعين مرة في كتابه "دفع إيهام الاضطراب"، وبمثلها ذكر تفسير الإمام ابن كثير[١]، وهما مَن هما في علم التفسير.

ومما يدل على استحضار الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للآيات من القرآن الكريم، تذييل استدلالاته بالنصوص، بأمثال قوله: "إلى غير ذلك من الآيات"[٢]، و"وأمثال هذا كثيرة في القرآن"[٣].

ومما يلفت الانتباه إلى الفهم العميق للآيات عند الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ صنيعه في تصوير الموضع المشكل ظاهراً في النص، وسوق أدلة رفع ذلك الإشكال هي نصوص صريحة في المسألة، لا تحتاج إلى تكلّف حملها على ما يريد.

من ذلك: عندما تحدث عن موضوع "الفترة" وانقضائها بمجيء نبينا محمد ﷺ، وأن من مات غير مؤمن به فهو من أهل النار.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

هذه الآية الكريمة تدلّ على أن الأنصار ما كان بينهم وبين النار إلا أن يموتوا، مع أنهم كانوا أهل فترة، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]. ويقول: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥]، وقد بيّن تعالى هذه الحجة بقوله في سورة "طه": ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [طه: ١٣٤]. والآيات بمثل هذا كثيرة[٤].

---

(١) سبق ذكر بعض الإحالة على مواضع ذكره هذين المصدرين في كتابه، في بداية هذا البحث -في التمهيد- ،عند الحديث عن القيمة العلمية لهذا الكتاب.

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٦٢). وقد وردت هذه العبارة عشرين مرة في الكتاب.

(٣) المصدر السابق ص(٢٦٣).

(٤) ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ آيات أخرى كما أشار هنا، في مواضع أخرى من كتابه. يُنظر منه: -(٢٦٢-٢٦٣) وقد ساق فيهما مجموعة آيات من سور: الأنعام، والملك، والزمر، وفاطر.

والذي يظهر في الجواب، والله تعالى أعلم، أنه برسالة محمّد ﷺ لم يبق عذر لأحد، فكل من لم يؤمن به فليس بينه وبين النار إلا أن يموت، كما بيّنه تعالى بقولـــه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ الآية [هود: ١٧].

وما أجاب به بعضهم، من أن عندهم بقية من إنذار الرسل الماضين تلزمهم بها الحجة؛ فهو جواب باطل؛ لأن نصوص القرآن مصرحة بأنهم لم يأتهم نذير، كقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية [السجدة: ٣]، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ الآية [المائدة: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]"[١].

وهكذا، كلما كثرت النصوص من الآيات في موضوع معين زادته قـــوة، وأكســـبته حجة؛ ولذلك تجد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحكم ببطلان قول من يقول بأن مشركي العرب عنـــدهم بقية من إنذار الرسل، لدلالة آيات القرآن الصريحة التي ساقها على خلاف ذلك الـــرأي، كمًا ومعنًى.

فيخرج القارئ لهذه المسألة والمذاهب فيها، وكلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها، يخرج مقتنـــع الفكر، عامر القلب بإحكام القرآن وعدم اختلافه.

كما أظهر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ براعة في توجيه النصوص المتعلقة بالحجة وقيامها من جهة، والنصوص المتعلقة بالفترة كذلك، تنمّ عن الفهم العميق لنصوص الـــوحي، ومـــردّ ذلـــك استحضاره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنصوص الموضوع[٢].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٢١-١٢٢).

(٢) فقد ناقش الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذيْن الموضوعيْن (الفترة والحجة) في كتابه ص(٢٦٢-٢٧٠)، بسوقه النصوص الكثيرة، وصياغة علمية للموضوعيْن، قوامها النصوص الوفيرة، والفقه والفهم وجودة الاستنباط.

كما أسهم تمكّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من معاني التتريل في دفع تعارض آيتيْن، أثبت به عناية الله تعالى بأنبيائه عليهم السلام، وذلك في قصة نبي الله يونس عليه السلام لما ذكر الله من خبره عليه السلام: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٥]، لكن جاء في آية أخرى ما يُفهم منه أنه عليه السلام لم يُنبذ، فقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم:٤٩].

فبيّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة الامتناع المذكور في آية " القلم" وأنه منصبّ على الجملة الحالية "وهو مذموم"، وليس على جواب لولا. أي أن يونس عليه السلام نُبذ العراء لكن غير مذموم[١].

ثم مثّل الشيخ لذلك بآيات أخرى كذلك فيها فقه لهذا المعنى الذي يتعلق فيها النفي بالحال وليس على ما قبلها من السياق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص:٢٧][٢].

وهذا غيض من فيض تميّز الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المضمار، استحضار نصوص القرآن الكريم وعمق فهمه، وإلا فالأمثلة كثيرة في هذا الكتاب، وهي سمة ظاهرة على الشيخ في تفسيره " الأضواء" كذلك[٣].

= أهل الفترة: "هم كل من كان بين رسولين و لم يكن الأول مرسلاً إليهم ولا أدركوا الثاني". تفسير الألوسي (٣٩/٨).

اختلف العلماء في حكم أهل الفترة على أقوال كثيرة، أرجحها: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة.

قال ابن القيم بعد حكايته المذاهب في أطفال المشركين وأدلتها: "المذهب الثامن: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه أدخله النار وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث" ثم ساق أدلة لهذا القول، وقال: "فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا، وتشهد لها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة، نقله عنهم الأشعري رحمه الله" وهذا الذي رجحه الشنقيطي جمعاً بين الأدلة. ينظر: طريق الهجرتين لابن القيم، ص(٣٩٦، ٣٩٩)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٢٩٨/٢)، دفع إيهام الاضطراب ص(٢٦٨).

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٦١).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(٣٦٢).

(٣) وهذه إحالات على مواضع من هذه الميزة في كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب): ص(٣٧٩، ٣٨٩، ٤٠١-٤٠٣، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨٥، ٤٩٥، ٥٠٥).

المبحث السادس

اليسر والسلاسة في حلّ موهم التعارض والاختلاف

الأصل أن نصوص القرآن الكريم لا تتعارض ولا تختلف، وقد اتفق قول أهل العلم في أن ما يوهم التعارض إنما هو في نظر الناظر وليس في حقيقة الأمر، وأن ما يبدو مشكلا هو أمر نسبي يتفاوت من شخص إلى شخص، فقد يستشكل زيدٌ من الناس ما يراه عمرو في غاية الوضوح والبيان؛ ولهذا أطلقوا عليه "موهم التعارض والاختلاف".

ولذلك لم يترك العلماء -رحمهم الله- موضعاً يوهم التعارض والاختلاف، إلاّ بيّنوه ودفعوه؛ لأنه ينحم عن الأفهام وليس هو كذلك في حقيقة الأمر وواقع الحال. وقد مرّ في مقدمات هذا البحث الحديث عن هذه الجزئية.

وعلى هذا المنوال نسج الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ وتوسع في ذلك كثيراً، حتى أتى على أغلب سور القرآن وما فيها من مواطن " موهم التعارض والاختلاف".

لكن الملفت في عمل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو اليسر والسلاسة التي ينظر بها لتلك المواطن من جهة، وحلّه الإشكالات ودفعها من جهة أخرى، فكأنه أُلين له رَحِمَهُ اللَّهُ هذا العلم، فوظّفه أحسن توظيف في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب الحكيم.

ومن عبارات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الدالة على تيسير هذا العلم والعمل عنده، قوله: "وجه الجمع ظاهر"[1]، و"الجواب ظاهر" [2]، و"الجواب عن هذا ظاهر"[3]، و"هذا واضح" [4]، و"كما هو ظاهر".[5]

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤١، ٣٢٩).

(٢) المصدر السابق: ص(٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٨، ١٢٣، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٨٣، ٢٥٧، ٣١٩، ٣٤٥، ٣٧٩، ٤٤٩).

(٣) المصدر السابق ص(٣٤٠).

(٤) المصدر السابق ص(٩٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق ص(٤، ٣٢٩).

ومما يُظهر السلاسة واليسر في دفع الشيخ للتعارض والاختلاف عن الآيات، تمكنه من قواعد العلوم الشرعية والعربية[١] التي برع فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كقواعد أصول الفقه والنحو، ولسان العرب وأشعارها.

من ذلك مما لاحظتُ فيه سرعة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلّ الاشكال والتعارض المتوهم بين الآيات، مع قوة حجة، واطمئنان نفس وعدم تردد، مما يُنبي عن اليسر الذي يتناول به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علم (موهم التعارض والاختلاف)

وهذه بعض الأمثلة على ذلك من عدة مسالك سلكها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- ما دفع به تعارض آية الوصية لآيات المواريث، مستخدماً قاعدة النسخ، وأنه مسلك من مسالك دفع توهم التعارض عن النصوص عند استحالة الجمع، وذلك بقوله: "قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾الآية[البقرة:١٨٠].

هذه الآية تعارض آيات المواريث بضميمة بيان النبي ﷺ، لأن المقصود منها إبطال الوصية للوارثين منهم، وذلك قوله ﷺ: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث""[٢].

والجواب ظاهر، وهو أن آية الوصية هذه منسوخة بآيات المواريث، والحديث المذكور بيان للناسخ"[٣].

٢- ما دفع به توهم تعارض آية الاعتداد بالأقراء على المطلقات، آيات الاعتداد بغير الأقراء، وعدم الاعتداد أصلاً، مستخدماً قواعد علم أصول الفقه من العام والخاص، وذلك

---

(١) سيأتي الحديث مفصّلاً عن توظيف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمختلف العلوم في دفع موهم التعارض والاختلاف، في المبحث التالي لهذا بإذن الله.

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الوصايا، باب في الوصية للوارث، حديث رقم (٢٨٧٠) (٤/٤٩٢)، والترمذي، أبواب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، حديث رقم (٢١٢٠) (٤/٤٣٣)، وابن ماجه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، حديث رقم (٢٧١٣) (٢/٩٠٥)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٧٦)، وينظر: ص(١٢٩).

في قوله: " قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ الآية. [البقرة:٢٢٨].

هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن كل مطلقة تعتدّ بالأقراء، وقد جاء في آيات أخر أن بعض المطلقات يعتدّ بغير الأقراء؛ كالعجائز والصغائر المنصوص عليها بقوله: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ.. ﴾- إلى قوله -: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ﴾، وكالحوامل المنصوص عليها بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق:٤]، مع أنه جاء في آية أخرى أن بعض المطلقات لا عدة عليهن أصلا، وهنّ المطلقات قبل الدخول، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٩].

والجواب عن هذا ظاهر، وهو أن آية: "والمطلقات" عامة، وهذه الآيات المذكورة أخص منها فهي مخصصة لها، فهي إذاً من العام المخصوص"[١].

٣ـ ما دفع به تعارض آية نفي السمع والكلام والبصر عن المنافقين، مع آيات إثبات ذلك لهم، وقد أغنى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحثه هنا بأشعار العرب وأسلوبهم في هذا المسلك الذي سلكه القرآن؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٨]. هذه الآية يدلّ ظاهرها على أن المنافقين لا يسمعون، ولا يتكلمون، ولا يبصرون، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٠]...

ووجه الجمع ظاهر، وهو أنهم بُكمٌ عن النطق بالحق، وإن تكلموا بغيره، صُمٌّ عن سماع الحق وإن سمعوا غيره، عُميٌّ عن رؤية الحق وإن رأوا غيره، وقد بيّن تعالى هذا الجمع بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٦] ؛ لأن ما لا يغني شيئا فهو كالمعدوم، والعرب ربما أطلقت الصمم

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٨٧-٨٨). وينظر: ص(١٤٠).

على السماع الذي لا أثر له، ومنه قول قعنب بن أم صاحب[1]:

صمّ إذا سمعوا خيرا ذُكرت به... وإن ذكرت بسوء عندهم أَذِنوا"[2].

٤- جمعه بين آيتين تدل إحداهما على أن من علامات المؤمنين: وجل قلوبهم عند سماع ذكر الله، وأخرى تدل على أن من علاماتهم: الطمأنينة عند سماع ذكر الله، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: " قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية [الأنفال:٢].

هذه الآية تدل على أن وجل القلوب عند سماع ذكر الله من علامات المؤمنين.

وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهـي قولـه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨].

فالمنافاة بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهرة.

والجواب عن هذا أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، كما يشير إلى ذلك قوله تعـالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ الآية [آل عمران: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]"[3].

وهذا، لاشكّ، من أحسن الوجوه وأيسرها على الفهم في توجيه مثل هذه الآيـات، وهو مما وُفّق الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيانه بأيسر عبارة وأسلسها.

---

(١) هو: قعنب بن ضمرة، من بني عبد الله بن غطفان: من شعراء العصر الأموي. يقال له: "ابن أم صاحب" كان في أيام الوليد بن عبد الملك، وله هجاء فيه، من شعره الأبيات التي أولها: "إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا عني، وما سمعوا من صالح دفنوا" وسماه ابن حبيب "قعنب بن أم صاحب الفزاري" وفزارة من غطفان. ينظر: تاريخ ابـن عساكر (٣٥٧/٤٩).

(٢) الصحاح للجوهري (٢٠٦٨/٥)، و شرح ديوان الحماسة (١٠١٤/١)، و لباب الأداب لابن مُنقذ ص (٤٠٣)، و دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٤٠-٤٢).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٢١٢-٢١٣).

٥ـ ومن هذا النوع كذلك، ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفرق بين التعبير عن عصا نبي الله موسى عليه السلام تارة بالثعبان– وهو الحية الكبيرة–، وأخرى بالجانّ– وهو الحيّة الصغيرة–، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

" قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

هذه الآية تدلّ على شبه العصا بالثعبان، وهو لا يطلق إلا على الكبير من الحيّات، وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ الآية [النمل: ١٠]، لأنّ الجانّ هو الحيّة الصغيرة.

والجواب عن هذا أنه شبهها بالثعبان في عظم خلقتها، وبالجانّ في اهتزازها وخفتها وسرعة حركتها، فهي جامعة بين العظم، وخفة الحركة على خلاف العادة"[1].

وهنا أيضاً يبدع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تصوير أن التعارض منتفٍ بين الآيات، وأن الجمع بينها سهل ومتيسّر، لا يزيد في ذلك على بيان ما خُصّ به الأنبياء من الآيات الدالة على نبوتهم، مما هو خلاف العادة، كما هنا: حية كبيرة وسريعة الحركة في آن واحد!

وفي الكتاب نماذج وأمثلة أخرى كثيرة، قد أحلت على المواطن التي امتازت عن غيرها في هذا بقِصر الإجابات وقوتها، وإن كان الكتاب كلّه ينبي عن اليسر والسلاسة في دفع الشيخ –رحمه الله– لموهم التعارض والاختلاف عن آيات الكتاب الحكيم، ومن أكبر الأدلة على ذلك تأليفه في مدة وجيزة من الزمن لم تتجاوز أسبوعيْن !

لكن لإبراز هذه الميزة البارزة عُقد هذا المبحث، وضُربت لها تلك الأمثلة التي تقدمت.



(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢١١).

المبحث السابع

توظيف العلوم الأساسية في دفع موهم التعارض والاختلاف

من ميزات هذا الكتاب أن مؤلفه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وظّف فيه جملة من العلوم الشرعية والعربية، دفع بها موهم التعارض والاختلاف عن آيات التنزيل العزيز، كما أفاد بها في بيان الطرق العملية التطبيقية لتلك العلوم.

وكانت علوم القرآن بفروعها وأقسامها المختلفة على رأس هذه العلوم، ومنها: علم التفسير[١] وتفسير آيات الأحكام[٢] وأسباب النزول[٣] وترتيب النزول[٤] والمكي والمدني[٥] وعلم القراءات[٦] والناسخ والمنسوخ[٧].

ولما كان الشيخ الشنقيطي إماما علما في الأصول وقواعده، كانت تلك الملكة الأصولية بارزة في حله لما يوهم استشكالا أو اختلافا من آيات القرآن الكريم، وتنوعت مباحث أصول الفقه في كتابه (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) كتطبيق عملي لها، ومن هذه المباحث: العام والخاص[٨] والعام المخصوص[٩] والمطلق والمقيد[١٠] والنسخ،

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٩٠-٩٣، ١٨٨-١٨٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(٩٠-٩٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٩٠-٩٣، ١٥٢، ٢٢٥-٢٢٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٩٠-٩٣).

(٥) ينظر: المصدر السابق ص(٧٢).

(٦) ينظر: المصدر السابق ص(١٠٨).

(٧) ينظر: المصدر السابق ص(١٨٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٤، ٤١٣، ٤٣٥).

(٨) ينظر: المصدر السابق ص(٣٣، ٧٣، ٨٨، ١٣٠، ١٣١، ١٥٨، ١٧٦، ١٧٨، ١٩٠، ٢٣٢-٢٣٣، ٢٥١، ٢٦٣، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٩٤، ٤١٧).

(٩) ينظر: المصدر السابق ص(٤٩١-٤٩٣، ٥٠٤).

(١٠) ينظر: المصدر السابق ص(٧١-٧٢، ٨٥، ١٤٧، ٢٣٣).

والتخصيص[١] ونسخ الخبر[٢] ونسخ الناسخ[٣] والمنطوق والمفهوم[٤] وما تحته من مسائل، ومنها: مفهوم المخالفة:(دليل الخطاب)[٥] ومفهوم الشرط[٦] ومفهوم اللقب[٧]، ومن المباحث الأصولية كذلك: تقديم الظاهر على المحمل[٨] ومسالك العلة: (المناط)[٩] ودلالة الاقتران[١٠] والبراءة الأصلية: (استصحاب العدم الأصلي)[١١] والنص: (إذا احتمل التأكيد والتأسيس)[١٢] والنكرة[١٣] ووجوب الحمل على بقاء الترتيب[١٤] واجتهاد النبي ﷺ[١٥] ودخول الأمة في الخطاب الخاص بالنبي ﷺ[١٦]. كما يمكن للناظر في كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" أن يجد للشيخ الشنقيطي حديثا يتعلق بعلم الجدل والمناظرة[١٧].

وأما في اللغة وفنونها فقد وظَّفَ علوم العربية لكشف ما يتوهم منه التناقض أو

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٧٧، ٨٩، ١٨٢، ١٨٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٣١٥، ٣١٥، ٣٤٦، ٤٥١).
(٢) ينظر: المصدر السابق ص(٢١٩، ٢٢٤).
(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٢٢٧).
(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٣٨٢، ٤٤٣).
(٥) ينظر: المصدر السابق ص(٩٦، ١٥٢).
(٦) ينظر: المصدر السابق ص(٣٨٣-٣٨٤).
(٧) ينظر: المصدر السابق ص(٩٠-٩٣).
(٨) ينظر: المصدر السابق ص(١٩٦).
(٩) ينظر: المصدر السابق ص(١١٥).
(١٠) ينظر: المصدر السابق ص(١١٨).
(١١) ينظر: المصدر السابق ص(٢٥٧).
(١٢) ينظر: المصدر السابق ص(٤٠٢).
(١٣) ينظر: المصدر السابق ص(٤٤٧).
(١٤) ينظر: المصدر السابق ص(٤٠٨).
(١٥) ينظر: المصدر السابق ص(٣٩٥-٣٩٧).
(١٦) ينظر: المصدر السابق ص(٣٣٦).
(١٧) ينظر: المصدر السابق ص(١٠٤-١٠٥، ٣٦٧).

الاختلاف في القرآن الكريم، ومن هذه العلوم: علم البلاغة[١]، وعلم النحو[٢]، وتحت كلّ مسائل وقضايا بلاغية أو نحوية فمن الأول: التجريد[٣]، ومن الثاني: (إن)، الشرطية[٤] والحال[٥] والضمير[٦]...إلخ مما سيأتي ذكره.

أما علوم العقيدة فإنها مبثوثة في طيات الكتاب، وهي تعكس في جلاء العقيدة السلفية للشيخ الشنقيطي، وتعدد مباحث العقيدة ومسائلها، ومنها: توبة القاتل[٧]ومرتكب الكبيرة[٨]والولاية والعداوة[٩]وأفعال العباد[١٠]والرؤية[١١]والخلود في النار (للكافرين)[١٢] والإرادة والرضا[١٣]والرسل من الجن[١٤]وأنواع الشرك[١٥]وأعمال الكفار الصالحة[١٦]ونوعا الإرادة (الإلهية)[١٧]وصفة المعية[١٨]وأهل الفترة[١٩]والتوفّي[٢٠]وأحكام الجن[٢١]وصفة

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٧، ٤٨٥، ٤٨٨).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(١٠٠، ١٠٥، ٣٥٧-٣٥٩، ٣٦٧-٣٦٩، ٣٧١، ٣٩٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٤٩٩).

(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٢٢٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق ص(٢١٤، ٣٣٥، ٣٦١، ٤٤٣).

(٦) ينظر: المصدر السابق ص(٤١٨).

(٧) ينظر: المصدر السابق ص(١٥٢).

(٨) ينظر: المصدر السابق ص(١٥٤-١٥٥).

(٩) ينظر: المصدر السابق ص(١٨٧).

(١٠) ينظر: المصدر السابق ص(٤٧٨).

(١١) ينظر: المصدر السابق ص(١٩١).

(١٢) ينظر: المصدر السابق ص(١٩٤).

(١٣) ينظر: المصدر السابق ص (٢٠١-٢٠٣).

(١٤) ينظر: المصدر السابق ص (٢١٥).

(١٥) ينظر: المصدر السابق ص(٢٢٤-٢٢٥).

(١٦) ينظر: المصدر السابق ص(٢٣٠-٢٣٥).

(١٧) ينظر: المصدر السابق ص(٢٤١-٢٤٢).

(١٨) ينظر: المصدر السابق ص(٢٦٠، ٤٠٥).

(١٩) ينظر: المصدر السابق ص(٢٦٢-٢٧٠).

(٢٠) ينظر: المصدر السابق ص(٣٤٠).

(٢١) ينظر: المصدر السابق ص(٣٨١-٣٨٧).

الاستواء والمعية[١]، الهداية والضلال[٢] والنبوات والفطرة[٣] وإثبات النبوة والبعث (طرق بلاغية)[٤] والزنادقة[٥].

وهذه العلوم جميعا بلا شك هي مما يفيده القارئ لهذا الكتاب؛ إذ إنها علوم لها ثمرات عملية، من أبرزها الذود عن كتاب الله العزيز، وعن سنة سيد المرسلين ﷺ، ومعرفة المسائل والدلائل التي مستندها نصوص القرآن، وفهم التنزيل المحكم غير المختلف.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في كل هذا يتناول هذه العلوم كلها وهي طيعة في قلمه، الأصول منها وعلوم الآلة، يستدل بها ويدافع عما يراه حقًا، ويرد ما يراه باطلا.

كما أن هذا ينم عن المنهج العلمي الأصيل في تناول مسائل العلم المتنوعة، مما يعطي أي دراسة اعتمدت مثل هذا المنهج قوةً وحجةً، ومن باب الاحتجاج لهذا هو أن هذا الكتاب لم يوجد له - في حدود علمي - معارض لمسائله أو مسالكه، ممن يعتد به من أهل العلم.

كما أن في هذا المسلك الذي سلكه الشيخ بيانا لتضافر العلوم كلها لخدمة كتاب الله العزيز، وهذا كان الغاية الأولى عند علماء السلف ومن سار على منوالهم، وهو وضع هذه العلوم بالدرجة الأولى لفهم وتفهيم نصوص التنزيل، وفي مثال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ دلالة ساطعة على هذا.



(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٠٥).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٧٨-٤٨٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٤٨٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق ص(٤٨٥-٤٨٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق ص(٥٠٢).

المبحث الثامن

التواضع والتبرؤ من الحول والقوة بكل رأيٍ يتبنّاه

إن القارئ للعلماء الربانيين، وأحسب أن الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهم، ولا أزكيه على الله، يتعلم منهم السمت وخلق العالم والمتعلم، قبل أو مع العلم الذي يبثّونه في الناس؛ وذلك من خلال ما يغلب عليهم من تمحيص النصح للناس، وبيان شرع الله بكل ما أوتوا من جهد، محتسبين في ذلك كله، وكما أُثر عن بعض الأئمة تمنّيه أن لا يُنسب إليه من علمه شيئ مما ألّفه ونشره في الخَلق ! ومنهم من دفن أو أحرق بعض علمه إذا خاف على نفسه أنه لم يُخلص فيه لله، والشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذُكر عنه هذا[1].

ولهذا وغيره، لا تجد لأشخاصهم ظهور في مؤلفاتهم، الظهور بمعنى الزهو والاعتداد بالنفس، وهذا من أعظم بركات علومهم -رحمهم الله-. ومن علامات إخلاصهم لله، ثم للعلم انتفاع الناس على مرّ العصور بعلوم الواحد منهم، وقد مرّ على وفاتهم مئات السنين.

ومن هنا جاء إطباق كل من ترجم للشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذكر تواضعه الجمّ في سلوكه عموماً، وفي سيرته العلمية كذلك، تأليفاً وتدريساً.

وذكر هذا المسلك العلمي الأصيل عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدل على أمانته العلمية لاشك في ذلك، أما دلالته على تواضعه فهو ذكره تلك الإحالات مع أنه ملك آلة النظر في النصوص، وتفسيرها، واستنباط الأحكام منها، يدل على هذا ما ذكر عنه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يترحم له بقوله: "ولم يكن يحتاج إلى تحضير لدرس، ولا مراجعة لجواب على سؤال"[2].

قال الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مما وقع لي معه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكبرته فيه، تواضعه وإنصافه. سمعت منه في مبحث زكاة الحلي في أضواء البيان عند سرد الأدلة ومناقشتها...: (ولو أعيد

---

(١) سبق ذكر ذلك في التمهيد - التعريف بالمؤلف- ،أثناء الحديث عن مؤلفات الشيخ الشنقيطي، ص (٣٠).

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (٩/٤٧٧).

طبع الكتاب لنبّهت عليه)، رغم أن جميع المراجع لم تلتفت إليه، فهو بهذا يلقّن طلبة العلم درساً في موقفه من الحق، ولكأني بكلام عمر ﷺ في كتابه لأبي موسى ﷺ: "ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه نفسك، وظهر لك الحق، أن تأخذ به فالحق أحق أن يتبع". وقد رأينا من قبل للشافعي القديم والجديد. وهذا ما يقتضيه إنصاف العلماء وأمانة العلم"[١].

وقد تتبعتُ هذا الملمح التربوي العظيم في كتاب "دفع إيهام الاضطراب"، فوجدته السمة الغالبة على الشيخ في هذا الكتاب، وسأذكر أبرز ملامح تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كما وجدتُها في كتابه، ومن ذلك عدم استنكافه رَحِمَهُ اللَّهُ عن:

- **ذكر مصادره وموارده في كتابه**، وقد مرّ الحديث عن توظيف الشيخ لمختلف العلوم الشرعية والعربية والعقلية، فقد كان في كل ذلك مُحيلاً على موارده ومصادره التي استقى منها، فمن كتب التفسير ذكر: تفاسير ابن جرير[٢]، وابن كثير[٣]، والبيضاوي[٤]،[٥]، وأبي حيان[٦]، والألوسي[٧].

ومن كتب أصول الفقه: المستصفى للغزالي[٨]، والإحكام لابن حزم[٩]، وغيرهما.

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٩/١/٥٠١-٥٠٢).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، على سبيل المثال: ص(٣٢، ٦٢، ٨١، ٨٧، ٩٩، ١٠٣، ١٠٦، ١١٠).

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، على سبيل المثال: ص(٣٣، ٩٩، ١٠٣، ١٠٩).

(٤) ينصر: المصدر السابق، ص (٤٢).

(٥) هو: عبدالله بن أحمد بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي، أبو الخير، لم تذكر المصادر سنة ولادته، ولي القضاء بشيراز،قال عنه السبكي:" كان إماما مبرزًا نظارًا خيرًا، صالحًا متعبدًا" ومن أهم مصنفاته: المهناج، و أنوار التنزيل و أسرار التأويل، وشرح الكافية، وغيرها، وتوفي بمدينة تبرز، سنة (٦٩١هـ)، وقال ابن كثير وغيره: بل سنة (٦٨٥هـ)

(٦) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٦١).

(٧) ينظر: المصدر السابق ص(١٠٦).

(٨) ينظر: المصدر السابق ص(٧٣).

(٩) ينظر: المصدر السابق ص(٧٧).

ومن كتب اللغة، ذكر: الكتاب لسيبويه[١][٢]، وشرحه للسيرافي[٣][٤]، وغيرهما كذلك.

وهكذا في جميع العلوم التي استعان بها في دفع توهم التعارض والاختلاف عن القرآن الكريم.

- العزو في جُمل الاقتباسات وفي تفاصيلها إلى من ذكرها:

كقوله: (وذكر الألوسي في تفسيره أن صاحب "الكشف" قال: إن هذا القول أحسن، وأنَّ الطيبي[٥] قال: إنه أظهر. وقال هو: وللبحث فيه مجال)[٦].

وقوله: "فإذا حققت ذلك، فاعلم أن العلماء اختلفوا في هذين العمومين

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٩، ٤٧، ٤٨، ١٠٧).

(٢) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، أبو بشر، أصله فارسي، طلب الفقه والحديث، ثم طلب العربية فبرع فيها وساد أهل زمانه، وصنف فيها كتابه الكبير-الكتاب- الذي لم يصنف أحد بعده مثله، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد، وتوفي سنة (١٨٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٤٦٣)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٦٣٦).

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٠-١٠١).

(٤) هو: الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد السّيرافيّ كان أبوه مجوسيًا اسمه بهزيار، فسمّاه ابنه أبو سعيد: عبد الله درس ببغداد القرآن وعلومه، والنّحو واللّغة، والفقه على مذهب أبي حنيفة والفرائض، قرأ القرآن على ابن مجاهد، واللّغة على ابن دريد، والنّحو على ابن السرّاج، وكان زاهدا ورعا، بل كان يأكل من أجرة نسخه، وصنّف كتبا، منها: كتاب شرح "سيبويه" توفي سنة (٣٦٨هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن الإشبيلي ص(١١٩)، الدر الثمين في أسماء المصنفين، لابن الساعي ص(٣٣٢).

(٥) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، شرف الدين، عالم بالحديث والتفسير والعربية والمعاني والبيان، وكان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، وكان ملازما لأشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع، يخدمهم ويعينهم، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم، محبا لمن عرف منه تعظيم الشريعة، من كتبه، "فتوح الغيب على الكشاف عن قناع الريب"، توفي (٧٤٣هـ). ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (٢/١٥٦)، طبقات المفسرين للداودي (ص١/١٤٣).

(٦) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٩٧-٤٩٨).

أيهما أرجح ، فالجمهور على ترجيح الآيات المحرمة ، وهو مذهب الشـــافعي ورواية عن مالك[١]، ورواه إسماعيل بن سعيد[٢] عن الإمام أحمد؛ كما ذكره صاحب المغني[٣].

وهو قول ابن عمر وربيعة[٤]؛ كما نقله عنهما البغوي[٥] في تفسيره.

---

(١) هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، ولد بالمدينة، ولا تتفق الروايات على سنة ولادته، أخذ عن ربيعة بن فروخ والزهري وغيرهما، قال الذهبي: " لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم، والفقه، والجلالة، والحفظ"، ويعد كتابه الموطأ من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها، وجه إليه الخليفة هارون الرشيد - عندما كان يحج ليأتيه ويحدثه، فقال العلم يؤتى. فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. توفي بالمدينة سنة (١٧٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ٥٨)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (١/ ٨٢).

(٢) هو: إسماعيل بن سعيد الطبري الأصل الجُرجاني، أبو إسحاق، المعروف بالشالنجي، من أصحاب محمد بن الحسن، روى عنه، وعن سفيان بن عُيينة، ويحيى القطان، وكان أحمد بن حنبل يُكاتبه، ويثني عليه، وصنف في فضائل أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم، وصنف كتاب " البيان " في الفقه، قيل: إنه رد فيه على محمد بن الحسن، يحكي كل مسألة، ثم يرد، وله تصانيف أخر في الفقه، وغيرها. ينظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ١٣٦)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر الغزي (ص: ١٧٦).

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، موفق الدين أبو محمد، ولد سنة (٥٤١هـ)، حفظ القرآن ولزم الاشتغال بطلب العلم من صغره، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم، قال ابن النجار: "كان إمام الحنابلة بدمشق، وكان ثقة حجة نبيلا، غزير الفضل، نزها، ورعا عابدا، صنف التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب، فروعا وأصولا، وفي الحديث، واللغة، والزهد، والرقائق. وتوفي سنة (٦٢٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٢/ ١٦٥)، البداية والنهاية، لابن كثير: (١٣/ ١٠٧ - ١٠٩)، وذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب: (٣/ ٢٨١).

(٤) هو: ربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي، وهو مدني سمع أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وعامة التابعين من أهل المدينة، وكان من أئمة الاجتهاد، فقيها عالما، حافظا للفقه والحديث، صاحب الفتوى بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة، وعنه أخذ مالك الفقه، توفي سنة (١٣٣هـ). ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٣/ ٢٨٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٦/ ٨٩).

(٥) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، المعروف بالفراء، البغوي الملقب ظهير الدين، الفقيه الشافعي المحدث المفسر؛ كان بحراً في العلوم، كان لا يلقي الدرس إلا على الطهارة، وصنف كتباً كثيرة، منها كتاب "التهذيب" في الفقه، وكتاب "شرح السنة" في الحديث، و "معالم التنزيل"، وتوفي سنة (٥١٦هـ). ينظر: [وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢/ ١٣٦) وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: (٧/ ٦٨)].

وذكره النووي[1] في شرح المهذب عن علي، وعائشة"[2].

وقوله: "ثم ذكر ابن كثير أن ابن جرير لا يعتبر مخالفة الواحد أو الاثنين للجمهور فيعده إجماعا مع مخالفة الواحد أو الاثنين، ولذلك حكى الإجماع على أكل متروك التسمية نسيانا مع أنه نقل خلاف ذلك عن الشعبي وابن سيرين[3]"[4].

فقد أحال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ابن كثير، مع أن تفسير ابن جرير متوافر عنده، فلعله لم يجد الموضع فيه، أو أنه كان بعيداً عنه، فعزى لابن كثير. والمغزى أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لو عزى لابن جرير وأهمل الواسطة، لم يكن لينتبه له أحد؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرجع كثيرًا إلى تفسير الطبري، لكن أمانته وتواضعه بالرجوع إلى واسطة مع توافر الأصل – لعذر من الأعذار –؛ لأن الغاية هي بيان الحقيقة العلمية دون اعتبار لنوازع النفس وطلب التزكية. والله أعلم.

عزو أوجه الجمع وصوره إلى من ذكرها:

كقوله: "ذكر هذا الجمع صاحب (الإتقان)"[5].

وقوله: "ذكر هذين الوجهين صاحب (الإتقان)"[6].

---

(1) هو: يحيى بن شرف بن مري النووي، أبو زكريا، الفقيه الشافعي النبيل، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، أحد العباد والعلماء الزهاد، ولد سنة (631هـ) ببلدة نوى، وكان يتوسم فيه النجابة من صغره،] وكان يقرأ في اليوم اثني عشر درسًا على المشايخ، وبورك له في وقته، له مصنفات عديدة كبيرة، منها: "المجموع"، و"شرح صحيح مسلم"، و"تهذيب الأسماء واللغات"، توفي سنة (676هـ). ينظر: [طبقات الشافعيين، لابن كثير: (ص: 910)، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: (8/ 395)

(2) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(158).

(3) هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتّاب، مولده ووفاته في البصرة، نشأ بزازاً، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك، بفارس، وكان أبوه مولى لأنس، ينسب له كتاب "تعبير الرؤيا" توفي سنة (110هـ). ينظر: تاريخ بغداد، للبغدادي (3/ 283)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (4/ 606).

(4) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(169).

(5) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(271).

(6) المصدر السابق ص(61)، (301).

وقوله: "ذكر هذه الأوجه الثلاثة أيضا صاحب (الإتقان)"[1].

وقوله: "والجواب هو ما ذكره صاحب (الإتقان)"[2].

وقوله: "ذكر هذا الوجه الخطيب[3]، والألوسي في تفسيريهما، وعزاه الألوسي لبعض المحققين"[4].

وقوله: "ذكر هذا الجمع البيضاوي والخطيب في تفسيريهما"[5].

وقوله: "ذكر هذا الجواب بوجهيه ابن القيم"[6].

وقوله: "والجواب –على هذا القول- هو ما أشار إليه الألوسي في تفسيره"[7].

وقوله: "والجواب هو ما ذكره الألوسي وغيره"[8].

-قول بعض عبارات التبرؤ من الحول والقوة، مثل: "الذي يظهر، والله أعلم"[9]:

فعبارة "الذي يظهر" تشير إلى تواضع الشيخ بعدم الجزم – رغم قوة الوجوه التي يذكرها –، ولسان حاله يقول: هذا الذي توصلت إليه حسب احتهادي، وهذا يعني كذلك عدم إلزام القارئ برأي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإفساح المجال له لينظر في قبول رأيه أو عدم قبوله؛ على قاعدة الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كل يؤخذ من قوله ويُرد، إلا صاحب هذا القبر" يقصد رسول الله ﷺ.

---

(1) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(312).

(2) المصدر السابق ص(373).

(3) هو: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، المعروف بالخطيب الشربيني، من المفسرين، ومن فقهاء الشافعية، درس وأفتى في حياة شيوخه، وُصِفَ بالعلم والعمل، والزهد والورع، وكثرة النسك والعبادة، وشرح كتاب "المنهاج" و"التنبيه" شرحين عظيمين، وتوفي سنة (977هـ). ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للغزي: (3/ 73).

(4) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(153-154).

(5) المصدر السابق ص(42).

(6) المصدر السابق ص(260).

(7) المصدر السابق ص(498).

(8) المصدر السابق ص(278).

(9) ينظر: المصدر السابق ص(154، 159، 162، 165، 197، 396، 411).

وعبارة " الله أعلم" عُرْف علمي أصيل، فيه اعتراف بقصور النظر البشري، والوجل من القول على الله بغير علم، أو الجزم بأن هذا حكم الله الذي لا حكم غيره، مع أنه قيل باجتهاد.

قال تلميذه الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومما لوحظ عليه- أي الشيخ الشنقيطي- في سنواته الأخيرة، تباعده عن الفتيا، وإذا اضطر يقول: لا أتحمل في ذمتي شيئا، العلماء يقولون: كذا وكذا.

وسألته مرة عن ذلك، فقال: إن الإنسان في عافية ما لم يبتل، والسؤال ابتلاء؛ لأنك تقول عن الله، ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا. فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وجب التحفظ فيه"[1].

هذا ما تيسّر تلخيصه من هذه الخصلة الحميدة في الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن الشواهد عليها كثيرة، وفيما ذُكر كفاية وغُنية بإذن الله. نفعني الله وجميع المسلمين بعلوم الشيخ وسمته.



(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٩/٤٠٥).

الفصل الثالث

منهج الشنقيطي في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات في كتابه

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تحرير وجه الإشكال.

المبحث الثاني: الجمع بالاعتماد علىٰ مصادر التفسير المعتبرة.

المبحث الثالث: الجمع بالاعتماد علىٰ علوم القرآن.

المبحث الرابع: الجمع بالاعتماد علىٰ أساليب العربية وعلومها وسياقاتها.

المبحث الخامس: الجمع بالاعتماد علىٰ القواعد الأصولية.

المبحث السادس: الجمع بإعمال قواعد الترجيح عند المفسرين.

المبحث السابع: النسخ.

المبحث الثامن: التوقف.

تمهيد

تعريف المنهج لغةً:

مادة (نهج) في اللغة تدل على معنيين متلازمين: الطريق، والوضوح[1].

فالنهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهجُ والمنهاجُ، وأَنْهَجَ الطريقُ: أي استبان وصار نَهْجًا واضحًا بينًا[2].

ومنه قول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، قال ابن كـــثير: "أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل"[3].

ومن هذا المعنى أُخِذتْ كلمة (المنهج) في الدراسات العلمية القائمـــة علـــى وصـــف وتحديد الطرق والمسالك التي اتبعها بعض الأفراد أو الطوائف، أيًا كان مجالها.

فيقال: منهج المحدثين، ومنهج المفسرين، ومنهج الفقهاء...إلخ يراد: طريقهم وسبيلهم التي يسلكونها.

كما ينسب إلى الأفراد؛ فيقال: منهج البخاري في صحيحه أو في تبويبه، ومنهج الإمام الشافعي في الرسالة...إلخ أي: طريقته في ذلك.

تعريف المنهج اصطلاحًا:

عرَّف علماء مناهج البحث "المنهج بأنه:

"فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقـــة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عالمين"[4].

وفي هذا الفصل أحاول مجتهدةً ومتحريةً قدر المستطاع تحديد المنهج الذي اتبعه الشيخ

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (نَهَجَ) (٥/ ٣٦١).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة، للجوهري، مادة (نَهَجَ) (١/ ٣٤٦)، ولسان العرب، لابن منظور، مادة (نَهَجَ) (٢/ ٣٨٣)، والمصباح المنير للفيومي، مادة (نَهَجَ) (٢/ ٦٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

(٤) منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه والأصول، د. عبد الوهاب أبو سليمان ص (١٥).

الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع توهم التعارض أو الاضطراب بين آيات القرآن الكريم، وذلك من خلال التتبع والاستقراء التامَّين لإجاباته رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما يورده من إشكالات متوهمة بين آيات القرآن الكريم، وأعني بذلك: الطريق الواضح التي سلكها الشيخ الشنقيطي في كتابه"**دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**"، والتي تبتدأ من "تحريره لوجه الإشكال" كخطوة وركيزة أساسية، ليتم بعد ذلك "الجمع" أو "النسخ" أو "التوقف" على النحو الذي يأتي بيانُه خلالَ مباحث هذا الفصل.



المبحث الأول

تحرير وجه الإشكال

وجه الإشكال يمكن تعريفه بأنه: الوقوف على الموضع والموطن المختلف فيه في الآية أو الآيات.

وتحرير وجه الإشكال هو أول وأهم خطوة يخطوها من يتصدى لدفع توهم التعارض بين الآيات.

إن أول أمر ينبغي أن يسلكه من توهم التعارض بين الآيات أن يقف على السبب الذي أدى لذلك التوهم، ثم يحرره، وذلك بالتعرف على سبب وروده على الآية أو الآيات وجعلها مشكلة، فإذا تبين أن الآية مشكلة فعلا، بُحِثَ عن الطرق التي يدفع بها هذا الإشكال والتوهم.

حيث إن بعض التوهمات غير واردة مطلقًا؛ كالذي ينشأ على أمر خاطئ من الاعتقادات أو الأحكام، ثم إذا وردت عليه آيات الكتاب استشكلها، وإنما أُتِيَ هذا من جهة أنه عرض النص الإلهي على ما عنده من اعتقاد، بينما كان الحق و الصواب أن يعرض ما عنده على النص الإلهي.

وهذا هو منشأ استشكال كثير من المفسرين آيات الصفات، وبالتالي فإن استشكالهم للآيات من هذا النوع، استشكالٌ مردودٌ، وحكمهم عليها بأنها من المتشابه غير مقبول[1].

إن تحرير وجه الإشكال في الآيات المتوهم تعارضها هو السمة الغالبة للمفسرين؛ ذلك أن للمفسرين طرقًا وخطواتٍ للتعرف على الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، وهي:

١- الإشارة إلى أن ظاهر الآية يوهم التعارض سواء بالنص، أو ما يقوم مقامه.

٢- تحديد نوع الإشكال.

---

(١) ينظر: مشكل القرآن، د. عبدالله المنصور ص(٢٠٩ ـــ ٢١٠).

٣- تحرير وجه الإشكال، وهل له تعلق بآيات أخرى مماثلة.

٤- دفع الإشكال المتوهم.

وبعض المفسرين قد يتجاوزون بعضًا من هذه الخطوات؛ ومن ثم ينبغي مراجعة عدد من كتب التفسير حتى يتبين "تحرير وجه الإشكال".

والناظر في منهج المفسرين يلحظ أهمية تحرير وجه الإشكال، وأنه لا يقل أهمية عن شبيهه: تحرير محل النزاع في المسائل الفقهية[١][٢].

وقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المسلك "تحرير وجه الإشكال" في كتابه" دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب":

فقد سار على منهج واحد دقيق في جميع الكتاب، وتصدى لإشكالات كثيرة.

فيبدأ أولا بذكر الآية ومعناها ثم الآية أو الآيات التي يوهم تعارضها مع تلك الآية؛ مبينا تفسيرها في الغالب، ثم يذكر التعارض الموهم بينهما وقد يقدم وقد يؤخر، ثم يتبعه بأوجه الجمع بين الآيات بدليلها، معلقاً عليها، ناقداً لها، مرجحاً ومضعّفًا.

وإن كان للشيخ رأي في المسألة فإنه يذكره بعد سرده لأوجه الجمع، بقوله: (قال مقيده عفا الله عنه)[٣].

(١) ينظر: مشكل القرآن ص(٢١٠).

(٢) ثمرات تحرير وجه الإشكال:

١- يساعد على دفع ذلك التوهم عن الآيات؛ من جهة فهم كلام مَنْ تكلّم على الآيات من المفسرين، حيث إن ورود الجواب على عالم بالسؤال ليس كوروده على من لم يعرف السؤال أصلا.

٢- يساعد على ترجيح الجواب الصحيح من مجموع الأجوبة التي يوردها المفسّرون لدفع التوهم الوارد على الآية.

٣- يفتح الأذهان للنظر إلى الثمرة المترتبة على حل الإشكال.

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٨١، ١٩٧، ٢٣٤، ٣٩٦، ٤١١).

وليس للشيخ الشنقيطي منهجية محددة في ترتيب الأقوال - أوجه الجمع - من حيث القوة والضعف؛ فقد يذكر القول الراجح، ثم القول المرجوح أو الضعيف أو العكس.

ومن الأمثلة على سلوك هذا المنهج في كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب):

المثال الأول:

قال الشيخ الشنقيطي: "سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧]". هنا ذكر الآية.

ثم ذكر معنى الآية، فقال: "هذه الآية الكريمة تدل على أن من القرآن محكماً، ومنه متشابهًا"[١].

ثم ذكر وجه الإشكال والتوهم مع ذكر الآيات الدالة عليه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

"وقد جاءت آية أخرى تدل على أن كله محكم، وآية تدل على أن كله متشابه، أما التي تدل على إحكامه كله فهي قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

وأما التي تدل على أن كله متشابه فهي قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]"[٢].

ثم دفع هذا التعارض المتوهم بالجمع بين الآيات، وبيان معنى الإحكام والتشابه في كل آية. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ :"ووجه الجمع بين هذه الآيات..."[٣].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٩٤).

(٢) المصدر السابق ص(٩٤).

(٣) المصدر السابق ص(٩٤ـ٩٥).

المثال الثاني:

قال الشيخ الشنقيطي: "سورة النساء، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [النساء:٣]". هنا ذكر الآية.

ثم ذكر المعنى الذي تدل عليه هذه الآية، فقال:

"هذه الآية تدل على أن العدل بين الزوجات ممكن"(١).

ثم ذكر الآية التي يتوهم التعارض معها، وحرر وجه الإشكال والتوهم فقال: "وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنه غير ممكن وهو قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩](٢).

ثم شرع في الإجابة عن هذا التوهم؛ فدفعه بذكر جواب واحد، وأيّده بذكر سبب نزول الآية، وأنه مرويٌّ عن الصحابة والتابعين. فقال: "والجواب عن هذا..."(٣).

المثال الثالث:

قال الشيخ الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]". ذكر هنا الآية.

ثم ذكر معناها وما تدل عليه، فقال: "هذه الآية الكريمة تدلُّ بعمومها على إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقًا، ولو سموا عليها غير الله، أو سكتوا و لم يسموا الله ولا غيره، لأن الكل داخل في طعامهم"(٤).

ثم ذكر بعد ذلك الآيات التي يتوهم من ظاهرها التعارض مع هذه الآية.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٢٧).

(٢) المصدر السابق ص(١٢٧).

(٣) المصدر السابق (١٢٧ــ ١٢٨).

(٤) المصدر السابق ص(١٥٦ــ ١٥٧).

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣]، ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤٥]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية [الأنعام:١٢١].

ثم بيَّن وجه الإشكال والتوهم بينها، فقال: "...مع أنه جاءت آيات أخر تدلُّ على أن ما سُمِّيَ عليه غير الله لا يجوز أكله، وعلى أن ما لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله أيضًا"(١).

ثم دفع هذا التعارض المتوهم ورجح واحدا منها(٢).

المثال الرابع:

"قولـــه تعـــالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]"(٣). ذكر هنا الآية.

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معناها بقوله: "وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الكـــافر يجـــازى بحسناته كالصدقة، وصلة الرحم، وقري الضيف، والتنفيس عن المكـــروب في الـــدنيا دون الآخرة؛ لأنه تعالى قال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود:١٥]، يعني: في الحياة الدنيا؛ ثم نص على بطلانها في الاخرة، بقولـــه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ [هود:١٦]. "(٤).

و ساق نظائر لهذه الآية..

ثم بعد ذلك ذكر الآيات التي يتوهم من ظاهرها التعارض مع الآية المتقدمة، وحرر وجـــه الإشكال والتوهم، فقال: "مع أنه جاءت آيات أخر تدل على بطلان عمل الكافر واضمحلاله من أصله، وفي بعضها التصريح ببطلانه في الدنيا مع الآخرة في كفر الردة وفي غيره".

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٥٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص (١٥٦ــ ١٦٩).

(٣) المصدر السابق ص(٢٣٠).

(٤) المصدر السابق ص(٢٣٠).

وذكر الآيات، فقال:"وأما الآيات الدالة على بطلانه من أصله فكقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وأما الآيات الدالة على بطلانها في الدنيا والآخرة فكقوله في كفر المرتد: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وكقول في كفر غير المرتد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢١] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢٢].

وبين الله تعالى في آيات أخر أن الإنعام عليهم في الدنيا ليس للإكرام، بل للاستدراج والإهلاك كقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣] إلى غير ذلك من الآيات"[١].

ثم دفع هذا التعارض المتوهم، فقال: "والجواب من أربعة أوجه" وذكرها، ورجح الأول، وعلل ترجيحه، فقال: "الأول - ويظهر لي صوابه لدلالة القرآن عليه"[٢].

المثال الخامس:

قال الشيخ الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه:٢٧-٢٨]" هنا ذكر الآية.

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعنى العام للآيات، فقال: "لا يخفى أنه من سؤل موسى الذي قال له ربه إنه آتاه إياه بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٦]، وذلك صريح في حل العقدة من لسانه"[٣].

ثم ذكر الآيات التي يتوهم من ظاهرها التعارض مع الآية المتقدمة، وبين وجه الإشكال

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٣١).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(٢٣٠ ــ ٢٣٥).

(٣) المصدر السابق ص(٢٨٩).

والتوهم بينهما، بقوله: "وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على بقاء شيء من الذي كان بلسانه كقوله تعالى عن فرعون: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف:٥٢].

وقوله تعالى عن موسى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ ﴾ الآية [القصص:٣٤]"[١].

وقد دفع هذا الإشكال المتوهم بذكر الجواب عليه من وجهين، ثم أيد الوجه الأول بما ذكره ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ [طه:٢٧]، وما قاله الحسن البصري وابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية، وما ذكره ابن أبي حاتم[٢] من نقله لأقوال ابن عباس والحسن البصري و محمد بن كعب القرظي[٣].

و لم يرجّح هنا أحد الوجهين[٤].

المثال السادس:

قال الشيخ الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق:١٠]". ذكر هنا الآية.

ثم ذكر معناها وما تدل عليه، فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يعط كتابه بيمينه أنه يعطاه وراء ظهره".

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٨٩).

(٢) هو: أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي، لعلامة الحافظ الإمام ابن الإمام، ولد سنة (٢٤٠هـ)، كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في الفقه، واختلاف الصحابة والتابعين، صنف مصنفات منها: 'الجرح والتعديل' و'الرد على الجهمية' و'التفسير' و'العلل' و'المسند' وغيرها، مات بالري رحمه الله في المحرم سنة (٣٢٧هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي: (٧/ ٥٣٣)، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٣/ ٣٢٤).

(٣) هو: محمد بن كعب القرظي، يكنى: أبا حمزة، حليف الأنصار، تابعي مشهور، ولد سنة (٤٠هـ)، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، قال ابن سعد: كان ثقة، عالمًا، كثيرَ الحديث، ورعًا، وكانت وفاته سنة (١٠٨هـ). ينظر: [الطبقات الكبرى، لابن سعد ص(١٣٤)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/ ٢٧٣)].

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٨٩ـ ٢٩١).

ثم ذكر الآية التي يتوهم من ظاهرها التعارض مع الآية المتقدمة مشيرًا إلى وجه الإشكال والتوهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد جاءت آية يفهم منها أنه يؤتاه بشماله، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥].

ثم دفع هذا التعارض المتوهم[١].

المثال السابع:

قال الشنقيطي: "سورة الزلزلة، في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]"[٢]هنا ذكر الآية.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ معنى الآية، وذكر الآية التي يُتوهم التعارض معها، مشيرًا إلى وجه الإشكال والتوهم؛ فقال: "هذه الآية الكريمة تقتضي أن كل إنسان كافرًا كان أو مسلمًا يجازى بالقليل من الخير والشر.

وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف هذا العموم"[٣].

وزاد هذا الإشكال تحريرًا، فقال: "أما ما فعله الكافر من الخير، فالآيات تصرح بإحباطه، كقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود:١٦].

وذكر عدة آيات، ثم قال: "وأما ما عمله المسلم من الشر، فقد صرحت الآيات بعدم لزوم مؤاخذته به، لاحتمال المغفرة أو لوعد الله بها، كقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. وذكر آية أخرى.

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٤٩).
(٢)دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٩١).
(٣) المصدر السابق، ص (٤٩١).

وبعد تحريره لوجه الإشكال والتوهم دفعه بذكر الجواب عليه بثلاثة أوجه[١].

ومن هذه الأمثلة يتبين مدى عناية الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -عند دفعه لتوهم التعارض- بهذا المنهج "تحرير وجه الإشكال"، والتزامه به في جميع الإشكالات التي تصدى لها في كتابه[٢].

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٩١- ٤٩٣).

(٢) التزم الشيخ الشنقيطي منهج (تحرير وجه الإشكال) في الكتاب كله عدا ثلاثة مواضع، وهي: (١٩٤، ٢٧٠، ٣٣٢).

المبحث الثاني

الجمع بالاعتماد على مصادر التفسير المعتبرة

مصادر التفسير:

مصطلح يراد به المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وإنما قيل: "المراجع الأولية"؛ لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعتبر مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها.

وعند التأمل نجد أن طرق التفسير هي مصادر التفسير.

وقد اصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية على تسميتها بـ (طرق التفسير)، و نص على بعضها وأشار إلى غيرها، فقد ذكر القرآن والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، وأشار إلى مرويات بني إسرائيل، وإلى اللغة، وهذه هي معظم مصادر التفسير وطرقه عند غالب المفسرين، وهو المنهج الذي سار عليه غالب من كتب في التفسير سواء نصَّ على اعتماده عليها أو لم ينص[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما

(١) ينظر: شرح مقدمة أصول التفسير، د. مساعد الطيار ص(٢٦٩-٢٧٠).

(٢) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ص(٣٩)، وينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ ص (١٣٣).

لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين"[١].

وقال أيضًا: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[٢].

إن هذه الطرق وهذا التقسيم الذي ذكره شيخ الإسلام إنما هو تقسيم فني يعين بعضه على بعض، وليس المراد أن يتدرج في التفسير على هذه الطرق، فالذي يخوض غمار التفسير يعلم أن هذه الطرق ستكون مختلطة، فالنبي ﷺ قد فسر القرآن بالقرآن، وفسر القرآن بلغة العرب، وكذلك تفاسير الصحابة والتابعين، منها استعمال لتفسير القرآن بالقرآن، ومنها استعمال لتفسير القرآن بالسنة، ومنها استعمال لتفسير القرآن بلغة العرب، ومنها تفسير بالرأي والاجتهاد، وقد يجتمع في المسألة الواحدة من مسائل التفسير طرق متعددة من طرق التفسير، حتى أنه لا يوجد تفسير مرتب على هذا الترتيب، حتى التفسير الذي كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

أولاً: دفع توهم التعارض والاختلاف بالقرآن الكريم:

يعتبر القرآن أول مصدر لبيان تفسيره؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره؛ ولذا عدّه بعض العلماء أول طريق من طرق تفسير القرآن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا تأمل من بصَّره الله طريقة القرآن والسنة وجدها متضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهر، وهذا موضع لطيف جدًّا في فهم القرآن"[٤].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ص(٤٠)، وينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ ص (١٤٢).

(٢) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ص(٤٠)، شرح مقدمة في أصول التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ ص (١٥٦).

(٣) ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، د.مساعد الطيار ص (٢٦٢).

(٤) الصواعق المرسلة، لابن القيم (١/٣٨٩).

إن أصح الطرق في تفسير القرآن: أن يفسر القرآن بالقرآن[١].

قال ابن القيم: "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"[٢].

و قال الشنقيطي: "وخير ما يفسر به القرآن القرآن"[٣].

وقال أيضًا: "واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمرين:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله – جل وعلا– من الله- جل وعلا"[٤].

وقد اعتنى الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدفع توهم التعارض والاختلاف بالاعتماد على ذلك، في مواضع عدة من كتابه، والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن نوحًا- عليه الصلاة والسلام- عالم بما يصير إليه الأولاد من الفجور والكفر قبل ولادتهم، وما يدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الآية [هود: ٣١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن نوحًا- عليه الصلاة والسلام- عالم بعدم إيمان وفجور أولاد

---

(١) شرح مقدمة في أصول التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ ص (١٣٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (١/١١١).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (٣/٢٩).

(٤) المصدر السابق (١/٦- ٧).

قومه قبل ولادتهم، بينما الآية الثانية والثالثة تدل على خلاف ذلك، وهو أن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتوهم، بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن نوحًا- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- عالم بما يصير إليه الأولاد من الفجور والكفر قبل ولادتهم، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله؛ كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وكقول نوح نفسه- فيما ذكره الله عنه في سورة هود: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الآية [هود: ٣١]"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهًا واحدًا، معتمداً على القرآن، فذكر أنه قد جاءت آية أخرى تبين أن الله قد أعلمه بوحي منه أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد آمن.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب عن هذا ظاهر؛ وهو: أنه علم بوحي من الله أن قومه لا يؤمن منهم إلا من آمن، كما بينه بقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن جميع المعبودات مع عابديها في النار، وما يشير إلى أن بعض المعبودين-كعيسى والملائكة- ليسوا من أهل النار.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٣٣).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

بيان وجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على جميع المعبودات من دون الله مع عابديها وقود لجهنم، فهم داخلون فيها، والآية الثانية والثالثة تدل على أن هناك بعض المعبودات ليسوا من أهل النار وليسوا داخليها.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الأشكال والتعارض بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية تدل على أن جميع المعبودات مع عابديها في النار.

وقد أشارت آيات أخر إلى بعض المعبودات- كعيسى والملائكة- ليسوا من أهل النار، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد تحريره لوجه الإشكال والتعارض وجهين لدفع هذا التوهم، والشاهد من هذا المثال هو الوجه الثاني.

وهو أن هذا التوهم مدفوع بآية من كتاب الله،صرحت بخروجهم من حكم الآية الأولى، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "الثاني: أن الملائكة وعيسى نص الله على إخراجهم من هذا؛ دفعًا للتوهم ولهذه الحجة الباطلة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] "[2].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٩٥).

(٢) المصدر السابق ص (٢٩٦).

المثال الثالث:

الجمع بين ما يدل على أن قوم نوح كذبوا جماعة من المرسلين، وما يدل على أنهم كذبوا رسولا واحدًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٦- ١١٧].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن قوم نوح كذبوا مجموعة من المرسلين، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك وأنهم ما كذبوا إلا رسولهم وهو نوح ؑ.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتعارض بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية تدل على أن قوم نوح كذبوا جماعة من المرسلين، بدليل صيغة الجمع في قوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، ثم بيَّن ذلك بما يدلُّ على خلافِ ذلك، وأنهم كذبوا رسولا واحدًا، وهو نوح- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٦- ١١٧] "[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وقد اقتصر الشيخ الشنقيطي على دفع هذا التوهم على وجه واحد، معتمد على آية من كتاب الله، ثم أشار إلى أن هذا الإشكال والتوهم ينسحب على نظائر هذه الآية من القرآن والجواب كذلك، وهو أن تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين؛ لأنهم كلهم على دعوة واحدة وإخبار واحد، فتكذيب أحدهم تكذيب بجميع ما جاؤوا به من الحق.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٢٥).

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا أن الرسل- عليهم صلوات الله وسلامه- لما كانت دعوتهم واحدة-وهي لا إله إلا الله- صار مكذب واحد منهم مكذبًا لجميعهم، كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ الآية [النحل: ٣٦]"(١).

وقد بين أن مكذب بعضهم مكذب للجميع بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ [النساء: ١٥١].

ثم أشار إلى أن هذا التوهم و دفعه بالجواب عليه، ينسحب على نظائر هذه الآية من القرآن.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ويأتي مثل هذا الإشكال والجواب عليه في قوله: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ على الجميع وعلى نبينا الصلاة والسلام"(٢).

المثال الرابع:

الجمع بين ما يدل على أن الكفار يزعمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا إلا يومًا أو بعض يوم، وما يفهم منه خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ [طه: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ [الروم: ٥٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الكفار يزعمون يوم القيامة أنهم ما مكثوا إلا يوم أو جزءًا من

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٢٥-٣٢٦)

(٢) المصدر السابق ص(٣٢٧).

اليوم، والآية الثانية تدل أنهم يزعمون أنهم ما مكثوا إلا عشرًا، والآية الثالثة يقسم المجرمون أنهم ما مكثوا إلا ساعة.

فكل آية يفهم منها خلاف ما تدل عليه الآية الأخرى.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتوهم بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يزعمون يوم القيامة ما لبثوا إلا يومًا أو بعض يوم، وقد جاءت آيات أخر يفهم منها خلاف ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض:

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ وجهًا واحدًا لدفع هذا التوهم وهو ما دل عليه القرآن الكريم وهو اختلاف أقوالهم في المدة التي مكثوها، فبعضهم يقول مكثنا يومًا أو بعض يوم، وبعضهم يقول: مكثنا ساعة، وبعضهم يقول: مكثنا عشرًا وأرجحهم عقلا يقول مكثنا يومًا قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٤].

فدلت هذه الآية على اختلاف أقوالهم في مدة مكثهم بحيث يقول أرجحهم عقلا: (مكثتم يومًا).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ووجه دلالة القرآن على هذا: أنه بين أن أقواهم إدراكًا وأرجحهم عقلا وأمثلهم طريقة هو من يقول: إن مدة لبثهم (يومًا) وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

فدل ذلك على اختلاف أقوالهم في مدة لبثهم، والعلم عند الله)"(٢).

فالشيخ الشنقيطي في هذا المثال اعتمد في دفعه هذا التوهم على ماجاء بيانه في القرآن الكريم.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣١٢، ٣١٣).

(٢) المصدر السابق ص (٣١٣).

فاتضح للقارئ هنا بعد إيراد هذه الأمثلة، جانبًا من منهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي سلكه في دفع التوهم وذلك بالاعتماد على القرآن الكريم[1].

ثانيًا: دفع توهم التعارض والاختلاف بالسنة:

لا خلاف في كون السنة المصدر الثاني في التشريع فضلا عن التفسير وقد أوكل الله- سبحانه وتعالى- إلى الرسول ﷺ مهمة البيان فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولذا كان الرجوع إلى بيان الرسول ﷺ مهمًا في فهم القرآن وتفسيره، ولما كان الأمر كذلك، فإنه لا أحد أعلم بمراد الله منه ﷺ.

ثم إن ما يرد عنه من تفسير فإنه وحي؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]. وهذا يدل على عظيم منزلة تفسيره ﷺ.

ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال، وهي أصل في فهم القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي؛ لأنه كما سبق لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله من رسوله ﷺ.

ويعد تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية أصح طرق التفسير بعد القرآن الكريم فهي شارحة وموضحة له كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "فإن أعياك ذلك - يعني تفسير القرآن بالقرآن- فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"[2].

ولو أدرت النظر في أحوال الاستفادة من السنة في التفسير؛ لظهر لك ما يأتي:

---

(١) وينظر: للمزيد من الأمثلة: ص(٣٥-٣٦)، (٣٧-٣٨)، (٤٠-٤١)، (٤٥)، (٤٦-٤٧)، (٥١-٥٢)، (٧٦)، (٧٩-٨٠)، (٨٣)، (٢٠١-٢٠٣)، (٢٠٨-٢٠٩)، (٢٣٢)، (٢٧٤-٢٧٥)، (٢٩٣-٢٩٤)، (٣٠٧-٣٠٨)، (٣١٢-٣١٣)، (٣٣٢)، (٣٩١)، (٣٩٢)، (٣٩٨)، (٤٤٢-٤٤٣)، (٤٤٦)، (٤٧٨-٤٨٠)، (٤٨١).

(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير، الشيخ صالح آل الشيخ ص (١٣٣).

الحال الأولى: أن يكون في سنته تفسير مباشر للقرآن، وذلك هو التفسير النبوي الذي يكون فيه القصد إلى بيان معنى لفظ أو جملة، أو بيان مجمل، أو بيان غيبي لا يظهر لهم كيفيته، وقد تكون منه ابتداءً، وقد تكون إثر سؤال أو استشكال من الصحابة.

الحال الثانية: أن يكون في سنته ما يوضح القرآن وإن لم يكن من التفسير المباشر، ولهذا صور متعددة؛ كأن يرد المعنى الذي في الآية في الحديث، أو أن ترد اللفظة التي في الآية في الحديث، وهي بينة فيه، أو يرد في السنة تفاصيل أمر مجمل في القرآن، أو أن يرد فيها الإشارة إلى موضوع من موضوعات القرآن، وما إلى ذلك مما لا يكون القصد منه التفسير المباشر، بل يرد الحديث عاريًا من الآية.

الحال الثالثة: أن يستفاد من سنته في التفسير بأنواع شتى من الاستفادات غير ما ذكر من السابقات؛ كالاستشهاد بحديث نبوي على صحة تفسير من التفسيرات، أو أن يرد في الحديث لفظة واردة في القرآن وهي غير بينة في الموضعين، أو أن يستفاد من الحديث في ترجيح قول على قول، أو غير ذلك من وجوه الاستفادات وهي كثيرة جدًا[1].

وقد اعتنى الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدفع توهم التعارض والاختلاف بدلالة السنة وسلك مسلك الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض بالاعتماد عليها، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول:

الجمع بين تفضيل بني إسرائيل على العالمين وكوننا خير أمة.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، د. مساعد الطيار باختصار ص (٢٨٠-٢٨٤).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على تفضيل بني إسرائيل على العالمين.

والآية الثانية تدل على كون أمة محمد ﷺ خير الأمم وأفضلها.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره للآية الأولى: "لا يعارض قوله تعالى في تفضيل هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع توهم التعارض بين الآيتين وجهًا واحدًا، وأيده بالكتاب والسنة، مع ذكره لوجه الدلالة منهما على هذا الوجه في الدفع، ثم أيد هذا المعنى بالآيات والأحاديث التي تصرح وتنص على أن هذه الأمة أفضل منهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "المراد بالعالمين: عالمو زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصرحة بأن هذه الأمة أفضل منهم، كحديث معاوية ابن حيدة القشيري[2] في المسانيد والسنن قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله"**[3]. فهذا نص صريح في دفع هذا التوهم، ثم ساق الآية وذكر وجه الدلالة منها فقال: "ألا ترى أن الله جعل المقتصد منهم هو أعلاهم منزلة حيث قال: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، وجعل في هذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصد، هي درجة السابق بالخيرات حيث قال: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٥٣).

(٢) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، جد بهز بن حكيم. قال البغويّ: نزل البصرة. وقال ابن الكلبيّ: أخبرني أبي أنه أدرك بخراسان، ومات بها. وقال ابن سعد: له وفادة وصحبة. وقال البخاريّ: سمع النبيّ ﷺ وزعم الحاكم أن ابنه تفرّد بالرواية عنه. ينظر: الإصابة، لابن حجر (١١٨/٦- ١١٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (٢٠٠١١)، (٢٠٠١٥)، (٢١٩/٣٣)، والترمذي في جامعه رقم (٣٠٠١)، (٧٦/٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٣٦٧)، وابن ماجه في سننه (٤٢٨٧)، (٤٢٨٨)، (٣٤٩/٥) من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه معاوية بن حيدة ﷺ، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره.

بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر: ٣٢ "](١).

فيلاحظ في هذا المثال أن الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ دفع هذا التوهم، وجمع بين الآيتين بالاعتماد على هذا الحديث.

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن من لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر، وما يفهم منه خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾[الأنفال: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن المؤمن الذي لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر، فنفى هنا الولاية بينهما إذا لم يتحقق شرط الهجرة، والآية الثانية تدل على ثبوت الولاية بين المؤمنين، و لم يشترط الهجرة.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتوهم: "هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر، وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ فإنها تدل على ثبوت الولاية بين المؤمنين وظاهرها العموم"(٢).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ لدفع هذا التعارض المتوهم وجهين، ورجح الجمع

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٥٣- ٥٤).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٢٠).

بينهما، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب من وجهين: الأول: أن الولاية المنفية في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ هي ولاية الميراث؛ أي: ما لكم شيء من ميراثهم حتى يهاجروا؛ لأن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالمؤاخاة..."، وذكر أن هذا الجمع مروي عن بعض الصحابة والتابعين، ثم بين معنى الولاية في الآية الثانية، فقال: "والولاية في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ ولاية النصر والموازرة والتعاون والتعاضد؛ لأن المسلمين كالبنيان يشد بعضه بعضًا..."، ثم بين أن هذه الولاية لم تقصد في الآية الأولى، بدليل أنه سبحانه صرح في الآية التي بعدها بثبوت ولاية النصرة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فدل على أن الولاية المنفية في الأولى غير الولاية المثبة في الآية الثانية، وختم هذا الوجه بقوله: "فظهر أن الولاية المنفية غير المثبتة فارتفع الإشكال"(١).

ثم شرع في ذكر الوجه الثاني، فقال: "الثاني:...أن معنى ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، يعني: لا نصيب لكم في المغانم ولا خمسها إلا فيما حضرتم فيه القتال".

وقد أشار إلى أن ابن كثير اقتصر على هذا الوجه واستدل عليه بالحديث: "...ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين..."(٢).

فقال: " الثاني: هو ما اقتصر عليه ابن كثير...أن معنى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يعني: لا نصيب لكم في المغانم ولا في خمسها إلا فيما حضرتم في القتال"، ثم ختم هذا الوجه بقوله: "وعليه فلا إشكال".

وبعد بيانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذين الوجهين اللذين دفعا بهما هذا التوهم ختم كلام بما يفهم منه

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٢١).

(٢) ونصه عند مسلم: "كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية... الحديث" ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث رقم (١٧٣١)، (٣/١٣٥٧)، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٢١) حاشية (٥).

الترجيح، فقال: "ولا مانع من تناول الآية للجميع، فيكون المراد بها نفي الميراث بينهم، ونفي القسم لهم من الغنائم والخمس"(١).

فيلاحظ في هذا المثال، عند ذكره للوجه الثاني؛ أنه وظف الحديث واعتمد عليه في الجمع بين الآيتين فدفع به التعارض المتوهم بينهما.

المثال الثالث:

الجمع بين ما يدل على أن الضالين يحملون أوزارهم كاملة، ويحملون- أيضًا- من أوزار الأتباع الذين أضلوهم، وما يدل على أنه لا يحمل أحد وِزْرَ غيره.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾ الآية [النحل: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤، والإسراء:١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الضالين يحملون أوزارهم وأوزار الذين أضلوهم يوم القيامة.

والآية الثانية تدل على أنه لا أحد يحمل وزر أحد يوم القيامة.

قال الشيخ الشنقيطي بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن هؤلاء الضالين يحملون أوزارهم كاملة، ويحملون- أيضًا- من أوزار الأتباع الذين أضلوهم. وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه لا يحمل أحد وزر غيره، كقوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ [فاطر: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤، والإسراء:١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧]"(٢).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٢١).

(٢) المصدر السابق ص (٢٥٥).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

دفع الشيخ الشنقيطي هذا التوهم بالاعتماد على حديث النبي ﷺ لكنه ذكره بالمعنى، ولم يذكره نصًا فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب أن هؤلاء الضالين ما حملوا إلا أوزار أنفسهم، لأنهم تحملوا وزر الضلال ووزر الإضلال(١)؛ فمن سن سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا... وبهذا يزول الإشكال أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣]"(٢).

ومما سبق ذكره من الأمثلة في هذا المبحث يتبين كيف سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المسلك في دفع توهم التعارض ووظف حديث الرسول ﷺ في الدفع بالاعتماد عليه (٣).

ثالثًا: دفع توهم التعارض والاختلاف بأقوال الصحابة والتابعين:

☐أ- الصحابة:

للصحبة منزلتها العظمى في الإسلام، ولها شرف لا يخفى على كل مسلم. إذ يكفي فيها أنها تعني لقيا رسول الله ﷺ؛ ولذا كان للصحبة مكانة خاصة في ميزان المسلمين بعدهم.

الصحابة- رضوان الله عليهم- خيرة الله-سبحانه- لرسوله ﷺ جعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، وهم أرق الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأبعدهم عن التكلف، حفظ الله بهم الدين ونشره بهم في العالمين، وكانوا في علمه بين مُكثر ومُقلّ.

وقد أشار شيخ الإسلام إلى بعض أسباب الرجوع إلى تفسير الصحابي بقوله: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى

---

(١) نص الحديث: قول الرسول ﷺ: "من سن في سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء". مسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث رقم: (١٠١٧)،(٢/ ٧٠٥).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٥٥- ٢٥٦).

(٣) للمزيد من الأمثلة، ينظر: (٢٣٠- ٢٣٥)، (٢٥٥- ٢٥٦)، (٢٧٤- ٢٧٦).

بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح"(١). وهي:

١- مشاهدة التزول، وتلك خصيصة لا يمكن أن تكون لغيرهم، والذي يحضر هذه التزلات ويشاهدها، يدرك ما لا يدركه من فقد ذلك.

٢- الأحوال التي اختصوا بها، وهذه الأحوال مجملة، وهي تشتمل على حالين:

الأولى: الأحوال التي لا يشاركهم فيها غيرهم بسبب رؤيتهم للنبي ﷺ.

الثانية: الأحوال المشتركة التي شاركهم فيها غيرهم ممن جاء بعدهم لكن من بعدهم أقل شأنا منهم.

٣- الفهم التام والعلم الصحيح، وهذا ظاهر باستقراء علمهم، وتتبع دقيق فهمهم، وتلك أيضًا من آثار مشاهدة التتريل، ومعرفة أحوال النبي ﷺ، ومعاشرته، والأخذ عنه مباشرة، مع ما لهم من العلم بلغتهم، والاستعداد الفطري للعلم والتعلم(٢).

فالمصير إلى تفاسير الصحابة هو بعد التفسير بالقرآن والسنة.

ب- التابعون:

تفسير التابعين للقرآن الكريم له مترلة ومزية خاصة، ويأتي في المرتبة الرابعة بعد تفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ ويرجع قيمة تفسيرهم من الناحية العلمية إلى عدة أسباب، وقد طَرَقَ شيخ الإسلام في هذا الموضوع سبب الرجوع إلى تفسير التابعين، وهو رجوع كثير من الأئمة إلى تفسيرهم، وهذا- بلا شك- سبب مهم ويضاف إليه ثلاثة أسباب:

١- تلقيهم العلم على يد الصحابة الذين شاهدوا التتريل، وعرفوا أحوال من نزل فيه الخطاب، وتلقوا علمهم عن النبي ﷺ.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ص(٤٠).

(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير باختصار، د. مساعد الطيار (٢٨٧- ٢٨٨).

٢- خلوهم من البدع والأهواء، فلم يكونوا شيعًا وأحزابًا، بل كانوا متفقين على أصول أهل السنة والجماعة.

٣- ائتلاف أقوالهم، وقلة الاختلاف في التفسير بالنسبة لمن جاء بعدهم، وهذا يرجع إلى ما سبق أن ذكره شيخ الإسلام بقوله: "ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلٌ جدًا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة لمن جاء بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر"[١].

٤- عدم فساد ألسنتهم بالعجمة، فكانوا في وقت الاحتجاج اللغوي، بل بعضهم كان من الحُجَج اللغوية التي يُرجع إلى قولهم في بيان كلام العرب[٢].

وقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسلك الجمع بين ما يتوهم تعارضه من الآيات بالاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم- في الآيات:

أولا: أقوال الصحابة:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن الكفار لا يكتمون من خبرهم شيئًا يوم القيامة، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[النساء:٤٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾[النحل:٢٨].

وقوله تعالى: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾[غافر:٧٤].

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ص(١٠).

(٢) ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، د. مساعد الطيار (٢٨٩- ٢٩٠).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الكفار لا يستطيعون إخفاء شيء مما يُطلب منهم بيانه ولا يكتمون من خبرهم شيئًا يوم القيامة.

والآية الثانية والثالثة والرابعة تدل على خلاف ذلك وأنهم يكتمون، فظاهر هذه الآيات يخالف ظاهر الآية الأولى.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتعارض بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية تدل على أن الكفار لا يكتمون من خبرهم شيئًا يوم القيامة، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل:٢٨]، وقوله: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤]"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد التحرير لوجه الإشكال والتعارض وجهين لدفعه:

الأول: وهو المقصود من ذكر هذا المثال، وهو قول لابن عباس رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ووجه الجمع في ذلك: هو ما بينه ابن عباس رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وهو أن ألسنتهم تقول: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون"(٢).

ثم زاد رَحِمَهُ اللَّهُ الوجه توضيحًا وبين أن كتم الحق الوارد في الآيات باعتبار اللسان- وعدمه باعتبار الأيدي والأرجل، وأن هذا الجمع بين الآيات بهذين الاعتبارين يشير إليه قوله

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا بصيغة الجزم في كتاب التفسير (٦/ ١٢٧- ١٢٨)، (٦/١٢٧)، وينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٤٤).

تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[يس:٦٥].

ثم ذكر الوجه الثاني، ولم يرجح في هذه المسألة وجهًا من الوجوه وختم بقوله: "والعلم عند الله تعالى"(١).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يتوهم منه الجاهل أن إنذاره ﷺ مخصوص بأم القرى وما يقرب منـــها، وما يصرح بعموم إنذاره ﷺ لجميع الناس.

الآيات:

قولـــه تعـــالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام:٩٢].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان:١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الإنذار من الرسول ﷺ خاص بأهل مكة وما قرب منها دون ما بعُدَ عنها لقوله: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾، والآية الثانية تدل على عموم إنذاره للعالمين، إلى الثقلين الإنس والجن.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتعارض بعد ذكره للآية الأولى: "يتوهم منه الجاهل أن إنذاره ﷺ مخصوص بأم القرى وما يقرب منها؛ دون الأقطار النائية عنها لقوله تعالى:﴿وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ونظيره قوله تعالى في سورة "الشورى": ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الشورى:٧].

وقد جاءت آيات أخر تصرح بعموم إنذاره ﷺ لجميع الناس كقوله تعـــالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ...وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً ﴾ الآيــة [سبأ:٢٨]"(٢).

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٤٤).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٨٩-١٩٠).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التعارض المتوهم وجهين؛ والشاهد من هذا المثال هو الوجه الأول، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب من وجهين:

الأول: أن المراد بقوله: (ومن حولها) شامل لجميع الأرض كما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس"[١].

فيلاحظ في هذين المثالين أنه رَحِمَهُ اللَّهُ دفع توهم التعارض بين الآيات بالاعتماد على قول الصحابي في الآية، والصحابي في هذين المثالين: هو عبد الله بن عباس، حبر هذه الأمة وترجمان القرآن، وقد دفع التوهم في أمثلة أخرى بأقوال غيره من الصحابة.

ثانيا: أقوال الصحابة والتابعين مجتمعة:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن كل الناس لابد لهم من ورود النار، وما يدل على أن بعض الناس مبعد عنها لا يسمع لها حسًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].

بيان وجه توهم التعارض:

الآية الأولى تدل بظاهرها على أن ورود كل الناس النار قضاءٌ مبرمًا قضاه الله، ولا رادّ

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٣٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٤)، والحديث إسناده ضعيف؛ كون علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير. ينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي، وتحقيقه: لعبد الله الحاشدي، للحديث رقم (٦٨)، (١/١١٨، ١١٩، ٢/٢٤)، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٩٠).

لقضائه، والآية الثانية تدل على أن هناك بعض الناس مبعد عن النار لدرجة أنه لا يسمع لها حسًّا.

قال الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- في تحريره وجه الإشكال والتعارض بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن كل الناس لا بد لهم من ورود النار، وأكد ذلك بقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، وقد جاء في آية أخر ما يدل على أن بعض الناس مبعد عنها لا يسمع لها حسًّا، وهي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التعارض المتوهم ثلاثة أوجه، والشاهد من هذه الأوجه، الوجه الثالث، وهو ما روي عن ابن مسعود والحسن وقتادة، بأن معنى الورود: المرور عليها من غير دخول فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لأن الناس تمرُّ على الصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم"[٢]، وعن الحسن: "الورود: المرور عليها من غير دخول، وروى ذلك أيضًا عن قتادة"[٣].

يتبين من هذا المثال اعتماد الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع توهم التعارض الظاهري بين الآيتين على قول ابن مسعود والحسن وقتادة- رضي الله عنهم ورحمهم- في تفسيرهم لمعنى الورود في الآية الأولى.

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل بظاهره على أن المؤمنين لم يؤمروا بقتال الكفار إلا إذا قاتلوهم، وما يدل على وجوب قتال الكفار مطلقًا.

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٧٨).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٧٩- ٢٨٠).

(٣) المصدر السابق ص (٢٨٠).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ الآية [البقرة: ١٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة: ٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يدل ظاهرها على أنهم لم يؤمروا بقتال الكفار إلا إذا قاتلوهم، والآية الثانية والثالثة تدل على خلاف ذلك، وأنهم مأمورون بقتال الكفار مطلقًا، سواء قاتلوهم أم لم يقاتلوهم.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض بعد ذكره للآية الأولى:"هذه الآية تدل بظاهرها على أنهم لم يؤمروا بقتال الكفار إلا إذا قاتلوهم، وقد جاءت آيات أخر تدل على وجوب قتال الكفار مطلقًا قاتلوا أم لا، كقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾، وقوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [الفتح: ١٦]"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع توهم هذا التعارض ثلاثة أوجه ورجح الوجه الثالث، بقوله: (ويظهر لي أنه الصواب)، وهو اختيار ابن جرير أن الآية محكمة وذكر معناها وذكر من فسرها بهذا المعنى من الصحابة والتابعين.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا بأمور:...الوجه الثالث: وهو اختيار ابن جرير، ويظهر لي أنه الصواب، أن الآية محكمة وأن معناها: قاتلوا الذين يقاتلونكم، أي: من شأنهم

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٨١).

أن يقاتلونكم. أما الكافر الذي ليس من شأنه القتال كالنساء، والذراري، والشيوخ الفانية والرهبان، وأصحاب الصوامع، ومن ألقى إليكم السلم فلا تعتدوا بقتالهم؛ لأنهم لا يقاتلونكم"[١].

واستدل على هذا الوجه بالأحاديث التي جاء فيها النهي الصريح عن قتل الصبي وأصحاب الصوامع والنساء والشيخ الهرم؛ بشرط إذا لم يستعن برأيه، وأما من كان صاحب رأي فيقتل[٢].

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ من فسر هذه الآية بهذا المعنى من الصحابة والتابعين وهم: ابن عباس وعمر بن عبد العزيز[٣]، والحسن البصري- عليهم رضوان الله جميعًا[٤].

فيلاحظ في هذين المثالين أن الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ دفع التعارض المتوهم بين الآيات بأقوال الصحابة والتابعين مجتمعة، رضوان الله عليهم.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٨٢،٨١).

(٢) منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، حديث رقم (٣٠١٥)، (٦١/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، حديث رقم (١٧٤٤)، (٣/١٣٦٤) من حديث عبد الله بن عمر، وفيه: "أن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولةً في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان".
ومنها: ما أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، حديث رقم (٢٦١٤)، (٤/٢٥٦) من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: "انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلا، ولا صغيرًا، ولا امرأة...." الحديث. قال الأرناؤوط: الحديث حسنٌ لغيره.

(٣) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، وولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة (٩٩هـ) فبويع في مسجد دمشق، وسكن الناس في أيامه، فمنع سب علي بن أبي طالب، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به سنة (١٠١هـ)، ومدة خلافته سنتان ونصف. ينظر: طبقات ابن سعد: (٥/٣٣٠)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٥/ ١١٤).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٨٢).

ثالثا: أقوال التابعين:

المثال الأول:

الجمع بين ما يفهم منه أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة على أممهم، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يدل ظاهرها على أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة على أممهم، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك وأن كل نبي يشهد يوم القيامة على أمته.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية يفهم منها أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة على أممهم. وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أنهم يشهدون على أممهم كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩]"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التوهم ثلاثة أوجه، وضعف الأخير منها، ووجه الشاهد من هذا المثال الوجه الثاني، وهو قول جماعة من التابعين: وهذا الوجه هو: أنهم

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٨٤).

قالوا: لا علم لنا؛ لما أصابهم من عظم الهول يوم القيامة، فلما زالت عنهم هذه الشدة شهدوا.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد تحرير وجه الإشكال والتعارض: "والجواب من ثلاثة أوجه:...الثاني: وبه قال مجاهد والسُّدي والحسن البصري، كما نقله عنهم ابن كثير أنهم قالوا: لا علم لنا لما اعتراهم من شدة هول يوم القيامة، ثم زال ذلك عنهم فشهدوا على أممهم"(١).

فالشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دفع توهم التعارض هنا، بقول: مجاهد والسُّدي والحسن البصري- رحمهم الله جميعًا- في الآية.

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن المرتدين بعد إيمانهم المزدادين كفرًا: لا يقبل الله توبتهم إذا تابوا، وما يدل على أن الله يقبل توبة كل تائب قبل حضور الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن المرتدين بعد إيمانهم لن تقبل توبتهم والآية الثانية والثالثة تدل على أن الله يقبل توبة كل تائب بشرط أن تكون هذه التوبة قبل حضور الموت، وقبل طلوع

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٨٤- ١٨٥).

الشمس من مغربها.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتعارض، بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن المرتدين بعد إيمانهم المزدادين كفرًا لا يقبل الله توبتهم إذا تابوا؛ لأنه عبر بـ (لن) الدالة على نفي الفعل في المستقبل، مع أنه جاءت آيات أخر دالة على أن الله يقبل توبة كل تائب قبل حضور الموت وقبل طلوع الشمس من مغربها، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ لأن مفهومه أنه إن تاب قبل الموت قبلت توبته مطلقًا"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي أربعة أوجه لدفع هذا التوهم، ورجح الوجه الثاني بقوله: "وهو أقربها عندي" وممن قال بهذا الوجه: الحسن وقتادة وعطاء الخراساني[٢] والسُّدي. نقله ابن جرير عنهم.

وهو أن قوله تعالى: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ يعني: إذا تابوا عند حضور الموت. واستدل لهذا الوجه بأمرين، فقال: "الأول: أنه تعالى بين في مواضع أخر أن الكافر الذي لا تقبل توبته: هو الذي يصر على الكفر حتى يحضره الموت، فيتوب في ذلك الوقت؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]. فجعل التائب عند حضور الموت والميت على

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٠٩- ١١٠).

(٢) هو: عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني، ولد سنة (٥٠هـ)، ونشأ أول حياته في خراسان، اشتهر بالعلم والفضل والفتوى والجهاد والعبادة والوعظ، وعُرِف بذلك، كان إذا دخل بيته لم يضع ملابسه حتى يأتي مسجد بيته فيصلي ركعتين، وكان معروفاً بالإكثار من قيام الليل، وكان يقول: "مجالس الذِّكر هي مجالس الحلال والحرام"، ويقول: "إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم"، توفي في سنة (١٣٥هـ). ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: (٧/ ٢٦١)، البداية والنهاية، لابن كثير: (٩/ ٢٩٤).

كفره: سواء... فالإطلاق الذي في هذه الآية يقيد بقيد تأخير التوبة إلى حضور الموت لوجوب حمل المطلق على المقيد.

الثاني: أن الله أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ فإنه يدل على عدم توبتهم في وقت نفعها"[١].

ويلاحظ من هذين المثالين كيف وظف الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال التابعين-رحمهم الله جميعا- في دفع هذا التعارض المتوهم بين الآيات.

ومما سبق ذكره: من أمثلة، ومن بيان للوجه الموهم للتعارض، وذكر الجواب عليه، يتبين جانبًا من منهج الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوظيفه لأقوال الصحابة والتابعين ﷺ منفردة ومجتمعة، والاعتماد عليها في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات، التي يوهم ظاهرها ذلك[٢].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١١١- ١١٢).

(٢) ينظر: لمزيد من الأمثلة: (٤٣)، (٦٢)، (٨٥)، (٩١- ٩٢)، (١٢٧- ١٢٨)، (١٥١- ١٥٢)، (١٨١- ١٨٢)، (١٨٨- ١٨٩)، (١٩١)، (١٩٤- ١٩٥)، (٢١٤- ٢١٥)، (٢١٧- ٢١٨)، (٢٣٤- ٢٣٥)، (٢٣٩)، (٢٤٠-٢٤١)، (٢٤٣- ٢٤٤)، (٢٨١- ٢٨٣)، (٢٩٠- ٢٩١)، (٣٠٠- ٣٠١)، (٣٤٦- ٤٤٧)، (٤٥١- ٤٥٤).

المبحث الثالث

الجمع بالاعتماد على علوم القرآن

إن الناظر في كتاب (دفع إيهام الاضطراب) يلحظ مدى عناية الشيخ بهذا بعلوم القرآن الكريم وتوظيفها، في الجمع بين الآيات الموهمة للتعارض بعبارة واضحة تدل على عمق فهمه وسعة علمه واطلاعه، ومن ذلك:

دفعه للتعارض المتوهم بين الآيات بسبب النزول، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وبدلالة السياق، واختلاف الحال، واختلاف الموضع والمكان واختلاف الموضوع، ووقوع المخبر به على أطوار مختلفة وباختلاف جهة الفعل وباعتبارين مختلفين، إلى غير ذلك.

وفيما يلي ذكرٌ لبعض الأمثلة:

أولاً: سبب النزول:

ذكر أهل العلم أن معرفة سبب النزول سبيلٌ لفهم الآية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[(١)].

بل ذكر كثير من أهل العلم: أن معرفة سبب النزول من أسباب إزالة الإشكال الوارد على الآيات.

قال السيوطي: "زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن- يعني معرفة أسباب النوزل- لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك، بل له فوائد....ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال"[(٢)].

لقد سلك الشيخ الشنقيطي هذا المسلك فوظف سبب النزول واعتمد عليه في الجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص (١٦).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٠٧/١) باختصار، مشكل القرآن، للمنصور، ص (٢١١).

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يوهم أن اتخاذ الكفار أولياء إذا لم يكن من دون المؤمنين لا بأس به، وما يدل على منع اتخاذهم أولياء مطلقًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [آل عمران:٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[النساء: ٨٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يوهم ظاهرها جواز اتخاذ الكفار أولياء إذا لم يكن من دون المؤمنين.

والآية الثانية تدل على منع اتخاذ الكافرين أولياء مطلقًا.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض -بعد ذكره للآيـــة الأولى-: "هذه الآية الكريمة توهم أن اتخاذ الكفار أولياء، إذا لم يكن من دون المؤمنين، لا بأس بـــه بدليل قوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد جاءت آيات أخر تدل على منع اتخاذهم أولياء مطلقًا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾..."(١).

وجوه دفع إيهام التعارض والاختلاف:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهًا واحدًا لدفع هذا التوهم، فجمع بين هاتين الآيتين التي ظاهرهما يوهم التعارض، بالاعتماد على سبب نزول الآية، مع ما هو متقرر في علم الأصول، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب عن هذا أن قوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا مفهوم له. وقد تقرر في علم الأصول أن دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة له موانع تمنع اعتباره، منها: كون تخصيص المنطوق بالذكر لأجل موافقته للواقع، كما في هذه الآية؛ لأنها نزلت في قوم والوا اليهود دون المؤمنين، فنزلت ناهية عن هذه الصورة الواقعة(٢)؛ من غير قصد التخصيص بها، بل موالاة الكفار حرام مطلقًا، والعلم عند الله تعالى"(٣).

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٩٦).

(٢) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص (١٠٤- ١٠٥).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٩٦).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن لكفار مكة أمانين يدفع عنهم العذاب بسببهما، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[الأنفال: ٣٤].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على دفع العذاب عن كفار مكة بسبب وجود الرسول ﷺ فيهم واستغفارهم.

والآية الثانية تدل على خلاف ذلك، وأنه لا يوجد شيء يمنع من عذابهم وقد ارتكبوا ما يوجب العذاب مما ذكر في الآية.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتوهم- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل على أن لكفار مكة أمانين يدفع الله عنهم العذاب بسببهما:

أحدهما: كونه ﷺ فيهم؛ لأن الله لم يهلك أمة ونبيهم فيهم.

والثاني: استغفارهم الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[الأنفال: ٣٤] يدل على خلاف ذلك"(١).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٢١٤).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

دفع الشيخ الشنقيطي هذا التوهم وذكر أربعة أوجه، واعتمد في الوجه الثاني في الجمع بين الآيتين على سبب نزول الآية الأولى فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "الوجه الثاني: أن المراد بقوله: "يستغفرون" استغفار المؤمنين المستضعفين بمكة...وحاصل هذا القول: أن كفار مكة لما قالوا: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢] أنزل الله قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ثم لما هاجر النبي ﷺ بقيت طائفة من المسلمين بمكة يستغفرون الله ويعبدونه، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فلما خرجت بقية المسلمين من مكة أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٤] [١]؛أي: أي شيء ثبت لهم يدفع عنهم الله، وقد خرج النبي ﷺ والمؤمنون من بين أظهرهم"[٢].

ثم رجح رَحِمَهُ اللَّهُ الوجه الأول والثاني، فقال: "وأظهر هذه الأقوال الأولان منهما"[٣][٤].

ثانيًا: العام والخاص:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وفي اللغة العربية لغة القرآن الكريم صيغ عامة، تشمل جماعة المخاطبين، وفيها ألفاظ خاصة، وأحيانًا يكون اللفظ عامًّا ويراد به الخصوص، والعكس كذلك. و في القرآن الكريم كذلك صيغ تفيد العموم ويراد بها العموم، وألفاظ تفيد الخصوص ويراد بها الخصوص، وألفاظ تفيد العموم إلا أنه يراد بها الخصوص، وألفاظ تفيد الخصوص إلا أنه يراد بها العموم، والقرائن هي التي توضح ذلك وتزيل اللبس، ويبقى بعد ذلك ألفاظ هي موضع خلاف بين العلماء تؤثر في استنباط بعض الأحكام.

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص (٢٣٩).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢١٥- ٢١٧).

(٣) المصدر السابق، ص (٢١٩).

(٤) لمزيد من الأمثلة، ينظر: المصدر السابق، ص (١٢٨، ٣١٥).

وهذا يظهر مكانه علم (العام والخاص) وأثره في استنباط الأحكام؛ لذا بُسطت مباحثه في كتب أصول الفقه خاصة، ونظرًا لتعلق الاستنباط بآيات القرآن فقد درسه أيضًا أرباب العلوم القرآنية، وأفردوه بمباحث خاصة في بطون مؤلفاتهم[1].

لقد وظف الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا العلم (العام والخاص) من علوم القرآن، واعتمد عليه، في الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، وذلك بتخصيص العام بالخاص.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل بظاهره على أن كل مطلقة تعتد بالأقراء، وما يدل على أن بعض المطلقات لا عدة عليهن أصلا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ الآية [الأحزاب: ٤٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن كل مطلقة تعتد بالأقراء.

وفي الآية الثانية تدل على أن المطلقة الحامل تعتد بوضع الحمل.

والآية الثالثة تدل على أن المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها أصلا.

قال الشيخ الشنقيطي محررًا وجه الاشكال -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية

(١) دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي، بتصرف يسير، ص (٥٢٦).

الكريمة تدل بظاهرها على أن كل مطلقة تعتد بالأقراء، وقد جاء في آيات أخر أن بعض المطلقات يعتد بغير الأقراء، كالعجائز والصغائر المنصوص عليها بقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الطلاق:٤] وكالحوامل المنصوص عليها بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ مع أنه جاء في آية أخرى أن بعض الزوجات لا عدة عليهن أصلا، وهن المطلقات قبل الدخول، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ الآية[الأحزاب: ٤٩]"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

اقتصر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التوهم على وجه واحد، وهو الجمع بين هذه الآيات بالاعتماد على تخصيص العام، فالآية الأولى حكمها عام، وهي أن كل مطلقة تعتد بالأقراء، والآية الثانية والثالثة حكمها خاص، فتخصص عموم حكم الآية الأولى.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا ظاهر، وهو أن آية: (والمطلقات) عامة، وهذه الآيات أخص منها؛ فهي مخصصة لها، فهي إذًا من العام المخصوص"(٢).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن استغفار الملائكة لأهل الأرض خاص بالمؤمنين. وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشورى: ٥].

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٨٧- ٨٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٨٨).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن استغفار الملائكة للمؤمنين.

والآية الثانية تدل على استغفار الملائكة لجميع من في الأرض كافرهم ومؤمنهم.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل على أن استغفار الملائكة لأهل الأرض خاص بالمؤمنين منهم، وقد جاءت آية أخرى يدل ظاهرها على خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [الشورى: ٥]"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ للجمع بين هاتين الآيتين وجهًا واحدًا وهو أن آية غافر خاصة وآية الشورى عامة فيحمل العام على الخاص، فآية غافر مخصصة لآية الشورى. قال الشيخ الشنقيطي: "والجواب: أن آية "غافر" مخصصة لآية "الشورى"، والمعنى: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين؛ لوجوب تخصيص العام بالخاص"(٢)(٣).

ثالثًا: المطلق والمقيد:

جاءت بعض نصوص الأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية مطلقة غير مقيدة بشرط أو وصف أو غير ذلك، وجاء بعضها مقيدًا بوصف أو شرط أو غيرهما. وقد يكون هناك لقاء بين النصين في سبب الحكم، أو في الحكم نفسه أو كليهما.

والأصل في المطلق أن يبقى على إطلاقه، إلا إذا صح الدليل على تقييده؛ لأن الإطلاق لحِكمة كما أن التقييد لحِكمة، وفي كل منها رعاية لمصلحة العباد في الدنيا والآخرة.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٣٣٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٣٦).

(٣) لمزيد من الأمثلة، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٦، ٧٧، ٨٦، ٨٧، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٥١، ٣١٤، ٣٦٥، ٣٩٤، ٤١٧، ٥٠٤).

والدليل على تقييد المطلق أحيانًا يكون بالنص، وهذا ظاهر لا خلاف فيه، وأحيانًا لا يصرح بالقيد، وإنما تدل عليه الأحوال والقرائن من نصوص أخرى جاءت مقيدة، ومن العلماء من يحمل المطلق منها على المقيد، ومنهم من لا يحمله، وعلى هذا قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "اللفظ بين في مقصوده ويحتمل في غير مقصوده"[(١)] وهو ما يدرسه العلماء في باب المطلق والمقيد في كتب الأصول وعلوم القرآن والحديث. والمطلق على إطلاقه حتى يثبت ما يقيده[(٢)].

ولقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ مسلك الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض بالاعتماد على العلم (المطلق والمقيد) فدفع هذا التوهم بحمل المطلق على المقيد.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على حرمة أنواع الدم، وما يدل على عدم حرمته إلا إن كان مسفوحًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾الآية [البقرة: ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾الآية [الأنعام: ١٤٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يدل ظاهرها على حرمة جميع أنواع الدم.

والآية الثانية تدل على أن الدم لا يحرم إلا إذا كان مسفوحًا.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية تدل بظاهرها على أن

---

(١) البرهان، للزركشي (٢/ ١٨).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن، أ.د.فهد الرومي ص (٥٥٧)، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د.مصطفى الخن، ص (٢٤٦).

جميع أنواع الدم حرام، ومثلها قوله تعالى في سورة "النحل": ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ الآية [النحل: ١١٥]، وقوله تعالى في سورة "المائدة": ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ الآية [المائدة: ٣].

وقد ذكر في آية أخرى ما يدل على أن الدم لا يحرم إلا إذا كان مسفوحًا، وهي قوله تعالى في سورة "الأنعام": ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾الآية [الأنعام: ١٤٥]"[١].

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

لقد دفع الشيخ الشنقيطي هذا التعارض المتوهم بين الآيات فجمع بينهما بحمل الآية الأولى المطلقة على الآية الثانية المقيدة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ : "والجواب أن هذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد، والجاري على أصول مالك والشافعي وأحمد: حمل المطلق على المقيد، لا سيما مع اتحاد السبب[٢]، كما هنا، وسواء عندهم تأخر المطلق عن المقيد-كما هنا- أو تقدم"[٣].

المثال الثاني:

الجمع بين تقييد الرقبة المعتقة في كفارة القتل الخطأ بالإيمان، وإطلاق الرقبة التي في كفارة الظهار واليمين عن قيد الإيمان.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٧١).

(٢) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، أ.د. وهبة الزحيلي (١/ ٢٠٧- ٢١٣)، وأثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د. مصطفى الخن، ص (٢٤٨- ٢٥٠).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٧١).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

في الآية الأولى قيد الرقبة في كفارة القتل الخطأ بوصف الإيمان.

وفي الآية الثانية لم يقيد الرقبة في كفارة الظهار واليمين بوصف الإيمان.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض لهذه الآيات- بعد ذكره للآية الأولى-:" قيد في هذه الآية الرقبة المعتقة في كفارة القتل خطأ بالإيمان، وأطلق الرقبة التي في كفارة الظهار واليمين حيث قال في كل منهما: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ و لم يقل: مؤمنة"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي في بداية الجمع تحرير هذه المسألة، وأنها من مسائل تعارض المطلق والمقيد، ثم شرع في ذكر حالات المطلق والمقيد، وذكر عند الحالة الثانية: أن يتحد الحكم ويختلف السبب، كما في هذه الآيات، وبين أن المطلق يحمل على المقيد. فجمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين هذه الآيات بحمل المطلق ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ على المقيد ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فلا تعارض بين الآيات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " الثاني: أن يتحد الحكم ويختلف السبب، كما في هذه الآية...ومثل هذا المطلق يحمل على المقيد...لذا أوجبوا الإيمان في كفارة الظهار حملا للمطلق على المقيد"[٢] [٣].

رابعًا: النظر في السياق ودلالته:

جاء في المعجم الوسيط: "سياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه"[٤].

ويعرف دلالة السياق بأنها: "فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده"[٥].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (١٤٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٤٧).

(٣) لمزيد من الأمثلة، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (١١١، ١١٢).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (سَوَقَ)، ص (٤٦٥).

(٥) السياق القرآني وأثره في التفسير من خلال تفسير ابن كثير، عبدالرحمن المطيري ص (٦٤٠).

أو "بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها"[١].

فالسياق القرآني إذن: "تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.

ويكون دلالة السياق القرآني: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرانية المترابطة"[٢]

للسياق القرآني أهميته الكبرى في بيان المراد من الآية ودفع الإشكال.

قال مسلم بن يسار" إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[٣].

وقد أشار الزركشي إلى ذلك مبينًا أهميته ودلالاته في بيان المعنى عند الإشكال، حيث يقول:

"ومما يعين على المعنى عند الإشكال أمور:...الرابع: دلالة السياق، فدلالة السياق تعين على بيان المعنى ومعرفة المراد وأن الغفلة عنه يقود إلى إشكالات، ولقد اعتنى به كثير من المفسرين في تفاسيرهم"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:"...فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج"[٥].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الأمور المعينة على فهم المراد من القرآن: "فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله-أي القرآن- من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه"[٦].

---

(١) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي، أحمد لافي المطيري، ص (١٤).

(٢) السياق القرآني وأثره في التفسير من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن المطيري، ص (٧١-٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٤/١٣)، تفسير ابن كثير (١٣/١).

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٢٠٠)، باختصار.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٩٤/١٥).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، ص (٣٠).

ومن الطرق التي سلكها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع توهم التعارض بين الآيات مسلك الجمع بالنظر والاعتماد على دلالة السياق القرآني، فإن إدخال الكلام في معاني ماقبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له، كما هي القاعدة المعروفة في ذلك[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن موسى وهارون رسولان، وما يوهم كون الرسول واحد.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ الآية [طه: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل أن موسى وهارون رسولان إلى فرعون وقومه ﴿رَسُولَا رَبِّكَ﴾.

والآية الثانية يوهم ظاهرها أن الرسول واحد ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ذكر الشيخ الشنقيطي وجه الإشكال والتعارض بين الآيتين فقال- بعد ذكره للآية الأولى-:"يدل على أنهما رسولان، وهما موسى وهارون، وقوله تعالى: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يوهم كون الرسول واحد"[2].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التوهم وجهان، واعتمد في الوجه الأول على دلالة سياق الآية، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "والجواب من وجهين: الأول: أن معنى قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (١/١١١).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٢٩١).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: كل واحد منا رسول رب العالمين...وإنما ساغ هذا لظهور المراد من سياق الكلام"[١].

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن الكافر إذا لم يقاتل المؤمن في الدين و لم يخرجه من داره: لا يحرم بره والإقساط إليه، وما يدل على منع موالاة الكفار وموادتهم مطلقًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ الآية[الممتحنة: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الممتحنة: ٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الكفار الذين لم يقاتلون المسلمين بسبب إسلامهم و لم يخرجوهم من ديارهم لا يحرم على المسلمين الإحسان إليهم وبرهم.

والآية الثانية تدل على منع موالاة الكفار وموادتهم مطلقًا.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الكافر إذا لم يقاتل المؤمن و لم يخرجه من داره: لا يحرم بره، والإقساط إليه، وقد جاءت آية أخرى تدل على منع موالاة الكفار وموادتهم مطلقًا. كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]"[٢].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٢٩١ -٢٩٢).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤١٥).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهين لدفع هذا التوهم، الوجه الأول: القول بالنسخ، والوجه الثاني وهو الشاهد من إيراد هذا المثال، اعتمد فيه على دلالة السياق للجمع بين الآيات، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب هو:...وعلى القول بأنها محكمة، فوجه الجمع مفهوم منها؛ لأن الكافر الذي لم ينه عن بره والإقساط إليه مشروط فيه: عدم القتال في الدين، وعدم إخراج المؤمنين من ديارهم، والكافر المنهي عن ذلك هو المقاتل في الدين المخرج للمؤمنين من ديارهم، المظاهر للعدو على إخراجهم"[1].

وختم هذا الوجه برد العلم لله فقال:" والعلم عند الله"[2]

فسياق آية سورة الممتحنة والتي بعدها يدفع هذا التوهم.

خامسًا: اختلاف الحال[3]:

لقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسلك الجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض بالاعتماد على اختلاف الحال، بمعنى أن كلا منهما مسوق لحالة تختلف عن الأخرى..

و الأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على طلب الانتقام والإذن فيه، وما يدل على العفو وترك الانتقام.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٩٤].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٤١٥، ٤١٦).

(٢) لمزيد من الأمثلة، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٣٧، ٥٣، ٥٤، ١١٢، ٢٢٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٩٣، ٣١٩، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٢٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٨٧، ٥٠٢، ٥٠٤).

(٣) سبق بيان المراد منه: في المبحث الرابع، من الفصل الأول، عند ذكر أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات، ص (٨٥).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على الإذن في الانتقام وطلبه.

والآية الثانية والثالثة تدلان على مشروعية العفو والندب إليه وترك الانتقام.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره الآية الأولى-: "هذه الآية تدل على طلب الانتقام، وقد أذن الله في الانتقام في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية [الشورى: ٤١، ٤٢]... وقد جاءت آيات أخرى تدل على العفو وترك الانتقام؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[الحجر: ٨٥]، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وكقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ..."[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التوهم وجهان، والوجه الثاني اعتمد فيه على الجمع باختلاف الحال- وبيانه على حسب حال المعتدي، فأحيانًا يحسن الانتقام ولا يحسن العفو، وفي أحيان أخرى يحسن عكس ذلك.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا بأمرين:... الثاني: أن الانتقام له مواضع يحسن فيه، والعفو له مواضع يحسن كذلك"، وضرب مثالا ليتضح هذا الوجه، فقال: "وإيضاحه: أن من المظالم ما يكون في الصبر عليه انتهاك حرمة الله، ألا ترى أن من غصبت منه جاريته- مثلاً- إذا كان الغاصب يزني بها فسكوته وعفوه عن هذه المظلمة قبيح،

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٨٣).

وضعف وخور تنتهك به حرمات الله، فالانتقام في مثل هذا واجب...بخلاف من أساء إليه بعض إخوانه المسلمين بكلام قبيح ونحو ذلك، فعفوه أحسن وأفضل"، واستشهد على هـــذا الوجه ببيت شعر لأبي الطيب المتنبي[1]:

إِذَا قِيلَ حِلْمٌ فَلِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ** وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ[2].

المثال الثاني:

دفع ما بين وصف الشيطان بأنه وسواس وبأنه خناس من التنافي.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾[الناس: ٤].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

في هذه الآية جاء وصفين للشيطان متنافيين: كثرة الوسوسة لإضلال الناس: وكثـــرة الرجوع والتأخر عن إضلال الناس.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض -بعد ذكره للآية-: "لا يخفى ما بين هذين الوصفين اللذين وصف بهما هذا اللعين الخبيث من التنافي؛ لأن الوسواس كثير الوسوسة ليضل بها الناس، والخناس كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس"[3].

(١) هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب، المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور، ولد سنة (٣٠٣هـ)، وهو من أهل الكوفة، وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وشعره في النهاية، والناس في شعره على طبقات: فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه، قتل سنة (٣٥٤هـ). ينظر: [وفيات الأعيان، لابن خلكان: (١/ ١٢٣)، لسان الميزان، لابن حجر: (١/ ٤٤٠)].

(٢) شرح ديوان المتنبي، للواحدي ص (٣٦).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٥٠٥).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التعارض المتوهم في الآية وجهًا واحدًا، وبيانه أنه جمع بين هذين الوصفين على حسب حال العبد ذكرًا وغفلة، فإذا كان العبد غافلا عن ذكر الله فإنه يتسلط ويوسوس، وإذا كان العبد ذاكرًا لربه فإنه يخنس ويتأخر ويرجع عن الوسوسة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب أن لكل مقام مقالا، فهو وسواس عند غفلة العبد عن ذكر ربه، خناس عند ذكر العبد ربه" واستشهد بالقرآن على ما ذهب إليه من جمع فقال: "كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية [النحل: ٩٩]"[1].

سادسًا: اختلاف الموضع والمكان[2]:

لقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ مسلك الجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض بالاعتماد على الجمع باختلاف الموضع والمكان للآية أو الآيات، بمعنى: أن لكل آية موضع ومكان يختلف عن الأخرى.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن أهل النار لا ينطقون ولا يعتذرون، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٥٠٥)، ولمزيد من الأمثلة، ينظر: (٥٩، ٣١٢، ٣٤٩، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٣٠، ٤٥٥).

(٢) سبق بيانه: في المبحث الرابع، من الفصل الأول، عند ذكر أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات، ص (٧٤).

وقوله: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن أهل النار لا يتكلمون ولا ينطقون فلا يعتذرون.

والآية الثانية والثالثة والرابعة تدل على خلاف ذلك فهم ينطقون ويتكلمون ويعتذرون كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل على أن أهل النار لا ينطقون ولا يعتذرون. وقد جاءت آيات تدل على أنهم ينطقون ويعتذرون كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾...إلى غير ذلك من الآيات"[(١)].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع توهم هذا التعارض ثلاثة أوجه، وذكر أن الوجه الثالث يرجع إلى الوجه الأول:

واعتمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوجه الأول على الجمع بين الآيات باعتبار اختلاف الموضع والمكان. ففي مواضع وأماكن ينطقون فيعتذرون، وفي أماكن أخرى لا ينطقون ولا يعتذرون، فقال: "والجواب عن هذا من أوجه: الأول: أن القيامة مواطن، ففي بعضها ينطقون وفي بعضها لا ينطقون"[(٢)].

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٤٠).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٤٠)، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجمع بين الآيات: "والجواب بصفة عامة: أن ما ورد عليك مما يكون يوم القيامة أو من أوصاف يوم القيامة ما ظاهره التعارض، فاعلم أنه لا تعارض فيه سواء كان ذلك في وصف اليوم أو في وصف المحشورين أو في وصف العذاب فإنه لا يمكن أن يكون فيه التعارض أبدًا... لماذا؟ لأنه يوم طويل مقداره خمسين ألف سنة فيمكن أن يتغير فيه الأحوال أوّله للناس حالٌ وآخره للناس حال...". ينظر: تفسير القرآن الكريم، سورة غافر لابن عثيمين آية (٥٢)، وجهود =

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل بظاهره على أن الجبال يظنها الرائي ساكنة وهي تسير، وما يدل على أن الجبال راسية.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يدل ظاهرها على أن الجبال يراها الرَّائي ثابتة لا تتحرك، وهي في واقع الأمر تسير مسرعة سير السحاب.

والآية الثانية والثالثة تدل على أن الجبال ثابتة في محلها، لا تتحرك، ولا تميل، ولا تضطرب.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية تدل بظاهرها على أن الجبال يظنها الرائي ساكنة وهي تسير، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الجبال راسية، والراسي هو الثابت في محله، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾، وقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾..."[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي بعد تحريره لوجه الإشكال والتعارض بين الآيات وجهًا واحدًا، وهو: الجمع باختلاف الموضع والمكان، فسير الجبال في الآخرة. أما جعل الجبال ثابتة على

الشيخ ابن عثيمين وآراءه في التفسير وعلوم القرآن، أ. د. أحمد البريدي، ص (٢٧٩).

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٢٨).

الأرض لا تتحرك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ فهذا في الدنيا.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجمع بين الآيات: "ووجه الجمع ظاهر وهو: أن قوله: ﴿أَرْسَىٰهَا﴾ في الدنيا، وقوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ يعني: في الآخرة، بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النمل: ٨٧]. ثم عطف على ذلك قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ الآية، واستدل على هذا الوجه بالقرآن فقال: "ومما يدل على ذلك: النصوص القرآنية على أن سير الجبال يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] "[1][2].

سابعًا: اختلاف الموضوع[3]:

من المسالك التي سلكها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، الجمع بالاعتماد على اختلاف الموضوع، وأن لكل آية موضوع غير موضوع الأخرى.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن العدل بين الزوجات ممكن، وما يدل على أنه غير ممكن.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً﴾ الآية [النساء: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ الآية [النساء: ١٢٩].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٢٩).

(٢) لمزيد من الأمثلة، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٦٧، ١٨٦، ١٩٢، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٥، ٣١٢، ٤٣٩، ٤٩٢).

(٣) سبق بيان المراد منه: في المبحث الرابع، من الفصل الأول، عند ذكر أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على إمكانية العدل بين الزوجات.

والآية الثانية تدل على عدم إمكانية العدل.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره للآية الأولى-: "هـذه الآية الكريمة تدل على أن العدل بين الزوجات ممكن، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنه غير ممكن، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ الآية"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع توهم التعارض بين الآيتين وجهًا واحدًا، وهـو الجمـع باختلاف الموضوع في كل آية، فموضوع الآية الأولى يختلف عن موضوع الآيـة الثانيـة، وذكر شاهدًا من السنة على هذا الجمع، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عـن هـذا: أن العـدل بينهن- الذي ذكر الله أنه ممكن- هو العدل في توفية الحقوق الشرعية. والعدل الذي ذكـر أنه غير ممكن هو المساواة في المحبة والميل الطبيعي؛ لأن هذا انفعال لا فعل، فليس تحت قدرة البشر"[2]. ثم ذكر أن هذا الجمع مروي عن بعض الصحابة والتابعين، ثم استدل بما روي عن الرسول ﷺ أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فـلا تلمني فيما تملك ولا أملك"[3]. يعني: القلب"[4].

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٧).

(٢) المصدر السابق ص (١٢٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، حديث رقم (٢٥١١١)، (٦/ ١٤٤)،، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، حديث رقم (٢١٣٤)، (٣/٤٦٩ـــ ٤٧٠)، والترمذي في جامعه، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، حديث رقم (١١٤٠)، (٢/٤٣٧)، والنسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، حديث رقم (٣٩٤٣)، (٧/٦٣) وضعفه الألباني في: "ضعيف أبي داود" (٣٧٠)، و"الإرواء" (٢٠١٨)، و"التعليق الرغيب" (٣/ ٧٩).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٨).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى والثانية تدلان على أن الله في يوم القيامة يسأل جميع الخلق.

والآية الثالثة والرابعة تدلان على خلاف ذلك، وهو عدم السؤال يوم القيامة.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض بين الآيات- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة، ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]... وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك، كقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، وكقوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

لقد دفع الشيخ الشنقيطي هذا التعارض المتوهم بثلاثة أوجه، والأول منها هو الجمع باختلاف الموضوع بين الآيات، فموضوع السؤال في الآيات مختلف، وذكر- قبل شروعه في ذكر هذا الوجه- أن هذا الوجه من الجمع أوجهها؛ لأن القرآن دل عليه.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه: الأول- وهو أوجهها؛ لدلالة القرآن

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٢٠٦).

عليه: هو أن السؤال قسمان: سؤال توبيخ وتقريع، وأداته غالبًا: "لِمَ"، وسؤال استخبار واستعلام، وأداته غالبًا: "هل"، فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام"(١).

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجه دلالة القرآن على هذا الجمع، فقال: "وجه دلالة القرآن على هذا: أن سؤاله لهم المنصوص عليه في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٤، ٢٥]، وسؤال الله للرسل: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، لتوبيخ الذين كذبوهم، كسؤال الموءودة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير: ٩]، لتوبيخ قاتلها"(٢) (٣).

ثامنًا: وقوع المخبر به على أطوار مختلفة(٤):

ومن المسالك أيضا، التي سلكها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، الجمع بالاعتماد على وقوع المخبر به في الآيات على أطوار مختلفة.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن المدد من الملائكة يوم بدر من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، وما جاء في سورة (الأنفال) أن هذا المدد ألف.

---

(١) المصدر السابق ص (٢٠٦ــ ٢٠٧).

(٢) المصدر السابق ص (٢٠٦ــ ٢٠٧).

(٣) لمزيد من الأمثلة، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٧٠، ٧١، ٧٥، ٨٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٣، ١٥٣، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٩٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٨، ٤١٧، ٤٤٥).

(٤) سبق بيان المراد منه: في المبحث الرابع، من الفصل الأول، عند ذكر أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن المدد من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك وأن هذا المدد ألف.

قال الشيخ الشنقيطي محررًا لوجه الإشكال والتعارض -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية تدل على أن المدد من الملائكة يوم بدر من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، وقد ذكر تعالى في سورة (الأنفال) أن هذا المدد ألف بقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾".

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهان لدفع التوهم، فالوجه الأول جمع بين الآيات بوقوع المخبر به وهو المدد على أطوار، فوعدهم أولا بالألف، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم صارت خمسة آلاف، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا من وجهين: الأول: أنه وعدهم بألف أولا، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم صارت خمسة، كما في هذه الآية"[١]. ثم ذكر الوجه الثاني ورجحه بقوله: "وهو الحق"[٢].

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن من لم يعط كتابه بيمينه، أنه يعطاه وراء ظهره، وما يفهم منه أنه يؤتاه بشماله.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٤).

(٢)دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٤).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ الآية [الانشقاق: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن من لم يعط كتاب أعماله بيمينه؛ أنه يعطاه من وراء ظهره.

والآية الثانية تدل على خلاف ذلك وهو أن كتاب أعماله يعطاه بشماله.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يعط كتابه بيمينه، أنه يعطاه وراء ظهره، وقد جاءت آية يفهم منها أنه يؤتاه بشماله، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ الآية [الحاقة: ٢٥]"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهًا واحدًا لدفع هذا التوهم، وهو: وقوع المخبر به (إعطاء الكتاب) على مراحل، فهو أولا تغل يمينه إلى عنقه، وتثنى شماله إلى وراء ظهره، ثم يعطى كتابه بها، فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب ظاهر، وهو أنه لا منافاة بين أخذه بشماله، وإيتائه وراء ظهره؛ لأن الكافر تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه"[٢][٣].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٤).

(٢)دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٤٩).

(٣) لمزيد من الأمثلة، ينظر: المصدر السابق ص (١٨٤، ١٨٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٧٢، ٢٩٨، ٣٣٠، ٣٧٩، ٣٩١، ٤٤٠).

تاسعًا: اختلاف جهة الفعل[1]:

ومن المسالك التي سلكها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، الجمع بالاعتماد على اختلاف جهة الفعل في الآيات.

ومن الأمثلة على ذلك:

المثال:

الجمع بين إسناد التوفي إلى ملك واحد، وإسناده إلى جماعة الملائكة، وإسناده إلى الله جل وعلا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى نسبت التوفي إلى ملك الموت.

وفي الآية الثانية نسبت التوفي إلى الملائكة.

وفي الآية الثالثة نسبت التوفي إلى الله جل وعلا.

فالقارئ لهذه الآيات قد تشكل عليه، من حيث نسبة التوفي.

قال الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره للآية الأولى: "أسند في هذه الآية الكريمة التوفي إلى ملك واحد وأسنده في آيات أخر إلى جماعة الملائكة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟

---

(١) سبق بيان المراد منه: في المبحث الرابع، من الفصل الأول، عند ذكر أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

أَيْدِيهِمْ ﴾الآية [الأنعام: ٩٣]، وأسند في آية أخرى إلى نفسه جل وعلا، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لوجه الإشكال والتعارض، شرع في دفع هذا التوهم وذكر وجهًا واحدًا، وهو أنه سبحانه أسند التوفي إلى نفسه؛ لأن قبض روح الإنسان لا يمكن أن يقع إلا بإذن الله سبحانه ومشيئته، وأسند التوفي إلى ملك الموت؛ لأنه هو من وكل وأمر بقبض الروح، وأسند التوفي إلى الملائكة؛ لأنهم أعوان لملك الموت ينتزعون الروح إلى الحلقوم ثم يتولى ملك الموت قبضها. فأسند في هذه الآيات فعل التوفي إلى كل بحسب ما يقوم به.

فالله سبحانه وتعالى يأمر ويأذن بالقبض، وملك الموت ينفذ ويقبض والملائكة تساعد فهي تأتي بالروح إلى الحلقوم ليقوم ملك الموت بقبضها.

فالجمع بين اللآيات باختلاف جهة الفعل كل بحسب.

قال الشيخ الشنقيطي في دفع التوهم: "إن إسناده التوفي إلى نفسه؛ لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وأسنده لملك الموت؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسنده للملائكة؛ لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته، يفعلون بأمره، وينزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت"، ثم ختم كلامه بقوله: " والعلم عند الله تعالى"[٢].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٤٠).

(٢) المصدر السابق ص (٣٤٠)، ولمزيد من الأمثلة، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٧٥).

عاشرًا: باعتبارين مختلفين[1]:

ومن المسالك التي سلكها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ للجمع بين الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، الجمع باعتبارين مختلفين.

ومن الأمثلة على ذلك :

المثال الأول:

الجمع بين وصف الله للمؤمنين بكونهم أذلة حال نصرة لهم ببدر، ووصفه تعالى بأن لهم العزة.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

في الآية الأولى وصف الله المؤمنين حال نصره لهم على المشركين في معركة بدر بأنهم أذلة.

وفي الآية الثانية جاء ما يدل على خلاف ذلك، وهو وصف الله للمؤمنين بأن لهم العزة.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتعارض- بعد ذكره للآية الأولى: "وصف الله المؤمنين في هذه الآية بكونهم أذلة حال نصره لهم ببدر، وقد جاء في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التنافي والتضاد"[2].

---

(١) سبق بيان المراد منه: في المبحث الرابع، من الفصل الأول، عند ذكر أسباب توهم التعارض والاختلاف بين الآيات.

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٢، ١٢٣).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التوهم وجهين، وذكر الوجه الثاني أنه يمكن الجمع بين العزة والذلة باعتبارين مختلفين، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب ظاهر... مع أن العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار آخر، وهو أن الذلة باعتبار حال المسلمين من قلة العَدد والعُدد، والعزة باعتبار نصر الله وتأييده"(١).

وأيد هذا الوجه من الجمع بالاستشهاد بالقرآن، فقال- بعد ذكره لهذا الوجه: "كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾".

ثم ختم هذا الوجه بالتأكيد على وجه الجمع المذكور سابقًا فقال: "فظهر أن وصف الذلة باعتبار، ووصف النصر والعزة باعتبار آخر، فانفكت الجهة، والعلم عند الله تعالى"(٢).

المثال الثاني:

الجمع بين إفراد الضمير والجمع في سياق واحد.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

أفرد الضمير في قوله: (يؤمن، يعمل، يدخله، له)، ثم في نهاية الآية جمع الضمير، مع أن السياق واحد.

قال الشيخ الشنقيطي بعد ذكره للآية:"أفرد الضمير في هذه الآية في قوله: "يؤمن"

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٢٣).

(٢) المصدر السابق ص (١٢٣).

وقوله: "ويعمل" وقوله: "يدخله" وقوله: "له". وجمع في قوله: "خالدين"[(١)].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التوهم وجهًا واحدًا وهو الجمع باعتبارين، فقال: "والجواب: أن الإفراد باعتبار لفظ: "من" والجمع باعتبار معناها وهو كثير في القرآن العظيم"[(٢)(٣)].

ومما سبق ذكره يُلاحظ مدى عناية الشيخ بهذا العلم-علوم القرآن- وتوظيفه له في دفع كثير من الإشكالات والتوهمات بعبارة واضحة تدل على عمق فهمه وسعة علمه، محققا بهذا الصنيع غاية هذا العلم العظيمة وهي: التوصل إلى معرفة معاني القرآن الكريم، وتفسير آياته، وبيان أحكامها للناس.



(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٢٣).

(٢) المصدر السابق ص (٤٢٣).

(٣) لمزيد من الأمثلة، ينظر: المصدر السابق ص (٣٤، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٥٨، ١٤٤، ١٨٤، ١٩١، ٢١١، ٢٧٢، ٣٠١، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٤٠، ٤٠٠، ٤٣٤).

المبحث الرابع

الجمع بالاعتماد على أساليب العربية وعلومها وسياقاتها

يكشف هذا المبحث النقاب عن أهمية ومكانة اللغة العربية في ثقافة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ وتكوينه العلمي، وغزارة رصيده من اللغة والشعر، حيث ضرب في كل حقل من حقولها بسهم وافر؛ وله فيها القِدْح المعلّى، فلم يقصر جهده في اللغة على فرع من فروعها، بل شملها جميعًا، وقد بدا ذلك جليا في استثماره رَحِمَهُ اللَّهُ لثقافته العربية في جمع وتوجيه الآيات الموهمة للتعارض، وتوظيف علمه الدقيق بالبيان العربي، وحسه المرهف بالأساليب العربية في بيان اتساق القرآن الكريم، وعدم اختلاف آياته فضلا عن تعارضها؛ فاللغة أداة لتفسير القرآن، وبيان إعجازه، وتوضيح مسائله الصرفية والنحوية والبلاغية، وهي حجة قوية في الدفاع عن القرآن الكريم، لارتباطه الوثيق بها.

وقد استثمر الشيخ الشنقيطي في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" مستويات التحليل اللغوي سواء على المستوى المعجمي، أو على المستوى النحوي التركيبي، أو المستوى البلاغي، ووظف ذلك كله توظيفًا مشتركًا لرد ما يتوهم من أنه تعارض أو اختلاف بين آيات القرآن الكريم.

والملاحظ لمنهج الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك يجد أنه يتسم بالاختصار، والإيجاز، والدقة؛ وإيراد القواعد العامة، مع حسن الاستدلال؛ فلا يستطرد كثيرًا ولا يشرد بعيدًا عن النص المراد بيانه إلا إذا كان الأمر يتطلب إيضاحًا وبسطًا، و لم يكن تناوله للقضايا اللغوية بمعزل عن السياق الذي وردت فيه الآيات؛ مما يشعر القارئ بتبسطه رَحِمَهُ اللَّهُ- في عرض المسائل البلاغية والنحوية واللغوية بوجه عام.

وقد أحال كثيرًا رَحِمَهُ اللَّهُ إلى علماء اللغة في تأكيده لاختياراته وتوجيهاته

كالفرَّاء[(١)(٢)]، وأبي عبيدة معمر بن المثنى[(٣)(٤)]، وابن الأنباري[(٥)(٦)]، وغيرهم.

والمراد بالجمع بالاعتماد على أساليب العربية وعلومها وسياقتها:

هي الطرق التي سار بها الشنقيطي عند محاولته الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض والاختلاف معتمدًا على: استعمالات العرب اللغوية، وعلوم العربية؛ مثل: علم البلاغة بفروعها المعاني والبيان والبديع، وعلم النحو، وعلم معاني الحروف، بالإضافة إلى سياق الآيات القرآنية.

---

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، وكان فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، يميل إلى الاعتزال وكان يتفلسف في تصانيفه، ومن تصانيفه: "المقصور والممدود"، و "المعاني"، و "المذكر والمؤنث"، وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. ينظر: تاريخ العلماء النحويين، للتنوخي (ص: ١٨٧)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (٤/ ٧).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٠٠، ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٦٧).

(٣) هو: معمر بن المثنى، ابو عبيدة، التيمي بالولاء البصري النحوي من أئمة أهل العلم بالأدب واللغة، قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتبًا، ولما مات لم يحضر جنازته أحد؛ لأنه لم يكن يسلم من لسانه شريف ولا غيره، له مصنفات كثيرة منها: "مجاز القرآن" و "معاني القرآن" و "إعراب القرآن" وغيرها، وتوفي سنة ٢٠٩هـ. ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي: (٦/ ٢٧٠٤)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٧٦)، وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٥).

(٤) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٣، ٢٥٨، ٣٦٩، ٤٦٦).

(٥) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين ابن الأَنْبَاريّ أبو بكر، النَّحوي اللّغوي، كان من أعلم الناس بالنحو واللغة وأكثرهم حفظًا، سمع من ثعلب وغيره، روى عنه الدارقطني وجماعة، وكان يُملي في ناحية وأبوه مقابله، وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت ويُملي من حفظه، وأملى كتبًا كثيرة، منها "غريب الحديث"، و"الهاءات"، و"الأضداد"، و "المشكل"، توفي سنة (٣٢٧هـ). ينظر: تاريخ بغداد، للبغدادي: (٣/١٨٤)، تاريخ الإسلام، للذهبي: (٧/٥٦٤).

(٦) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٠، ٢٨٠، ٢٨٦).

وفيما يأتي تعريجٌ سريعٌ على أبرز ما ورد في كتاب" دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" من أمثلة:

أولا: البلاغة:

المثال الأول:

دفع ما يوهم التعارض في الإشارة إلى القرآن الكريم، مرةً بإشارة البعيد (ذلك)، ومرةً بإشارة القريب (هذا).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [النمل:٧٦]. وغيرها من الآيات.

بيان الوجه الموهم للتعارض:

في الآية الأولى جاءت الإشارة إلى القرآن الكريم باسم الإشارة الذي يشار به إلى البعيد (ذلك)، وفي آياتٍ أُخر جاءت الإشارة للقرآن الكريم باسم الإشارة الذي يشار إليه للقريب (هذا)، وهذا يوهم اختلافا بين المعنيين.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتوهم بعد ذكره للآية الأولى: "أشار الله تعالى إلى القرآن في هذه الآية إشارة البعيد، وقد أشار له في آيات أخر إشارة القريب؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل:٧٦]"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي أن للجمع بين هذه الآيات وجوهًا، وذكر الوجه الأول بقوله:

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٣١).

"ما حرره بعض علماء البلاغة من أن وجه الإشارة إليه بإشارة الحاضر القريب، أن هذا القرآن قريب حاضر في الأسماع والألسنة والقلوب، ووجه الإشارة إليه بإشارة البعيد هو بُعْد مكانته ومنزلته من مشابهة كلام الخلق، وعما يزعمه الكفار من أنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين"[١].

وعضد رأيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنقولٍ عن أئمة اللغة، ومنهم: أبو عبيدة، وكأنه يميل إلى ذلك؛ إذ يقول: "وعلى كل حال فعامة المفسرين على أن ذلك الكتاب بمعنى هذا الكتاب"[٢].

وهذا داخل ضمن مباحث التنكير والتعريف من مباحث علم المعاني[٣] أحد أقسام علوم البلاغة.

المثال الثاني:

الجمع بين نفي الريب في القرآن، ووجوده للكفار الشاكين.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى (لا ريب) نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم، فتنفي كل فرد من أفراد الريب عن القرآن، والآية الثانية تدل على وجود الريب في القرآن لبعض الناس.

قال الشنقيطي في بيان الوجه الموهم للتعارض بعد ذكره للآية الأولى: "هذه نكرة في

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣١ـ ٣٢).

(٢) المصدر السابق، ص(٣٣).

(٣) علم المعاني: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره". ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ص(١٦١)، وعرَّفه بعضهم بأنه: "علم يُعرف به تركيب الجملة الصحيحة المناسبة للحال". ينظر: البلاغة الميسرة، د. عبد العزيز الحربي (٢١).

سياق النفي...والنكرة إذا كانت كذلك فهي نص في العموم، فالآية نص في نفي كل فرد من أفراد الريب عن هذا القرآن العظيم، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على وجود الريب فيه لبعض من الناس، كالكفار الشاكين كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]، وكقوله: ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥]"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشنقيطي وجهين من وجوه الجمع، وبيَّن في الوجه الثاني لدفع هذا التوهم للتعارض والاختلاف أن: علماء البلاغة يجيزون التعبير عن الخبر بلفظ الإنشاء، وعن الإنشاء بلفظ الخبر. فالآية الأولى (لا ريب فيه) جاءت بلفظ الخبر، والمراد منه الإنشاء (النهي)؛ أي: لا ترتابوا فيه[٢]. فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأجاب بعض العلماء، بأن قوله: (لا ريب فيه) خبر أريد به الإنشاء، أي لا ترتابوا فيه، وعليه فلا إشكال"[٣].

المثال الثالث:

الجمع بين ما يدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦].

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢].

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (٣٣، ٣٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص (٣٣، ٣٤).

(٣) المصدر السابق، ص(٣٤).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

أن الآيتين الأولى والثانية تدلان على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة، والآيتين الأخريين تدلان على خلاف ذلك، وأنه سبحانه لا يسألهم.

قال الشنقيطي بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]... وقد جاءت آيات تدل على خلاف ذلك، كقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن:٣٩]..."(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

بعد تحرير الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لوجه الإشكال بين هذه الآيات، وما قد يتوهم بينها من تعارض أو اختلاف، شرع في بيان وجوه الجمع، فذكر ثلاثة أوجه، ورجح الأول بقوله: (وهو أوجهها)، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه، هو: أن السؤال قسمان:

سؤال توبيخ وتقريع وأداته غالبا: لِمَ.

وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالبا: هل. فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام(٢).

ثم بيّن الشيخ الشنقيطي وجه دلالة القرآن على أن المقصود في هذه الآيات الدالة على سؤال الله لهم أنه من باب التوبيخ والتقريع، بسوقه آيات أخرى دالة على هذا المعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤]، وقوله: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور:١٥]، وقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك:٨].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٠٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٠٦-٢٠٧).

فهنا يعتمد الشيخ الشنقيطي على مدلولات السؤال في البلاغة العربية، وأنْ ليس كل سؤال يُقصد منه الاستفهام أو الاستخبار، بل إن المعنى البلاغي يتسع ليشمل التقريع والتوبيخ للمسؤول.

المثال الرابع:

الجمع بين ما يدل على أنه ﷺ لا يسأل أمته أجرًا على تبليغ ما جاءهم به من خير الدنيا والآخرة، وما يوهم خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

جاء في الآية الأولى أنه ﷺ لا يسأل أمته أجرًا على تبليغ ما جاءهم به من خير الدنيا والآخرة، وقد جاء في الآية الثانية ما يوهم خلاف ذلك، بأنه ﷺ يطلب منهم أجرًا نظير دعوته لهم؛ وهو أن يبَروه ويودوه في قرابته عليه الصلاة والسلام[1].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أنه ﷺ لا يسأل أمته أجرًا على تبليغ ما جاء به من خير الدنيا والآخرة ونظيرها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]...وقد جاء في آية أخرى ما يوهم خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]"[2].

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

بين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوه دفع هذا التعارض المتوهم بين الآية الأولى مع غيرها من

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٥٠ـ ٣٥٤).

(٢) المصدر السابق، ص(٣٥٠ـ ٣٥١).

الآيات، من أربعة وجوه، اختار الأول منها، وصححه، وردَّ القول بنسخ الآية.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناقلا هذا القول عن عدد من التابعين كمجاهد[١]، والشعبي[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما: "معنى الآية: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى أي إلا أن تودوني في قرابتي التي بيني وبينكم فتكفوا عني أذاكم وتمنعوني من أذى الناس، كما تمنعـون كل من بينكم وبينه مثل قرابتي منكم...وهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليـغ، لأنـه مبذول لكل أحد لأن كل أحد يوده أهل قرابته وينتصرون له من أذى الناس، وقد فعل لـه ذلك أبو طالب، ولم يكن أجرًا على التبليغ، لأنه لم يؤمن وإذا كان لا يسأل أجرًا إلا هـذا الذي ليس بأجر، تحقق أنه لا يسأل أجرًا "[٣].

وبيَّن الشنقيطي وجه الجمع بهذا المعنى: بأن ذلك يدخل ضمن علم البلاغة، وما يُطلق عليه البلاغيون "تأكيد المدح بما يشبه الذم" أو "الاستثناء". وهو أحد المحسـنات البديعيـة، مستشهدًا بشعر النابغة[٤]، وهذا الأسلوب "تأكيد المدح بما يشبه الذم" أبهى وأفخم أنـواع المدح، ولعل السر النفسي لذلك فيما يظهر: هو ما في هذا الأسلوب مـن معـنى المباغتـة والمفاجأة التي تكسبه طرافة وتثير حوله تنبُّهًا[٥].

---

(١) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقَّل في الأسفار، واستقر في الكوفة، أما كتابه في "التفسير" فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود، توفي سنة (١٠٣هـ). ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري، بحواشي محمود خليل: (٧/ ٤١١)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر: (٥٧/ ١٧)، وطبقات المفسرين، للداوودي (٢/ ٣٠٥).

(٢) هو: عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي وُلِد سنة (٢١هـ)، وكان يكنى بأبي عمرو، عَلامَةُ أَهْلِ الكوفةِ في زمانه، من الفقهاء في الدين وجلة التابعين، وكان قد أدرك خمسين ومائة من الصحابة، مات (١٠٥هـ). ينظر: [مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان ص(١٦٣)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (٢٥/٣٣٩)].

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٥١ ــ ٣٥٢).

(٤) هو: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع، المعروف بالنابغة الذبياني، ويكنى: أبا أمامة، أحـد شـعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم المذكورين، قيل لحسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال: أبو أمامة، يعني النابغة الذبياني. ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة ص(٧٠)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١٩/ ٢٢١).

(٥) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، تأليف: د. عبد الفتاح لاشين، ص(٨٧).

المثال الخامس:

الجمع بين ما يفهم منه: أن التذكير لا يطلب إلا عند مظنه نفعه، وما يدل على الأمر بالتذكير مطلقًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى:٩].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يفهم منها أن التذكير لا يطلب إلا عند مظنة نفعه، بدليل (إنْ) الشرطية.

أما الآيات الأخرى فإنها تدل على الأمر بالتذكير مطلقا، دون النظر إلى جدوى التذكير أو مدى الانتفاع به من عدمه[1].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة يُفهم منها: أن التذكير لا يطلب إلا عند مظنة نفعه؛ بدليل (إنْ) الشرطية، وقد جاءت آيات كثيرة تدل على الأمر بالتذكير مطلقًا، كقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]"[2].

وجه دفع توهم التعارض بين الآيات:

أجاب الشيخ الشنقيطي على هذا الإشكال بأكثر من وجه، وإن كان قد اختار أن الآية على ظاهرها، وأن تكرار التذكير يكون عند مظنة النفع منه؛ بحيث يكون المذكر قد خرج من عهدة الأمر بالتذكير، ورجاء النفع لمن يوعظ بالتذكير، ويكون قد أقام الحجة على الخلق.

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٥٣).

(٢) المصدر السابق، ص(٤٥٣).

ومن التوجيهات التي وجَّه الشيخ الشنقيطي الآيات، لدفع التعارض المتوهم أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "أن في الكلام حذفًا أي: إن نفعت الذكرى، وإن لم تنفع، كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١]، أي والبرد"[١].

والحذف: إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام[٢]، وهو أحد فروع علم البيان[٣] ضمن البلاغة العربية.

وهو من خصائص العربية، وسمة من سمات فصاحتها وبلاغتها، إذ كان بيانها قائمًا على الإيجاز والاختصار، ويجعله ابن جني[٤] من باب شجاعة العربية[٥].

يقول عبد القاهر الجُرْجاني[٦] عن فائدة الحذف، وقيمته البلاغية: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ"[٧].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، (٤٥٣).

(٢) فحوى الكلام: ما فُهِمَ منه خارجًا عن أصل معناه. ينظر: كتاب الكليات، أبو البقاء الكفوي، عدنان درويش، محمد المصري، (٨٤٢)، وينظر: النكت في إعجاز القرآن، للرماني (٧٦)، وهو ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام.

(٣) علم البيان: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة، متفاوتة في وضوح الدلالة، مع مطابقة كل منها لمقتضى الحال". ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف: د. عبد الفتاح لاشين (٢١).

(٤) هو: عثمان بن جني الموصلي، ابن جني، النحوي المشهور؛ كان إماما في علم العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي، وفارقه وقعد للإقراء بالموصل، وله أشعار حسنة، ومن تصانيفه: "سر الصناعة"، و"التمام في شرح شعر الهذليين"، و"التلقين في النحو"، توفي سنة (٣٩٢هـ). ينظر: إنباه الرواة، للقفطي: (٣٣٥/٢)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢٤٦/٣)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٩/١٧).

(٥) ينظر: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (٢/ ٣٦٠).

(٦) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجُرْجاني، أبو بكر، شيخ العربية، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي، صنف شرحا حافلا "للإيضاح"، وله "إعجاز القرآن"، وكان شافعيا، عالما، أشعريا، وكان آية في النحو، توفي: سنة (٤٧١هـ)، وقيل: سنة (٤٧٤هـ). ينظر: [إنباه الرواة، للقفطي: (١٨٨/٢ – ١٩٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٣٦٤/١٨)، ، وطبقات الشافعية، للسبكي: (١٤٩/٥ – ١٥٠)].

(٧) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر.

المثال السادس:

الجمع بين ما يتبادر من ظاهره أنه تعالى أخبر بأنه لا يقسم بمكة، وما ورد أنه تعالى أقسم به.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد:١].

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

جاء في الآية الأولى ما يدلُّ على أن الله سبحانه وتعالى لا يُقسم بالبلد - مكة المكرمة -، وجاء في الآية الثانية ما يدلُّ على خلاف وذلك وأنه أُقسم بها.

قال الشيخ الشنقيطي - بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية الكريمة يتبادر من ظاهرها أنه تعالى أخبر بأنه لا يقسم بهذا البلد الذي هو مكة المكرمة، مع أنه تعالى أقسم به في قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾"(١).

وجه دفع توهم التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي لدفع هذا التعارض المتوهم بين الآيتين أربعة أوجه ، وأشار في الوجه الأول إلى أنه قول الجمهور: بأن "لا" هنا صلة على عادة العرب، فإنها ربما لفظت "لا" من غير قصد معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده، وفي معرض المبالغة في التأكيد، وهو من أسرار "علم المعاني" أحد علوم البلاغة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"والجواب على هذا من أوجه، الأول: وعليه الجمهور: أن "لا" هنا صلة على عادة العرب؛ فإنها ربطت لفظت "لا" من غير قصد، معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده، كقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢] أي: أن تسجد على أحد

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٦٢).

القولين"[١]، وساق شواهد قرآنية وشعرية تؤيد ما ذهب إليه الجمهور[٢]، ثم أكمل ذكر بقية الأوجه.

يقول قُطرُب[٣]: إن العرب تُدخل "لا" توكيداً في الكلام[٤]، وقالَ الكِسَائِي[٥] وغيره في تفسير قول الله عزَ وجلّ: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:١] معناه: أُقسم، ولا زائدة[٦].

المثال السابع:

الجمع بين ما يدلُّ ظاهره على أن الهاوية من أسماء النار، وما يدلُّ على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٨-٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:١٠-١١].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٤٦٢).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٦٣- ٣٦٧).

(٣) هو: محمد بن المستنير البصري النحوي، كان من أئمة عصره؛ وكان يؤدب أولاد الأمير أبي دلف العجلي، وكان أيام اشتغاله يبكر في تحصيل النوبة على سيبويه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلزمه هذا اللقب، روى عنه: محمد بن الجهم السمري، وغيره، وكان موثقا فيما ينقله، من تصانيفه: "معاني القرآن"، و"الاشتقاق"، و"القوافي"، توفي سنة (٢٠٦هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الإشبيلي (ص: ١٠٠)، وتاريخ الإسلام، للذهبي: (٥/ ١٤٥).

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، تحقيق: محمد علي بيضون ص(١٢١).

(٥) هو: علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن، الكسائي، الإمام، شيخ القراءة والعربية، الكوفي، الملقب بالكسائي؛ لكساء أحرم فيه، اختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع، وجالس في النحو الخليل، وسافر في بادية الحجاز مدة للعربية، ومن تصانيفه: "معاني القرآن"، و"مختصر النَّحْو"، و"النوادر الكبير"، وتوفي سنة (١٨٩هـ). ينظر: [إنباه الرواة، للقفطي: (٢/٢٥٦، ٢٧٤)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٣/٢٩٥)، ومعرفة القراء، للذهبي: ١/١٠٠ – ١٠٧)].

(٦) الأضداد، لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل ص(٢١٥).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدلُّ على أن الهاوية وصف للنار لا عَلَمٌ لها، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك وأن الهاوية اسم للنار.

قال الشنقيطي - بعد ذكره للآية الأولى - : "الآية الأولى تدل على أن "الهاوية" وصف لا علم للنار، إذ تنوينها ينافي كونها اسمًا من أسماء النار، لأنها على تقدير كونها من أسماء النار، يلزم فيها المنع من الصرف للعلمية والتأنيث، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة:١٠-١١]، يدل على أن الهاوية من أسماء النار"(١).

وجه دفع توهم التعارض بين الآيات:

وقد وجَّه الشيخ الشنقيطي التعارض المتوهم في هذه الآيات من خلال نقل قولين في معنى قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ وهما روايتان عن قتادة رحمه الله؛ بأن المعنى: أن من خفَّ ميزانه يوم القيامة يطرح على أم رأسه في قعر جهنم، أو: المعنى أنه من قول العرب إذا دعوا على الرجل بالهلكة، قالوا: هوت أمه، لأنه إذا هوى، أي سقط وهلك، فقد هوت أمه ثكلا وحزنا، وعليه فلا إشكال في الآية(٢).

أما الإشكال الذي يرد في هذه الآيات فهو ما إذا كان المعنى في قوله تعالى: ﴿هَاوِيَةٞ﴾ أي: مأواه الذي يحيط به ويضمه هاويةٌ، وهي النار؛ لأن الأم تؤوي ولدها وتضمه، والنار تضم هذا العاصي، وتكون مأواه، فلماذا نكَّر الهاوية هنا؟!

فقال رحمه الله:

"والجواب على هذا القول..أنه نكر الهاوية في محل التعريف لأجل الإشعار بخروجهم عن المعهود للتفخيم والتهويل، ثم بعد إبهامها لهذه النكتة، قررها بوصفها الهائل بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٩٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص(٤٩٦- ٤٩٨).

ثم بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ مدى اعتماده على علوم البلاغة في رد التعارض المتوهم بين الآيات، فقال: "هذا الجواب...يدخل في حد نوع من أنواع البديع المعنوي يسميه علماء البلاغة التجريد.

فحد التجريد عندهم: هو أن يُنْتَزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ آخرَ مثلَه فيها، مبالغةً في كمالها فيه"[1].

"حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة مبلغا يصح أن ينتزع منه موصوف آخر متصف بتلك الصفة"[2].

ثم شرع رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أقسام التجريد، فقال:

"فمنه ما يكون التجريد فيه بحرف، نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم، أي بلغ من الصداقة حدًا صحَّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه، وقولهم: لئن سألته لتسألن به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحرًا في السماحة.

ومن التجريد بواسطة الحرف قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت:٢٨]، وهو أشبه شيء بالآية المذكورة في المثال، لأن النار هي دار الخلد بعينها، لكنه انتزع منها دارًا أخرى، وجعلها معدة في جهنم للكفار تهويلا لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدة.

ومن التجريد ما يكون من غير توسط الحرف"[3].

المثال الثامن:

الجمع بين وصف الجبال بحبات الرمال المتناثرة، ووصفها بالصوف المنفوش.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٩٩)، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني ص(٥١٢).

(٢) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، تأليف: د. عبد الفتاح لاشين، (١٢٢)، و بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (٤/٦٠٩).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٩٩).

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تشعر بأن الجبال ستكون أكوامًا عالية، بعد أن تتفتت وتطحن، فتصير كالرمل المتهايل، بينما الآية الأخرى تصف الجبال وحالتها يوم القيامة بوصف يوهم أنه مغاير لما في آية المزمل.

وهنا الشيخ لم يذكر وجه التعارض، بل اكتفى بقوله بعد ذكره للآية الأولى: "لا يعارض قوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥]"[1].

ثم شرع في دفع توهم التعارض.

وجه دفع توهم التعارض بين الآيات:

ذكر الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجهًا واحدًا لدفع هذا التوهم، وهو مستفاد من علم البلاغة فقال: "قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ تشبيه بليغ[2]، والجبال بعد طحنها المنصوص عليه بقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة:٥] تشبه الرمل المتهايل، وتشبه أيضًا الصوف المنفوش"[3].

وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق والرمل المتهايل، يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن[4].

وسمي التشبيه بليغا؛ لما فيه من اختصار، مع ما فيه من تصور وتخيل؛ لأن وجه الشبه بين المشبه والمشبه به محذوف، وإذا حذف وجه الشبه ذهب الظن فيه كل مذهب، وفي ذلك

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٣٦).

(٢) والتشبيه البليغ: هو إخراج الأغمض إلى الأوضح، مع حسن التأليف، ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ياقوت الحموي، شرح: عصام شعيتو، ص (١/٣٨٤ -٣٨٥).

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٣٦).

(٤) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٧/٨١٨).

ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيراً[١]؛ علاوة على "ما فيه من إخراج ما لا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه الحاسة"[٢][٣].

ثانيًا: النحو

للنحو أثرٌ كبير في توجيهات الشيخ الشنقيطي عند جمعه بين الآيات التي يوهم ظاهرها الاختلاف أو التعارض؛ وتباينت أثر الموضوعات النحوية في ذلك، وهذه أمثلة لذلك:

المثال الأول:

الجمع بين ما يدل على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن مشركًا يومًا ما، وما يوهم خلاف ذلك؛ وهو أنه ظن ربوبية غير الله تعالى – حاشاه.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ [الأنعام:٧٦].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

جاء في الآية الأولى ما يؤكد نفي الشرك عن إبراهيم في الزمن الماضي، بينما الآية الأخرى يتوهم منها أن إبراهيم ظن الربوبية للكوكب، وهذا شركٌ بلا شكّ.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتوهم بعد ذكره للآية الأولى: "هذه

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي (٢/٣٨٣)، والتلخيص في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق وشرح: د. عبد الحميد هنداوي،ص(٧٠)، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب (٢/١٨٠).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب، ياقوت الحموي، شرح: عصام شعيتو، ص (١/٣٨٤ -٣٨٥).

(٣) ولمزيد من الأمثلة، ينظر: ص(١٩٤،٣٣٠، ٣٧٧، ٤٦٨).

الآية الكريمة وأمثالها في القرآن تدل على أن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يكن مشركا يوما ما، لأن نفي الكون الماضي في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يدل على استغراق النفي لجميع الزمن الماضي، وقد جاء في موضع آخر ما يوهم خلاف ذلك، وهو قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧]...ومن ظن ربوبية غير الله فهو مشرك بالله"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره لوجه الإشكال بين الآيتين شرع رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الجمع بينهما، من خلال وجهين:

كان الأول منهما: أنه تسليم جدلي من إبراهيم؛ فهو مناظر، وليس ناظرًا على الحقيقة، ومال إليه الشنقيطي بقوله: "وهذا الوجه هو الأظهر"[٢].

ثم ردَّ على من قال: إنه غير مناظر، ثم ذكر الوجه الثاني، وهو المراد هنا، فقال الشنقيطي: "الوجه الثاني: أن الكلام على حذف همزة الاستفهام أي: أهذا ربي؟ وقد تقرر في علم النحو أن حذف همزة الاستفهام إذا دل المقام عليها جائز، وهو قياسي عند الأخفش[٣] مع أم ودونها ذكر الجواب أم لا...وعلى هذا القول فقرينة الاستفهام المحذوف علو مقام إبراهيم عن ظن ربوبية غير الله وشهادة القرآن له بالبراءة من ذلك"[٤].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٤).

(٢)دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٥).

(٣) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط؛ من أئمة العربية، وأخذ النحو عن سيبويه، وكان أحذق أصحابه، وكان أسنَّ منه، وصحب الخليل أولا، وكان معلّما لولد الكسائيّ، وكان معتزليًا، ومن تصانيفه: "تفسير معاني القرآن"، و"شرح أبيات المعاني"، و"الاشتقاق"، توفي سنة (٢٢١هـ). ينظر: [إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٢/ ٣٦- ٣٩)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢/ ٣٨٠)].

(٤) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٥).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن الله مولى الكافرين، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:١١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

تدل الآية الأولى أن الكافرين يردون إلى الله تعالى؛ وهو سبحانه مولاهم، والآية الثانية تنفي ولاية الله للكافرين.

قال الشيخ الشنقيطي في بيان وجه التعارض والاختلاف المتوهم: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الله مولى الكافرين ونظيرها قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠]، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد بيانه لوجه الإشكال في الآيتين أجاب رحمه الله بجوابين، ومال إلى الأول منهما؛ وهو التفريق بين معنى الولايتين في الآية الأولى والآية الثانية، ورجحه[2].

والجواب الثاني: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢] عائد إلى الملائكة؛ وعليه: "فلا إشكال في الآية أصلا"[3]، ومسائلُ عوْدِ الضمائر مجال للنحاة كبيرٌ، فيه اجتهاد وتوسعة في المعنى كما الشأن في القراءات القرآنية[4].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٨٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص(١٨٧-١٨٨).

(٣) المصدر السابق ص(١٨٧- ١٨٨).

(٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٨/٧٧).

المثال الثالث:

الجمع بين ما يتوهم مما جاء في أول الآية من أنه سبحانه سيتلو عليهم أمورًا حرمها عليهم، ثم ذكر بعد ذلك عدم الشرك بالله، ووجوب الإحسان إلى الوالدين، فيوهم أنهما مما حرمه الله عليهم، والواقع خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

ذكر الله ´ أول الآية أنه سيتلو عليهم أمورًا محرمٌ عليهم فعلُها، ثم ذكر عدم الإشراك به سبحانه، ووجوب الإحسان للوالدين وبرهما؛ فهنا حصل توهم التعارض، وهو أن هذه الأمور واجب عليهم فعلُها، وليست محرمةً.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتوهم بعد ذكره لأول الآية: "هذه الآية تدل على أن هذا الذي يتلوه عليهم حرمه ربهم عليهم، فيوهم أن معنى قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١] أن الإحسان بالوالدين وعدم الشرك حرام، والواقع خلاف ذلك، كما هو ضروري"[(١)].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره لوجه الإشكال في الآية ذكر أن ثمة مناقشات للعلماء وبحوث في هذه الآية لا يتسع المجال لاستيعابها، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اقتصر على بعضٍ منها، مرجّحًا الوجه الأول، وهو أن (لا) صلة، معللا ذلك بأنه يتفق مع ظاهر القرآن، ومن صور الجمع التي ذكرها الشيخ: "أن الكلام قد تمَّ عند قوله تعالى: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، وأن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٠٣).

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ اسم فعل[١]، يتعلق بما بعده على أنه معموله"[٢]. والمعنى: عليكم عدم الإشراك[٣]، وهذا يتفق ما مع ذكره النحاة كالفراء وغيره من أن العرب تأمر من الصفات (الظرف، والجار والمجرور) بعليك، وعندك، ودونك، وإليك...إلخ[٤]، ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أقرب الوجوه عنده.

المثال الرابع:

الجمع بين ما يدل على أن لكفار مكة أمانين يدفعانِ عنهم العذاب، وما يدل على خلاف ذلك؛ وهو وقوع العذاب عليهم لصدهم عن المسجد الحرام.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال:٣٤].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على نفي العذب عنهم؛ ما كان بقاء النبي ﷺ فيهم، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك؛ وهو وقوع العذاب عليهم لصدهم الناسَ عن المسجد الحرام.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه الآية الكريمة تدل على أن لكفار مكة أمانين يدفع الله عنهم العذاب بسببهما:

أحدهما: كونه ﷺ فيهم؛ لأن الله لم يهلك أمة ونبيهم فيهم.

---

(١) اسم الفعل: "ما ناب عن الفعل، وليس فضلة، ولا متأثرًا بعامل". ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو، للفاكهي، تحقيق: د. المتولي رمضان ص(١٨٠).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٠٣).

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي (٣٢٥/٧).

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح الشلبي (٣٢٢/١).

والثاني: استغفارهم الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال:٣٤] يدل على خلاف ذلك"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد أن حرر الشيخ الشنقيطي وجه توهم التعارض والاختلاف، شرع في إيراد الأجوبة عن ذلك، ورجح منها الجوابين الأولين، والمقصود هنا بيان الجواب الأول، وهو: أن الأمان من العذاب منتفٍ عن أهل مكة؛ لخروج النبي ﷺ من بين أظهرهم، ولانعدام استغفارهم، وإصرارهم على الكفر، فالآية الأولى فيها جملة حالية مقيدةٌ لعاملها، وناعتةٌ لصاحبها، لكن أهل مكة لم يأتوا بالقيد (بقاء النبي ﷺ فيهم) ولا بالوصف (الاستغفار)، ولذا عذبهم الله بالقتل والأسر يوم بدر.

وهذا ما ذكره الشنقيطي بقوله: "والجواب من أربعة أوجه: الأول: وهو اختيار ابن جرير نقله عن قتادة، والسُّدي(٢)، وابن زيد(٣) أن الأمانين منتفيان، فالنبي ﷺ خرج من بين أظهرهم مهاجرًا واستغفارهم معدوم لإصرارهم على الكفر.

فجملة الحال أريد بها أن العذاب لا يترل بهم في حالة استغفارهم لو استغفروا، ولا في حالة وجود نبيهم فيهم، لكنه خرج من بين أظهرهم، و لم يستغفروا لكفرهم.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢١٤).

(٢) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أحد موالي قريش، حدث عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وعدد كثير من الصحابة، وحدث عنه: شعبة، وسفيان الثوري، وزائدة، وآخرون، وتوفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: [التاريخ الكبير، للبخاري (١/٣٦٠)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/٢٦٤)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٢/٩٠)، طبقات المفسرين، للداودي (١/١٠٩)].

(٣) هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري، المدني، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا في مجلد، وكتابا في "الناسخ والمنسوخ"، وحدث عن: أبيه، وابن المنكدر، قال الذهبي: "ضعيف، كثير الحديث" أخرج له الترمذي وابن ماجه، توفي (١٨٢هـ). ينظر: [تهذيب الكمال، للمزي ص(٧٨٩)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ٣٤٩)، شذرات الذهب، لابن العماد (١/٢٩٧)].

ومعلوم أن الحال قيد لعاملها وصف لصاحبها، فالاستغفار مثلا قيد في نفي العذاب، لكنهم لم يأتوا بالقيد، فتقرير المعنى: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) لو استغفروا، وبعد انتفاء الأمرين عذبهم بالقتل والأسر، يوم بدر"(١).

وبهذا يتبين تمكن الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في علم النحو، ومعرفته العميقة بالأدوات النحوية وعملها في السياق القرآني.

المثال الخامس:

الجمع بين ما يدل على أن الله تعالى لم يجعل للمرءِ قلبين في جوفه، وما يوهم خلاف ذلك؛ وهو أن للمرأة أكثر من قلب.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تنفي أن يكون لرجلٍ قلبان في جوفه، ويدخل في الحكم النساء أيضًا بدلالة فحوى الخطاب(٢)، فالنساء شقائق الرجال، بينما آية التحريم تثبت صيغة جمع "للقلب"، ومسندةً ذلك لامرأتين؛ هما من أمهات المؤمنين، بما يوهم خلاف حكم الآية الأولى.

يقول الشيخ الشنقيطي بعد إيراده للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل بفحوى خطابها أنه لم يجعل لامرأة من قلبين في جوفها، وقد جاءت آيةٌ أخرى يوهم ظاهرها خلاف ذلك، وهي قوله تعالى في حفصة وعائشة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]،

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢١٤).

(٢) فحوى الخطاب: "ما يكون حكم مسكوته موافقا لحكم منطوقه، أو هو أولى به" ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي، أ.د محمد إبراهيم عبادة ص(٦٤).

فقد جمع القلوب لهاتين المرأتين"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لوجه التعارض المتوهم، عرض للجمع بينهما من خلال مسألتين هما وثيقتا الاتصال بعلم النحو وقضاياه:

الأولى: (علاقة المضاف بالمضاف إليه)، وتقريره: أن القلب جزء من الإنسان؛ والشيء (القلب) إذا أضيف إلى ما هو من جزئه (الإنسان) جاز أن يُفرد، وأن يُثنى، وأن يُجمع، والجمعُ هو الأفصحُ، وهو الذي جاء به القرآن.

والثانية: (أقل الجمع)، وذكر فيها قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بأن أقل الجمع اثنان.

يقول الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا لهذين الجوابين:

"والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن المثنى إذا أضيف إليه شيئان هما جزآه، جاز في ذلك المضاف الذي هو شيئان: الجمع والتثنية، والإفراد، وأفصحها الجمع، فالإفراد، فالتثنية، على الأصح سواء كانت الإضافة لفظا أو معنى"[٢].

وقد مثّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكلٍّ مستشهدًا بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف، وبالشعر العربي.

ثم ذكر الجواب الثاني؛ فقال:

"الثاني: هو ما ذهب إليه مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أن أقل الجمع اثنان، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ﴾ [النساء:١١] أي: أخوان فصاعدا"[٣][٤].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٤١).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٤٢).

(٣) المصدر السابق ص(٣٤٤).

(٤) ولمزيد من الأمثلة، ينظر: ص(١٢٥، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٣٥، ٤٩٥).

ثالثًا: أساليب العرب:

وتشمل طرائق فصحاء العرب في التعبير، وفي أقوالهم وأمثالهم السائرة، والاستشهاد بمن يُحتجُّ بعربيتهم شعرًا ونثرًا؛ وللشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ اهتمام ظاهر بالشعر في التوجيه والجمع لما يتوهم منه تعارض أو اختلاف بين الآيات، ويلاحظ عليه حرصه على إيراد البيت الشعري كاملا[1]، وفي أحيانٍ أخر يذكر نصف البيت من الشاهد الشعري[2]، وربما استشهد بأكثر من شاهد شعري على المسألة الواحدة[3]، ذاكرًا قائل البيت، أولا، والأمثلة في ذلك كثيرة، ومنها:

المثال الأول:

الجمع بين الإشارة إلى القرآن الكريم، مرةً بإشارة البعيد (ذلك)، ومرةً بإشارة القريب (هذا).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل:٧٦] وغيرهما من الآيات.

بيان الوجه الموهم للتعارض:

في الآية الأولى الإشارة إلى القرآن الكريم بإشارة البعيد (ذلك)، بينما أشير له في آيات أخر بإشارة القريب (هذا)، وهذا يوهم اختلافا بين المعنيين.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره للآية الأولى: "أشار الله تعالى إلى القرآن في هذه الآية

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٢، ٤٤، ٨٤، ١٥٢، ٢٠٤، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٣١، ٣٥٢، ٣٦٨، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٩٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق ص (١٠٢، ٢٥١، ٢٦٨، ٣٧١).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص (٣٩ - ٤٠)، (٤١ -٤٢)، (٤٨ - ٤٩)، (٥٢- ٥٣)، (٥٤- ٥٥)، (١٠٦ - ١٠٨)، (١٤٧- ١٤٨) (٢٧٧)، (٢٨٥)، (٢٨٨)، (٣٠٩)، (٣٢٢ -٣٢٣).

إشارة البعيد، وقد أشار له في آيات أخر إشارة القريب، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]...إلى غير ذلك من الآيات"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشنقيطي ثلاثة أوجهٍ للجمع بين هذه الآية وغيرها من الآيات، ومن هذه الوجوه: "استعمالات العرب" لأدوات الإشارة، وأنهم يستعملون إشارة القريب محل البعيدة، والعكس، لمعانٍ بلاغية.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الوجه الثالث: أن العرب ربما أشارت إلى القريب إشارة البعيد، فتكون الآية على أسلوب من أساليب اللغة العربية"[٢].

ثم استشهد على ذلك بمن يحتج بشعرهم في العربية، ويعقب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان محل الشاهد، وموافقته لما أورده في الجمع بين الآيات، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"ونظيره قول خِفافِ بن ندبة السُّلَمِي[٣]، لما قتل مالك بن حرملة الفزاري[٤]:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ❊❊ فعمدًا على عيني تيممت مالِكا

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣١).

(٢) المصدر السابق ص(٣٢).

(٣) هو: خِفَاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن عمرو، اشتهر بالنسبة إلى أمه ندبة بنت شيطان، وكانت سوداء، وهو من فرسان العرب المعدودين، يُكنى أبا خُراشَة، أدرك الإسلام فأسلم وشهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، ومدح أبا بكر، وكان أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة، توفي سنة (٢٠هـ). ينظر: المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، لابن جني ص (١٤٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البرّ (٢/ ٤٥٠).

(٤) هو: مالك بن حمار بن حزن بن عشين بن لأي بن شمخ بن فزارة، شاعر جاهلي شريف، قتله خفاف بن ندبة؛ حيث أغار معاوية بن الشريد على بني ذبيان فقتل بنو فزارة معاويةَ في ذلك اليوم، قال خفاف: والله لا أريم اليوم أو أقيد به سيدهم؛ فحمل على مالك بن حمارٍ وهو يومئذ فارس بني فزارة وسيدهم فطعنه فقتله. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (٢/ ٤٥٠)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر: (٩/ ٢٣٣).

أقــول له والرمـــــح يأطِـرُ متْنَهُ ❋❋ تأمــل خِفــافًا إنني أنا ذلكا[١]

يعني أنا هذا"[٢]. فهنا أشار إلى نفسه بإشارة البعيد، والمعنى واحد، وإن كان لـــذلك أغراض بلاغية.

ثم نسب هذا الوجه في الجمع بين الآيات لثلة من اللغويين، بـــل وذكـــر أن عامـــة المفسرين على أن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ بمعنى (هذا الكتاب)[٣].

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء، وما يدل علـــى أن دحْـــو الأرض بعد خلق السماء.

الآيات:

قولـــــه تعـــــالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩].

وقوله تعـــالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٢٧-٣٠].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الأرض خُلقت أولا، ثم خلقت بعد ذلك السماء، وســـواها من الآيات تدل على خلاف ذلك؛ وهو أن دحْو الأرض كان بعد خلق السماء.

---

(١) البيتان من الطويل؛ لخفاف بن ندبة في "الحماسة البصرية" (٣١٦/١)، و"جمهرة أشـــعار العـــرب" (١١٦/١)، وخفاف: هو ابن عمير بن الحارث الشريدي السلمي، يكنى أبا خراشة، صحابيٌّ، ونُدْبة أمُّهُ، وإليها يَنتسب. ينظر: الديباج، لمعمر بن المثنى،ص (٤٠ــ ٤١)، والأغاني، للأصفهاني (٨٦/١٥) و (٨٢/١٨)، والاســـتيعاب، (٤٥١/٢)، وخزانة الأدب، للبغدادي (٤٤٠/٥)، وينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتـــاب ص(٣٢)، حاشية (٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق ص(٣٣).

يقول الشنقيطي بعد ذكره للآية الأولى في بيان وجه توهم التعارض بينها وبين غيرها من الآيات:

"هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بدليل لفظة: "ثم" التي هي للترتيب والانفصال، وكذلك آية "حم السجدة"، تدل أيضا على خلق الأرض قبل خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:٩-١١]، إلى أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١] مع أن آية "النازعات" تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء، لأنه قال فيها: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا﴾ [النازعات:٢٧] ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:٣٠]"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

توقف الشيخ الشنقيطي في حلّ هذا التوهم مدةً من الزمن، ثم هداه الله لحلّه بعد الاجتهاد في البحث والتدبر وإعمال الفكر.

وهذا هو المنهج القرآني الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه العالم الذي يتصدى لحلّ ما يُتوهم تعارضه من الآيات؛ أن يجتهد في التدبر وإعمال الفكر، ويبذل الوسع والطاقة في ذلك، ويُلحَّ على الله في الطلب ثم يفتح الله عليه.

وقد ذكر الشنقيطي ذلك التوقف في بداية دفعه لهذا التوهم؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد مكثت زمنًا طويلا أفكر في حلّ هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن، وإيضاحه: أن هذا الإشكال مرفوع من وجهين، كلٌ منهما تدل عليه آية من القرآن..."[2].

فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة أوجه لحلّ هذا التوهم، وضعَّف الوجهين الأخيرين منها، والوجه المراد والمناسب لما سيق إليه المثال هو الوجه الأول.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٣).

(٢)دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٤).

وقد أبان في هذا الوجه عن المعنى اللغوي لمادة (خَلَقَ)، وأنها تعني: التقدير(١)، وليس بالضرورة تعني "الخلق" بمعنى الإبراز من العدم، وبهذا عبَّر فصحاء العرب وشعراؤهم.

فقال: "الأول: المراد بخلق ما في الأرض جميعا قبل خلق السماء: الخلق اللغوي الـــذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العـــدم إلى الوجـــود، والعـــرب تســـمي التقدير خلقا"[٢].

واستشهد لهذا الوجه بقول زهير[٣]:

ولأنت تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبعـــ ** ضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْرِي[٤]

ثم أيَّد رحمه الله هذا المعنى بما ورد في سورة فصلت (وقدَّر فيها أقواتها)، يقول: "والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير، أنه تعالى نص على ذلك في سورة "فصلت" حيث قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت:١٠]، ثم قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]"[٥].

ثم ذكر بعد ذلك الوجه الثالث بقوله: "وجمع بعض العلماء..."، ثم تابع ذكر الوجهين الأخيرين وضعَّفهما؛ فقال: "وجمع بعض العلماء...وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة...وهو خلاف التحقيق"[٦].

المثال الثالث:

الجمع بين ما يتوهم من ظاهره وفاة عيسى عليه السلام، وما يدل على خلاف ذلك.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس مادة (خَلَقَ)، (٢/٢١٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٤).

(٣) هو: زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية، كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، كانت قصائده تسمى "الحوليات". ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص(٤٤)، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (١٠/ ٢٨٨ – ٣٢٤).

(٤) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس ص(٣٢)، وشرح ديوان الحماسة، أبو علي المرزوقي الأصفهاني، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، (٤/١٣١٥).

(٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٤).

(٦) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤٥).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ الآية[آل عمران:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء:١٥٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء:١٥٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن عيسى عليه السلام توفاه الله، وهذا يوهم تعارضًا مع الآيات الأخرى التي تدل على أن عيسى عليه السلام رُفِعَ إلى السماء، ولما يُتوفى.

يقول الشنقيطي تحريرًا لوجه التعارض المتوهم بين هذه الآيات بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة يتوهم من ظاهرها وفاة عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على خلاف ذلك، كقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء:١٥٩]...أي موت عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

أجاب الشنقيطي عن هذا ؛ من ثلاثة أوجه، والمقصود هنا بيان الوجه الأول، وهو ما يتعلق بإفادة حرف "الواو" الترتيب أو مجرد العطف، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾، إذ يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الواو بإجماع أهل اللسان العربي لا يلزم إفادتها الترتيب ولا عدمه، بل مطلق التشريك، وبالتالي لا إشكال في الآية؛ إذ إن عيسى ' كغيره من الخلق سيموت، ولكنه الآن حيٌّ في السماء.

يقول الشنقيطي: "والجواب على هذا من ثلاثة أوجه: الأول: أن قوله تعالى: "متوفيك" لا يدل على تعيين الوقت، ولا يدل على كونه قد مضى وهو متوفيه قطعا يوما ما، ولكن لا دليل على أن ذلك اليوم قد مضى، وأما عطفه: "ورافعك" إلى قوله: "متوفيك"، فلا دليل فيه؛ لإطباق جمهور أهل اللسان العربي على أن الواو لا تقتضي الترتيب ولا الجمع، وإنما تقتضي مطلق التشريك...كما أنها لا تقتضي الترتيب ولا المعية فكذلك لا

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٩٩).

تقتضي المنع منهما، فقد يكون العطف بها مع قصد الاهتمام بالأول كقوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨] بدليل الحديث المتقدم(١)، وقد يكون المعطوف بها مرتبا كقول حسان(٢):

هجوتَ محمدًا وأجبتُ عنه(٣)

على رواية الواو، وقد يراد بها المعية، كقوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت:١٥]، وقوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩]، ولكن لا تحمل على الترتيب ولا على المعية إلا بدليل منفصل"(٤).

المثال الرابع:

الجمع بين ما يتوهم منه أن الله لم يُخفِ الساعة بالفعل، ولكنه قارب أن يخفيها، وبين التصريح بأنه سبحانه أخفاها.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه:١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف:١٨٧].

---

(١) وهو قول النبي ﷺ: "أبدأ بما بدأ الله به"، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، قال ابن سعد: عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين في الإسلام، وتوفي سنة (٥٤هـ). ينظر: [الاستيعاب، لابن عبد البر (١/٣٤١)، تهذيب الكمال، للمزي (٢٥١)، وطبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام (١/ ٢١٥)].

(٣) هذا صدر بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وعجزه: وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزاءُ. يُنظر ديوانه، ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق: د. وليد عرفات (١/١٨).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٠- ١٠٢).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يُتوهم من ظاهرها أن يوم القيامة لم يخفِ الله تعالى موعده، والآيات الأخرى تدل على نفي علم الساعة مطلقًا عن كل أحد.

يقول الشنقيطي في تحريره لوجه التوهم بين هذه الآيات، بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة يتوهم منها أنه جل وعلا لم يخفها بالفعل ولكنه قارب أن يخفيَها؛ لأن كاد فعل مقاربة، وقد جاء في آيات أخر التصريح بأنه أخفاها"[(١)].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

في دفْعِ الشيخ الشنقيطي لتوهمِ التعارض بين هذه الآيات أجاب بأجوبة سبعةٍ، والشاهدُ الذي سيق المثال لأجله هو الجواب الأول، وهو الراجح، كما ذكر ذلك الشنقيطي، وهو أن "كاد" في الآية الأولى استعملت على عادة العرب في التعبير عن المبالغة في إخفاء أمر ما بأن يقولوا" أكاد أخفيه" أي من نفسي لو قدرت على ذلك.

ولإيضاح ذلك أنقل كلامه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب من سبعة أوجه: الأول - وهو الراجح - أن معنى الآية: أكاد أخفيها من نفسي، أي لو كان ذلك يمكن، وهذا على عادة العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم، والواحد منهم إذا أراد المبالغة في كتمان أمر قال: كتمته من نفسي، أي لا أبوح لأحد"[(٢)].

واستشهد على هذا الوجه بشاهد شعري، فقال: "ومنه قول الشاعر:

أيام تصحبني هندٌ وأخبرُها ❊❊ ما كدتُ أكتمُهُ عني من الخبرِ"[(٣)][(٤)].

وأكّد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا القول ورجّحه بإسناده إلى أكثر المفسرين، فقال: "وهذا القول

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(١٠٠- ١٠٢).

(٢) المصدر السابق ص(٢٨١_ ٢٨٢).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٨٢).

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": (٣/ ١٦) بدون نسبة، وكذلك القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن": (١١/ ١٨٥)، وذكره، أبو حيان في "البحر المحيط": (٦/ ٢٣٣) بدون نسبة.

مرويٌّ عن أكثر المفسرين...ويؤيد هذا القولَ بالقراءة الأخرى لهذه الآية الواردة في مصحف أُبيّ: "أكاد أخفيها من نفسي[(١)]"[(٢)].

المثال الخامس:

الجمع بين ما يسبق إلى الذهن من رجوع الضمير الذي جاء بصيغة الجمع ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ إلى الربّ، والربُّ - جل وعلا - واحدٌ.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

إن الضمير في كلمة ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ في الآية يعود إلى الله ﷻ وهو جمعٌ، والله ﷻ واحدٌ.

يقول الشنقيطي في عبارة مختصرة بيانًا لوجه توهم تعارضٍ ما بين عوْد ضمير الجمع في قوله ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ على مفرد ﴿رَبِّ﴾: "لا يخفى ما يسبق إلى الذهن فيه من رجوع الضمير إلى الرب، والضمير بصيغة الجمع والرب جل وعلا واحد"[(٣)].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لوجه توهم التعارض في هذه الآية، أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبه، أذكر منها الجواب الأول، وقد رجحه ، وهو أن عود ضمير الجمع على مفرد باستعمالات العرب فيه نوع تفخيم وتعظيم للمخاطب، وهذا ظاهر في شعر الشعراء، يقول الشنقيطي:

"والجواب من ثلاثة أوجهٍ: الأول - وهو أظهرها - أن الواو لتعظيم المخاطب، وهو

---

(١) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه ص(٩٠)، وتفسير الألوسي (١٧٢/١٦)، ونُسِبتْ لعبد الله بن مسعود أيضًا، ينظر: تفسير الزمخشري (٥٨/٣)، وتفسير الرازي (١٩/٢٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٢٠/٧)، وورد ذكرها غير منسوبة في المحتسب لابن جني (٤٨/٢).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٢٨٢).

(٣) المصدر السابق ص(٣٠٩).

(الله) تعالى"(١).

واستشهد بشعر العرب؛ فقال: "كما في قول الشاعر:

ألا فارحموني يا إلهَ محمدٍ ** فإن لم أكنْ أهلا فأنت له أهلُ(٢)

وقول الآخر:

وإن شئتُ حرمتُ النساءَ سواكمُ ** وإن شئتُ لم أَطْعَمْ نقاخا ولا بَرْدًا"(٣).

ثم تابع ذكر الوجه الثاني والثالث(٤).



(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٠٩).

(٢) البيت من الطويل؛ بلا نسبة في "تفسير الزمخشري" (٢٠٥/٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٥٨٤/٧)، والدر المصون، للسمين الحلبي (٣٦٦/٨)، واللباب، لابن عادل (٢٥٤/١٤)، وتفسير الألوسي(١٦٨/١١). وعزاه في أضواء البيان (٣٥٥/٥) لحسانَ بنِ ثابتٍ أو غيره، وليس في "ديوانه"، ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٠٩).

(٣) هو لعبد الله بن عُمَرَ العرجي في "ديوانه" ص(٢٠٦)، والحيوان، للجاحظ (١٦/٥)، والصحاح، للجوهري (٩٥٦/٣، ١٨٦٧/٥)، وفقه اللغة، للثعالبي (ص٢٥٥)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٥٤٠/٤)، ولسان العرب، لابن منظور (٦٥/٣/٣). ورواية ديوانه: "أحرمتُ".

ولِعُمَرَ بنِ أبي ربيعة في "ديوانه" ص(٥١).

ولعبدِ العزيز بن عمر بن عبد العزيز في "تاج دمشق" (٣٣١/٣٦).

وللعرْجي أو لعبد العزيز بن عمر في "أخبار مكة" للفاكهي (١١٩/٣).

وللحارث بن خالد المخزومي في "ديوانه" ص(١١٧).

وبلا نسبةٍ في معاني القرآن، للأخفش (٣٣/١)، وغريب القرآن، لابن قتيبة ص(١٤٥)، والفاخر، للمفضل بن سلمة ص(١٧)، ومعجم ديوان الأدب، للفارابي (١٠٢/١)، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (٣٢٩/٣)، وتهذيب اللغة، للأزهري (٧٥/١٤)، وغريب الحديث، للخطابي (٤٦٩/١)، وتفسير الثعلبي (١١٧/١٠)، وتفسير السمعاني (٢٥٢/١)، وتفسير الزمخشري (٣٦٤/٢)، وزاد المسير (٤٢٠/٢)، وتفسير الرازي (١٠٤/٢٣). قال ثعلبٌ: "البَرْدُ هنا: الرِّيقُ، والنُّقاخُ: الماءُ العذبُ"، وقيل: البرد: النوم. "تاج العروس" (١٣/٧).

ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٠٩ - ٣١٠).

(٤) ولمزيد من الأمثلة، ينظر: ص(٥١، ٥٦، ٤٩٦، ٤١٨، ٣٥٦).

المبحث الخامس

الجمع بالاعتماد على مقتضى القواعد الأصولية

تعرَّف القواعد الأصولية بأنها:

"أحكام كلية أصولية منطبقة على جميع جزئياتها من الأدلة الإجمالية والموجهات العامة في ضبط الاجتهاد الأصولي والفقهي وحال المجتهد"(١)(٢).

إن الناظر في كتاب الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرك مدى عنايته و اهتمامه بهذا العلم، وذلك من خلال توظيفه لدفع توهم التعارض بين الآيات، معتمدًا في هذا الدفع على ما تقرر في الأصول وما تقتضيه القواعد الأصولية.

ويدرك الناظر أيضًا، سعة علم الشيخ، وما فتح الله عليه وآتاه من الفهم لكتابه، ولا يخفى ما له من باع طويل في هذا العلم، ومما يُستأنس لذلك، ثناء الشيخ عبد الكريم الخضير في مقدمة تعليقه على أضواء البيان، وهذه شهادة منه- حفظه الله- فقال: "ويده رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعني الشنقيطي- في أصول الفقه لا تجارى ولا تُبارى، وله من المباحث الأصولية ما لو جُرد لجاء كتابًا حافلاً في هذا الفن"(٣). وقد جاء كتابه حافلا بقواعد كثيرة واعتمد عليها في دفع التعارض.

---

(١) ينظر: نظرية التقعيد الأصولي، د. أيمن البداربن، ص (٥٩).

(٢) أهمية القواعد الأصولية:

أولاً: تيسر سبل الوصول إلى معرفة أحكام الله لأفعال العباد وتصرفاتهم.

ثانيًا: حفظ الشريعة من خلال المنهج السليم في استنباط الأحكام الشرعية.

ثالثًا: تجعل للمجتهد منهجًا يلتزم به في استنباط الأحكام الشرعية.

رابعًا: توضح للعلماء المنهج الذي يلتزم به في استنباط الأحكام الشرعية للمسائل المستجدة الحادثة التي لم يكن لها وجود من قبل (النوازل).

خامسًا: تساهم في تكوين الملكة الفقهية القادرة على استنباط الأحكام الشرعية، أو الترجيح بين الأقوال الفقهية المتضادة.

سادسًا: تعين على دراسة الفقه المقارن بين المذاهب، والترجيح بينها.

سابعًا: تشكل ضوابط لفهم القرآن الكريم، والسنة المطهرة. ينظر: القواعد الأصولية وطرق استنباط الأحكام منها، د. محمد شريف مصطفى، ص (٢٨٥).

(٣) قناة المعين، الدرس الأول، ٢٣/١٠/١٤٣٣هـ.

ومن جملة هذه القواعد التي تناولها ودفع توهم التعارض بين الآيات بمقتضاها، أذكر ما يلي:

أولا: الخطاب الخاص بالنبي ﷺ حكمه عام لجميع الأمة(١):

إن الخطابات العامة في القرآن تشمل النبي ﷺ كما أن الخطابات الموجهة إليه تشمل الأمة إلا لدليل.

"وهذا مبني على أنه قدوة الأمة ﷺ، فتوجيه الخطاب إلى من يقتدي به لا يعني تخصيصه بالحكم، وإنما هو خطاب للأمة بأكملها ممثلا بشخصه ﷺ، ومعلوم أن الخطاب للقدوة خطاب لأتباعه من حيث الأصل، وهذا التناول من جهة الحكم لا من جهة اللفظ، فالعموم هنا شرعي.

أنواع الخطابات الموجهة للنبي ﷺ :

الأول: أن يرد دليل متصل أو منفصل أو قرينة على اختصاص الخطاب به، وحكم هذا النوع واضح: وهو تخصيصه بالنبي ﷺ.

الثاني: أن يرد دليل أو قرينة على التعميم، وهذا لا إشكال فيه.

الثالث: أن لا يرد ما يدل على التعميم ولا ما يدل على الاختصاص، وحكم هذا النوع أنه يحمل على العموم والله أعلم"(٢).

وقد قرر الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القاعدة، واعتمد عليها في دفع توهم التعارض بين الآيات، كما في هذا المثال:

الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ الآية [الطلاق: ١].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ الآية [الطلاق: ١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على خصوص النبي ﷺ بهذا الخطاب وتوجهه له.

---

(١) الخطاب الخاص بالنبي ﷺ، مثل: (يا أيها الرسول)، (يا أيها النبي). ينظر: أصول الفقه الإسلامي، أ.د. الزحيلي ص (٢٦٩-٢٧٠).

(٢) قواعد التفسير، د.خالد السبت (٢/ ١١٩)، وينظر: البحر المحيط، للزركشي (٢/٢٥٤- ٢٥٧).

وختام الآية الأولى يدل ظاهره على خلاف ذلك، وهو خطاب الجمع، فهو موجه إلى جميع الأمة.

فقال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى: "ظاهر في خصوص الخطاب به ﷺ، وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، يقتضي خلاف ذلك"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهًا واحدًا لدفع توهم التعارض، واعتمد فيه على مقتضى القاعدة الأصولية: (أن الخطاب الخاص بالنبي ﷺ حكمه عام لجميع الأمة) فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "والجواب ما تقدم محررًا في سورة (الروم) من **أن الخطاب الخاص بالنبي ﷺ حكمه عام لجميع الأمة**"(٢)

"فقوله: ﴿طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بعد ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الطلاق: ١] دليلٌ على دخول الأمةِ تحت لفظِ (النبي) "(٣).

وبين -رحمه الله- في موضع آخر: أن دخول الأمة في الخطاب الخاص بالنبي ﷺ هو مذهب الجمهور، خلافا للشافعي رحمه الله(٤)(٥).

ثانيًا: الموصولات(٦) من صيغ العموم:

صيغ العموم: للعموم صيغة في اللغة خاصة، موضوعة له، تدل على العموم حقيقة(٧).

الألفاظ الدالة على الشمول والاستغراق في وضع العرب(٨).

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٤٢٣).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٤٢٣)، وينظر: البحر المحيط، للزركشي (٤/ ٢٥٤- ٢٥٧)، شرح الكوكب المنير، للفتوحي (٣/ ٢٢٣)، أصول الفقه الإسلامي، أ.د وهبة الزحيلي (١/ ٢٦٩- ٢٧٠).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٣٥-٣٣٦).

(٤) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٣٦)، والمستصفى، للغزالي، ص(٢٤١)، والإحكام، للآمدي (٢/ ٢٦٠)، ومذكرة في أصول الفقه، للشنقيطي ص(١٩٥-١٩٦).

(٥) لمزيد من الأمثلة، ينظر: (٣٣٥، ٤٢٥).

(٦) الأسماء الموصولة: مثل (ما) و(من) و(أي) و(الذي- التي- اللذان- اللتان- الذين- اللاتي).
ملاحظة: (ما، من، أي) تعم مطلقًا، سواء كانت شروطًا أو موصولات أو استفهامية.
ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (٢٩٦- ٣٢٩).

(٧) المهذب في علم أصول الفقه المقارن، د. النملة (٤/ ١٤٨٧).

(٨) معالم في أصول الفقه، محمد الجيزاني، ص (٤٢٢).

الاسم الموصول: هو الاسم الذي يعين مسماه بوصل شيء يوضحه يُسمى الصلة، مشتملة على عائد يربطها به من ضمير أو خلفة[١]، وهو يدل على العموم سواء كان مفردًا أو مثنى أو مجموعًا[٢].

ثالثاً: المنطوق مقدم على المفهوم:

المنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق، بأن يكون حكمًا للمذكور وحالا من أحواله، أي: هو المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به كدلالة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ عن النهي عن التأفف.

المفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، بأن يكون حكمًا لغير المذكور وحالا من أحواله، أي: هو المعنى المستفاد من حيث اللازم للفظ. وذلك كدلالة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ على النهي عن الضرب[٣].

والشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرر هاتين القاعدتين، عند دفعه للتعارض والجمع بين ما يُفهم من ظاهر آية الأحقاف: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

أن جزاء المطيع من الجن: غفران ذنوبه، وإجارته من عذاب أليم، لا دخول الجنة، وما يدل عليه مفهوم آية الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، أن مؤمنيهم في الجنة.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

---

(١) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، محمد عبد العزيز النجّار (٢١٢/١) وما بعده.

(٢) قواعد التفسير، د. خالد السبت (٨٥/٢).

(٣) ينظر: أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د. مصطفى الخن، ص (١٣٨- ١٤٤)، المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/ ١٧٢١، ١٧٣٩)، قواعد التفسير، د. خالد السبت (١٧٣/١، ١٧٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦، ٧٤].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل بظاهرها على أن جزاء المطيع من الجن المغفرة من الذنوب والإجارة من العذاب الأليم وليس دخول الجنة، هذا بدلالة المفهوم.

وأما الآية الثانية والثالثة والرابعة يدل ظاهرها المنطوق على خلاف ذلك، وهو أن مؤمن الجن في الجنة.

فقد يظن تعارض دلالة هذه الآيات على مسألة دخول مؤمن الجن الجنة.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية يُفهم من ظاهرها أن جزاء المطيع من الجن غفران ذنوبه، وإجارته من عذاب أليم، لا دخول الجنة...مع أنه جاء في آية أخرى ما يدل على أن مؤمنيهم في الجنة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾؛ لأنه- تعالى- بين شموله للجن والإنس بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ويستأنس لهذا بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾؛ لأنه يشير إلى أن في الجنة جنًّا يطمثون النساء كالإنس"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

دفع الشيخ الشنقيطي هذا التوهم الظاهري بين الآيات بالمتقرر أصوليًا، وهو ما تقتضيه القاعدتان الأصوليتان: (أن الموصولات من صيغ العموم، وأن المنطوق مقدم على المفهوم).

وذلك أن الآية الأولى دلالتها على عدم الدخول إنما هي دلالة مفهوم، وأما الآية الثانية

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٣٨١).

والثالثة والرابعة فدلالة منطوقها على خلاف ذلك، وهو أن مؤمن الجن في الجنة. وهذه الآيات فيها منطوق، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، فيقدم على المفهوم، كما أن قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ﴾ فيها عموم، لأن (مَنْ) اسم موصول فتعمُّ الإنس والجن معاً.

فقال الشيخ الشنقيطي: "والجواب عن هذا، أن آية (الأحقاف) نص فيها على الغفران والإجارة من النار، و لم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات، وآية (الرحمن) نص فيها على دخولهم الجنة؛ لأنه تعالى قال فيها: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾؛ **وقد تقرر في الأصول: أن الموصولات من صيغ العموم**، فقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾؛ يعم كل خائف مقام ربه، ثم صرح بشمول ذلك للجن والإنس: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فبين أن الوعد بالجنتين لمن خاف مقام ربه: من آلائه، أي نعمه على الإنس والجن، فلا تعارض بين الآيتين؛ لأن إحداهما بينت ما لم تتعرض له الأخرى"(١).

ثم جمع رَحِمَهُ اللَّهُ بين الآيات من وجه آخر، وأيضًا جمعه معتمدًا على ما تقرر أصوليًا، وهو أنه على فرض التسليم أن قوله: "﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يُفْهَمُ منها عدم دُخولِهم الجنة، فإنه إنما يدلُّ عليه بالمفهوم؛ وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧] يدلُّ على دخولهم الجنة بعموم المنطوق، **والمنطوق مقدم على المفهوم، كما تقرر في الأصول**"(٢).

رابعاً: حمل المطلق على المقيد:

المطلق: اللفظ المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه. أي: الدال على الحقيقة من غير وصف زائد عليها.

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٣٨١- ٣٨٢)، وينظر: البحر المحيط، للزركشي (١١٢/٤- ١١٤)، إرشاد الفحول، للشوكاني (٣٠٤/١- ٣٠٥)، أصول الفقه الإسلامي، أ.د. وهبة الزحيلي (٢٤٢/١).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٨٢)، المحصول، للرازي (١٠٢/٣- ١٠٣)، الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (٢٦٢/٤- ٢٦٣)، مذكرة أصول الفقه، للشنقيطي، ص(٣٨٧).

المقيد: ما يقابل المطلق، وهو المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه. أي: ما دل على الحقيقة بوصف زائد عليها[١].

فاللفظ إذا ورد في نص من نصوص الوحي مطلقًا، وورد في نص آخر مقيدًا، وكان سببهما واحدًا، فإن المطلق يحمل على المقيد، فالضابط في حمل المطلق على المقيد: أن اتفاق حكم المطلق والمقيد يوجب الحمل إجمالا ،كما أن اختلافه يوجب عدم الحمل إجمالا، وإن اختلف سبب الحكم فيهما.

ذلك أن الحكم يدل على قوة الصلة بين الكلامين- الكلام الذي فيه إطلاق والكلام الذي فيه تقييد- فاعتبرا جملة واحدة يفسر بعضها بعضا، إذ إن الحكم استوفى بيانه في أحد الموضعين و لم يستوف في الموضع الآخر، وهذا الأسلوب مألوف عند العرب، إذ تطلق في موضع وتقيد في موضع آخر فيحمل المطلق على المقيد.

فإذا أضيف إلى اتفاق الحكم الاتفاقُ في السبب؛ كان هذا قرينة قوية على وحدة الجملتين، وشدة ارتباطهما ببعض، وأن المراد بهذه هو المراد بالأخرى.

أما إن اتفق الحكمُ فقط وكان السبب مختلفًا؛ فالحمل هنا وارد وهو الأحوط[٢]، لكن يبقى عدم الحمل أمرًا واردًا، وهو الأصل.

أما في حالة اختلاف الحكم؛ فإن هذا الاختلاف يعتبر دليلاً على استقلال كل من الكلامين بحكمه: المطلق بإطلاقه والمقيد بتقييده، والتعارض في مثل هذه الحالة منتفٍ، فيبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده، وهذا هو الأصل. ويقوي البقاء على هذا الأصل اختلاف السبب.

أما إن اتفق السبب مع كون الحكم مختلفًا فإن اتفاق السبب قرينةٌ على مخالفة الأصل[٣].

---

(١) ينظر: روضة الناظر، لابن قدامة (٢/١٠١-١٠٢)

(٢) وجه الاحتياط: أن العمل بالمقيد عمل بالمطلق، أما العمل بالمطلق فإن فيه إهدارًا للمقيد.

(٣) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد الجيزاني ص(٤٤٢-٤٤٣)، وينظر: الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (١/٣٠٨- ٣٠٩)، و روضة الناظر، لابن قدامة (٢/١٠١- ١٠٨)، و مجموع الفتاوى، لابن تيمية
=

والشيخ الشنقيطي يقرر هذا وأنه من مقتضى الأصول في عدة مواضع من كتابه، ومن الأمثلة على ذلك:

دفعه للتعارض والجمع بين ما يدل على أن الردة لا تحبط العمل إلا بقيد الموت على الكفر، وما يدل على أنها تحبط العمل مطلقًا ولو رجع إلى الإسلام.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الآية [المائدة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية [الزمر: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن الردة لا تحبط معها العمل إلا بقيد، وهو الموت على الكفر.

والآية الثانية والثالثة والرابعة يدل ظاهرها على خلاف ذلك، وهو أن الردة تحبط العمل مطلقًا سواء مات على الكفر أم لم يمت.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكر الآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الردة لا تحبط العمل إلا بقيد الموت على الكفر، بدليل: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾. وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الردة تحبط العمل مطلقًا، ولو رجع إلى الإسلام، فكل ما عمل قبل الردة أحبطته الردة، كقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الآية، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

(١٥/٤٤٣، ٣١/١٠٠)، و أثر الاختلاف في القواعد الأصولية على اختلاف الفقهاء، د. مصطفى الخن، ص (٢٤٧)، و المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/١٧٠٣- ١٧٠٥، ١٧٠٨-١٧١٤).

عَمَلُكَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي في بداية دفعه لهذا التعارض المتوهم بين الآيات، أن هذه من مسائل تعارض المطلق والمقيد، فجمع بينهما بمقتضى الأصول وهو حمل المطلق على المقيد، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "والجواب عن هذا أن هذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد، **فيحمل المطلق على المقيد**، فتقيد الآيات المطلقة بالموت على الكفر، **وهذا مقتضى الأصول**"[٢].

ثم ذكر أن هذا هو الذي عليه الشافعي ومن وافقه[٣]، وخالف الإمام مالك في هذه المسألة وقدم آيات الإطلاق[٤]."وهما روايتان عن الإمام أحمد، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن قول الشافعي ومن وافقه في هذه المسألة أجرى على الأصول، لوجوب حمل المطلق على المقيد، ولا سيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا"[٥]وختم كلامه كعادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ برد العلم إلى الله تعالى.

خامساً: الظاهر مقدم على المُجْمَل:

الظاهر: هو الذي يحتمل معنيين هو في أحدهما أظهر، أو ما دل بنفسه على معنى راجح مع احتمال غيره، بمعنى أن السامع فهم معنيين، ولكن رجح أحد هذين المعنيين دون الآخر[٦].

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٨٤- ٨٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص (٨٥).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٦/ ٣٩٢- ٣٩٣)، تفسير القرطبي (٣/ ٤٧- ٤٨).

(٤) ينظر: البيان والتحصيل، لابن رشد (١/ ١٩١)، تفسير القرطبي (٣/ ٤٨).

(٥) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٣/٤٦٢-٤٦٣)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٨٥)، البحر المحيط، للزركشي (٥/ ١٤- ٢١)، أصول الفقه، لابن مفلح (٣/ ٩٨٧)، المحصول، للرازي (٣/ ١٤١)، روضة الناظر، لابن قدامة (٢/ ١٠٣)، الشرح الكبير لمختصر الأصول، للشيخ ابن عثيمين، ص (٣١٠)، أصول الفقه الإسلامي، أ.د. وهبة الزحيلي ص (٢٠٧).

(٦) العدة، لأبي يعلى(١/١٤١)، شرح مختصر الروضة، للطوفي (١/٥٨٨).

وحكمه: أن يصير السامع إلى معناه الظاهر منه، والراجح عنده، فيجب العمل بما دل عليه من أحكام، ولا يجوز ترك ذلك المعنى الراجح والظاهر إلا إذا قام دليل صحيح على تأويله أو تخصيصه أو نسخه، أي: دليل يصرفه عن ظاهره، وهذه هي طريقة السلف، ولأنه أحوط، وأبرأ للذمة، وأقوى في التعبد والانقياد(١).

المجمل: ما له دلالة على معنيين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه، أو ما يتوقف فهم المراد منه على غيره، إما في تعيينه أو بيان صفته أو مقداره(٢).

وحكمه: اللفظ المجمل يجب أن يتوقف فيه، فلا يجوز العمل به حتى يأتي دليل خارجي يدل على أن المراد هو أحد المعنيين، لكن يجب على المكلف عقد العزم على العمل بالمجمل متى حصل بيانه(٣).

والظاهر يقدم على المجمل، والسبب في تقديم الظاهر على المجمل: أن الظاهر قريب من النص من وجهين:

الأول: أن الظاهر يفهم منه معنى واحد، وإن احتمل معنى آخر فهو مرجوح.

الثاني: أن الظاهر يشارك النص في وجوب العمل بهما، أما المجمل فلا يفهم منه معنى معين، ولا يجوز العمل به، فلذلك أخر(٤).

وقد أكد الشيخ الشنقيطي هذا المتقرر أصوليًا- الظاهر مقدم على المجمل- في كتابه من خلال اعتماده عليه في دفع توهم التعارض بين الآيات، من ذلك:

ما ذكره من وجه الجمع بين ما يفهم منه كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له أبدًا، وما يدل على أن عذابهم لا انقطاع له.

---

(١) العدة، لأبي يعلى(١٤١/١)، شرح مختصر الروضة، للطوفي (٥٨٨/١).

(٢) البحر المحيط، للزركشي (٤٣/٣)

(٣) ينظر: شرح الكوكب المنير، للفتوحي (٤١٤/٣، ٤٥٩- ٤٦٠)، روضة الناظر، لابن قدامة (٢/ ٥٠٨)، مذكرة في أصول الفقه، للشنقيطي، ص (٢١١)، الشرح الكبير لمختصر الأصول، للشيخ ابن عثيمين ص (٢١٢- ٢١٦ ، ٣١٩- ٣٢٤).

(٤) المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (١١٩١/٣- ١١٩٢).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء:١٦٩ والأحزاب:٦٥ و الجن: ٢٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن عذاب أهل النار غير باق بقاءاً أبدياً لا انقطاع له.

والآية الثانية تدل على أن عذاب أهل النار أبديٌّ لا انقطاع له.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له أبدًا، ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]، وقوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]، وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لا انقطاع له؛ كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي أربعة أوجه لدفع هذا التعارض المتوهم، ثم رجح وجهًا غير ما ذكر، واعتمد في الوجه الثالث على المقرر في الأصول وهو (**أن الظاهر مقدم على المجمل**). فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها: أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل، كما تقرر في الأصول"[2].

سادساً: ذكر بعض أفراد العام بحكم لا يخصصه:

المراد بالعام: هو اللفظ الذي يستغرق ما يصلح له من الأفراد، أو هو اللفظ المستغرق

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (١٩٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص (١٩٦).

لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد.

المراد بالتخصيص: هو قصر العام على بعض أفراده، أو هو صرف العام عن عمومه، وإرادة بعض ما ينطوي تحته من أفراد[1].

و المتقرر أصوليًا: أن ذكر بعض أفراد العام الموافق في الحكم لا يقتضي التخصيص عند الجمهور، بل الأول باقٍ على عمومه[2].

وقد أكد الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المتقرر في عدة مواضع من كتبه فقال رَحِمَهُ اللَّهُ : "أن المقرر في الأصول أن ذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخصصه على مذهب الجمهور خلافًا لأبي ثور[3]. سواء كان العام، وبعض أفراده المذكور بحكمه في نص واحد أو نصين"[4].

وقال في موضع آخر: " وهو الحق كما بيناه في غير موضع"[5].

وقد اعتمد رَحِمَهُ اللَّهُ على ما قرره علماء الأصول في دفع توهم التعارض بين الآيات، من ذلك:

الجمع بين ما يتوهم منه الجاهل أن إنذاره ﷺ مخصوص بأم القرى وما يقرب منها، وما يصرح بعموم إنذاره ﷺ لجميع الناس.

---

(١) ينظر: الإحكام، للآمدي (٢/١٩٥، ٢٨١)، البحر المحيط، للزركشي (٤/٥-٦)، إرشاد الفحول، للشوكاني، ص (٢٨٥، ٣٥٠-٣٥١)، المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/ ١٤٥٩، ١٥٩٥)، أصول الفقه الإسلامي (١/ ٢٣٨، ٢٤٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٣٠٠)، إرشاد الفحول ص (٣٣٦)، أصول الفقه الإسلامي (١/ ٢٦٠- ٢٦١).

(٣) هو: إبراهيم بن خالد الكلبي، الإمام، الحافظ، الحجة، المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور الكلبي يكنى: أبا عبد الله، ولد في حدود سنة (١٧٠هـ)، قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا، وجمع وصنف الكتب، وفرع على السنن، وذب عنها، وتوفي سنة (٢٤٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٢/ ٧٢)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (١/٢٦)، وطبقات الفقهاء، للشيرازي (١/ ١٠١).

(٤) أضواء البيان، للشنقيطي (٤/٤٥٦)، وينظر: (١/٣٥٥)، (٧/٤٥).

(٥) المصدر السابق (٢/٣٥٧).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل بظاهرها أن إنذار الرسول ﷺ خاص فقط بأم القرى وما قرُب منها دون ما بعُد عنها.

والآية الثانية والثالثة تدل على أن إنذاره لجميع الناس.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى: "يتوهم منه الجاهل أن إنذاره ﷺ مخصوص بأم القرى وما يقرب منها؛ دون الأقطار النائية عنها؛ لقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ونظيره قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧]. وقد جاءت آيات أخر تصرح بعموم إنذاره ﷺ لجميع الناس؛ كقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهان لدفع هذا التوهم بين الآيات، ولم يرجح أحدهما، واعتمد في الوجه الثاني على مقتضى الأصول، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "والجواب من وجهين... الوجه الثاني: أنا لو سلمنا- تسليمًا جدليًا- أن قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة- حرسها الله- كجزيرة العرب مثلا، فإن الآيات الأخر نصت على العموم، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ وذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخصصه عند عامة

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (١٩٠).

العلماء...فالآية على هذا القول كقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فإنه لا يدل على عدم إنذار غيرهم، كما هو واضح" وختم كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: "والعلم عند الله تعالى"[١].

سابعاً: المُشَكِّكُ إذا أطلق ولم يقيد بوصف الأشدية انصرف إلى مطلقه:

المراد بالمشَكِّك: اللفظ الموضوع لمعنى كلي مختلف في محاله، ومثاله: (النور)، فهو لفظ وضع لمعنى كلي؛ لأنه يشمل نور الشمس والقمر والمصباح وغيرها، ولكنه يختلف في هــذه المحال بالكثرة أو القلة أو الشدة والضعف[٢].

فإن كان تناول اللفظ المفرد قد اشترك في مفهومه كثيرون تحقيقًا أو تقديرًا فكلي، فإن كان تناوله لجزيئاته على وجه التفاوت الأولية، أولية أو أشدية، فهو(المشكك)، وإن كـــان تناوله لها على السوية فهو (المتواطئ)[٣].

قال الصنعاني[٤]: "المشكك سمي بذلك لأنه أوقع الناظر في الشك، هل هو متـــواطئ

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص (١٩٠).

(٢) ينظر: المهذب في علم أصول الفقه، د. النملة (٣/ ١١١٤)، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، للزركشي (١/ ٤٠٢)، البحر المحيط، للزركشي (٢/٢٨٧)، الإبهاج شرح المنهاج، للبيضاوي (١/ ٣٣٦)، شرح الكوكب المنير، للفتوحي (١/١٣٣-١٣٤)، إرشاد الفحول، للشوكاني (١/٥٢).

(٣) إرشاد الفحول، للشوكاني ص(٥٢)، و ينظر: إجابة السائل شرح بغية الأمل، للصنعاني ص(٢٦٥). المشترك: اللفظ الواحد الذي يطلق على معنيين فكثر، لا تشترك في الحد والحقيقة مثل: "العين"، و "القرء"، كما سبق بيانه، ويشترط فيه حصر معانيه، وتغاير أفراده.أما المتواطئ: هو الذي يحصل معناه في أفراده الذهنية أوالخارجية على السوية مثل "الإنسان"، أو هو: المستوي في الأفراد دون حصر. المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٣/١١١٣)، وينظر: الإبهاج شرح المنهاج، للبيضاوي (١/٢١٠)، نهاية السول، لعبد الرحيم الإسنوي (١/ ٨٧-٨٨)، نفائس الأصول في شرح المحصول، للقرافي (٤/١٩١٢)، البحر المحيط، للزركشي (٢/٢٨٧-٢٨٨).

(٤) هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، ولد سنة (١٠٩٩هـ)، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد بالله) ابن المتوكل على الله، أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام، له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية، وجودة النظر والنقادة، وله نحو مئة مؤلف، منها: "توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار"، و "سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام"، و"منحة الغفار"، وتوفي بصنعاء سنة (١١٨٢هـ).
ينظر: [حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لابن البيطار (ص: ١٠٠٢)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٣٨)].

نظرًا إلى اشتراك الأفراد في أصل المعنى أو مشترك نظرًا إلى التفاوت المذكور"[١].

وقد اعتمد الشيخ الشنقيطي- في دفع توهم التعارض بين الآيات- على ما تقرر من أن المشكك إذا أطلق و لم يقيد بوصف الأشدية انصرف إلى مطلقه[٢].

فجمع الشيخ بين ما يدل ظاهره على أن المسكين ليس عنده شيء، فهو أشد فقرًا من مطلق الفقير، وما يدل على خلاف ذلك، بأن كلاً من اللفظتين هي من الألفاظ المشككة التي تحمل المعنيين معاً مع أنها في أحدهما أشد ظهوراً، لكن إذا أطلق كُلٌ واحد منهما على سبيل الانفراد فإنه يُحمل على المعنيين معاً، فيحمل على إطلاقه.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يدل ظاهرها على أن المسكين أشد فقرًا وحاجة من الفقير، فهو لاصق بالتراب ليس عنده شيء.

والآية الثانية تدل على خلاف ذلك، وأن المسكين عنده شيء؛ لأن الله سماهم مساكين مع أنهم يمتلكون سفينة يؤجرونها.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى: "يدل ظاهره على أن المسكين لاصق بالتراب ليس عنده شيء، فهو أشد فقرًا من مطلق الفقير...وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ﴾ الآية يدل على خلاف ذلك لأنه سماهم مساكين مع أن لهم سفينة عاملة للإيجار"[٣].

(١) إجابة السائل شرح بغية الأمل، للصنعاني (٢٦٥).

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٧٦).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٤٧٤).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

دفع الشيخ الشنقيطي توهم هذا التعارض بين الآيتين على كلا القولين في معنى (المسكين)؛ لأنه قد قيل في معنى المسكين: من عنده ما لا يكفيه، وهناك من قال: إن المسكين لا شيء عنده، فدفع التوهم على كلا القولين.

ثم ضعف هذين الوجهين، وذكر أنه لا دليل عليهما، وساق ما ترجح عنده في الجمع بين الآيتين معتمدًا على مقتضى القاعدة الأصولية في لفظ (الْمُشَكِّك)؛ لأنه اعتبر أن لفظ المسكين: مُشَكِّك، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والذي يظهر لمقيده- عفا الله عنه: أن هذه الأجوبة لا دليل على شيء منها...والذي يتبادر إلى نفس المنصف، أن مجموع الآيتين دل على أن لفظ المسكين مُشَكِّكٌ لتفاوت أفراده، فيصدق بمن عنده ما لا يكفيه؛ بدليل آية "الكهف"، ومن هو لاصق بالتراب، لا شيء عنده؛ بدليل آية "البلد"،كاشتراك الشمس والسراج في النور مع تفاوتهما...والْمُشَكِّكُ إذا أطلق و لم يقيد بوصف الأشدية انصرف إلى مطلقه، هذا ما ظهر، والعلم عند الله"[(١)].

ثامناً: من صيغ العموم المفرد المعرف بأل الاستغراقية:

من صيغ العموم: المعرف بـــ(أل) الاستغراقية مفردًا كان المعرف أو مجموعًا.

-(أل) الاستغراقية سميت استغراقية؛ لأنها تستغرق جميع الأفراد التي يصدق عليها من غير حد بعدد.

-وعلامتها: أن يصلح أن يحل محلها (كُلّ).

-والمفرد الْمُحَلَّى بأل يفيد العموم، وهو مذهب كثير من العلماء، وهو الحق لما يأتي من الأدلة:

١- صحة الاستثناء من المفرد المحلى بأل، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العصر: ٢-٣].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٤٧٥- ٤٧٦).

٢-أنه يؤكد بما يؤكد به العموم، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

٣-أنه ينعت بما ينعت به العموم، وورد ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١][١].

وقد قرر الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقتضى هذه القاعدة عند دفعه لتوهم التعارض بين الآيات، واعتمد عليها في الجمع، من ذلك: الجمع بين ما يدل ظاهره على أن المخبر عنه أنه في خسر، إنسانٌ واحد، وما يقتضي أنه ليس إنسان واحد.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ١- ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يدل ظاهرها أن المخبر عنه بأنه خاسر إنسان واحد.

والآية الثانية تدل على خلاف ذلك؛ لأن المستثنى من الخسارة جمع.

قال الشيخ الشنقيطي- بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن هذا المخبر عنه أنه في خسر، إنسان واحد، بدليل إفراد لفظة الإنسان، واستثناؤه من ذلك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقتضي أنه ليس إنسانًا واحدًا"[٢].

---

(١) ينظر: المهذب في علم أصول الفقه، د.النملة (٤/١٥٠٢- ١٥٠٣)، أصول الفقه الإسلامي، أ.د.وهبة الزحيلي (١/٢٤١- ٢٤٢)، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د. مصطفى الخن، ص (١٩٨- ١٩٩)، وينظر: الانتصار، للباقلاني (٢/٧١٨)، المستصفى، للغزالي، ص (٢٢٥)، روضة الناظر، لابن قدامة، ص (٦٦٥- ٦٦٦)، البحر المحيط، للزركشي (٤/١٣٢- ١٣٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٥٠١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

دفع الشيخ الشنقيطي هذا التعارض المتوهم بالاعتماد على ما تقرر في الأصول أن من صيغ العموم المعرف بأل الاستغراقية فلفظ (الإنسان) في الآية مفرد معرف (بـأل) المفيدة للاستغراق فيدل على استغراقه، لكل فرد من أفراد الإنسان، إلا ما استثني، في الآية التي بعدها.

قال الشيخ الشنقيطي: "والجواب عن هذا: هو أن لفظ الإنسان- وإن كان واحدا- فالألف واللام للاستغراق؛ يصير المفرد بسببهما صيغة عموم، وعليه فمعنى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ أي: كل إنسان لدلالة الاستغراق على ذلك. والعلم عند الله تعالى"[1] [2].



(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٥٠١).

(٢) ولمزيد من الأمثلة على هذا المبحث ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٦٩، ١٢٩، ١٥٦، ٢٣٠، ٢٤٧، ٢٦٢،، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٨٩، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٨١، ٤٩١، ٥٠٤).

المبحث السادس

الجمع بإعمال قواعد الترجيح عند المفسرين

تعريف قواعد الترجيح:

لم يتعرض لتعريف "قواعد الترجيح" كاسمٍ مركَّبٍ أحدٌ من المتقدمين ـ فيما أعلم ، ولكن عرَّفه من المتأخرين د.حسين الحربي، وأحسنَ في تحديد معالمه؛ حيث قال:

"قواعد الترجيح عند المفسرين: ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله"[1].

والغاية منها:

- تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها من أقوال شاذة أو ضعيفة أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي ونحو ذلك.

- معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول، في تفسير كتاب الله، ومن ثمَّ العمل بها اعتقادًا، إن كانت من آيات العقيدة، وعملا بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية، وسلوكا وأدبًا إن كانت من آيات الأخلاق والآداب.

وتستمد هذه القواعد من أصول الدين، ومن لغة العرب، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن، واستقراء وترجيحات أئمة التفسير[2].

صيغ الترجيح عند الشنقيطي ودلالاتها:

المراد بصيغ الترجيح عند الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ هي العبارات والألفاظ التي استعملها في كتابه عند ترجيحه لأحد الأقوال في معنى الآية، أو ترجيحه لوجه الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض والاختلاف.

ومن أبرز هذه الصيغ:

أولا: الترجيح بلفظ صريح؛ وله صور عنده، منها:

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (٣٢/١).

(٢) المصدر السابق (٣٣/١).

الصحيح: كقوله: (أصح من الأول، وهو الأصح، إلا أن الصحيح، هو الصحيح)[١].

الصواب: كقوله: (يظهر لي أن الصواب، الصواب، يظهر لي صوابه)[٢].

الظاهر: كقوله: (هو الأظهر، والذي يظهر، قال مقيده عفا الله عنه: والذي يظهر، ولكن الأول أظهر، وهو أظهرها، أظهر عندي)[٣].

التحقيق: كقوله: (التحقيق، هو التحقيق)[٤].

الحق: كقوله: (وهو الحق، هو الحق)[٥].

القرب: كقوله: (أحسنها وأقربها عندي، وأقرب تلك الوجوه، من أقربها، وأقرب الأوجه)[٦].

ثانيا: ترجيح أحد الأقوال بتضعيف ما سواه من الأقوال، وله صور عنده:

أ - وصف القول بأنه **ضعيف**، وهذه الصيغة تدل على ترجيح الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ لغير هذا القول الضعيف، وأن غيره أولى منه[٧]، ومن أمثلتها، قوله:

(ولا يخفى ضعفه، يظهر ضعفه، فهو ضعيف، وهو أضعفها)[٨].

ب - وصف القول **بالبعد**، وهذا يدل على ترجيح الشنقيطي للقول الآخر في المسألة، وردِّ هذا القول[٩]، ومن أمثلة ذلك قوله:

(ولا يخفى بُعْد هذا القول، ولا يخلو هذا القول عندي من بُعْد، ولا يخفى بعده عن ظاهر القرآن)[١٠].

ومما لا شكَّ فيه أن تنوع تلك الصيغ واختلافها ليس عبثًا؛ خصوصا عند العلماء الأعلام مثل الشيخ الشنقيطي، ويرجع تنوع تلك الصيغ إلى ما يلي:

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٥٧، ٩٠، ١٥٤، (٢٠٥، ٢٥٢، ٣٦٩)).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (١٣١، (١٧٦، ١٨١)، ٢٣٢).

(٣) للمصدر السابق، ص (١٠٥، ١٢٢، (١٥٤، ١٥٩، ١٦٥، ١٧٠، ٣١٧، ٤٧٥)، ١٨٨، ٢٠٩، (٢٧٦، ٣١٩)).

(٤) المصدر السابق، ص (٧٧، ١٣٤، ٢٥٧، ٤١٢، ٤٤٧).

(٥) المصدر السابق ، ص (٧٥، ٧٨، ١٢٤، ١٤٢، ١٩٢، ٢٤١).

(٦) المصدر السابق ، ص ((٨٠، ١١١، ٣٠٧)، ٢٠٤، (٢٠٨، ٣٦٧)، ٢٥٠).

(٧) ترجيحات الشنقيطي في غير أضواء البيان، للشراري، ص(٣٥).

(٨) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٤٠، ٦٢، (٤٥، ٣٥٤)، (١٨٥، ٣١٥)).

(٩) ترجيحات الشنقيطي في غير أضواء البيان، للشراري، ص(٣٧).

(١٠) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٢٤٤، (٣١١، ٤٦٨)، ١٨٥، ١٨٩).

أولاً: أن هذا التنوع من أساليب اللغة العربية، فمن أساليب العرب في الكلام إيراد المعنى الواحد بألفاظ متعددة، والشنقيطي كما هو معلوم يعدُّ إمامًا في العربية.

ثانياً: اختلاف الأدلة من حيث القوة والضعف، فإذا كان في المسألة الواحدة أقوال متعددة، وأحدها أصح دليلا من الأدلة الباقية، فإنه يعبر عن هذا القول الراجح بصيغة صريحة تدل على ترجيحه ورد غيره من الأقوال[١].

أما إذا كانت الأقوال في المسألة متقاربة من حيث قوة الأدلة، وظهر للشنقيطي ترجيح أحد هذه الأقوال فإنه يعبر عنه بصيغة تدل على ترجيحه مع احتمال غيره من الأقوال[٢].

والمراد بإعمال قواعد الترجيح عند الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي الطرق أو المسالك التي سلكها في ترجيحه لأحد أوجه الجمع بين الآيات المتوهم تعارضها؛ معتمدا في ذلك على قاعدة ترجيحيه أعملها، أي: عمل بمنطوقها، كأن يكون الترجيح بإعمال قواعد الترجيح، المتعلقة بالنص القرآني، أو المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن، أو المتعلقة بلغة العرب.

لقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات هذا المسلك – إعمال قواعد الترجيح – في كتابه، والأمثلة على ذلك كثيرة، **أذكر منها**:

المثال الأول:

دفع ما يوهم أن الإحسان بالوالدين وعدم الشرك حرام، إذ هما مما يتلوه الله على أنه حرمه، مع أن الواقع خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [الأنعام:١٥١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الأنعام:١٥١].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٧٨، ١١٢، ١٤٢، ٢٥٧، ٢٨١، ٤١٢).

(٢) المصدر السابق، ص(٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٩)، وينظر: ترجيحات الشنقيطي في غير أضواء البيان، للشراري، ص(٣٩).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

جاء في أول الآية ما يدل على أنه سيتلو عليهم أمورًا حرمها الله عليهم، ثم ذكر بعد ذلك عدم الشرك بالله والإحسان بالوالدين، فيوهم أنهما مما حرمه الله عليهم، والواقع خلاف ذلك.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتوهم بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية تدل على أن هذا الذي يتلوه عليهم حرمه ربهم عليهم، فيوهم أن معنى قوله:﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١] أن الإحسان بالوالدين وعدم الشرك حرام! والواقع خلاف ذلك، كما هو ضروري"[(١)].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره لوجه الإشكال بين الآيتين ذكر أن للعلماء كلامًا كثيرًا ومناقشاتٍ، فذكر منها:

ثلاثة أوجه من أوجه الجمع، ثم رجَّح وجها واحدًا، وبين سبب ترجيحه له، ثم ذكر وجهين آخرين يأتيان في القرب عنده بعد هذا الوجه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وأقرب تلك الوجوه عندنا هو ما دل عليه القرآن؛ لأن خير ما يفسر به القرآن: القرآن.

وذلك أن قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]. مضمن معنى: ما وصاكم ربكم به تركا وفعلا"[(٢)].

ثم ذكر ما يؤيد ترجيحه:

أولا: السياق القرآني: فالقرآن يفسر بعضه بعضًا، فقد جاء في آية ما يدل على هذا المعنى، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنما قلنا: إن القرآن دلَّ على هذا؛ لأن الله رفع الإشكال، وبين مراده

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٠٣).

(٢) المصدر السابق، ص(٢٠٤).

بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] فيكون المعنى: وصَّاكم ألا تشركوا".

وهذا هو مضمون القاعدة الترجيحية: (**القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدم ذلك**).

وكذلك للقاعدة الترجيحية: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما إلا بدليل يجب التسليم به**)[1].

ثانيا: أن هذا معروف في لغة العرب: فالعرب قد تستعمل الإيصاء مع النفي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونظيره من كلام العرب، قول الراجز:

حج وأوصى بسليمى الأعبدا... أن لا ترى ولا تكلم أحدا"[2].

وهذا هو مضمون القاعدة الترجيحية: (**يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر**)[3].

ثم عاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكد على رجحان هذا الوجه عنده، بعد ذكره للوجهين، فقال: "ولكن الأول هو الصحيح إن شاء الله تعالى، وعليه فلا إشكال في الآية"[4].

وهذا الترجيح من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الوجه في دفع التعارض المتوهم في الآية، فيه إعمال لما سبق ذكره من القاعدات الترجيحيات.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (١/٢٨١)، (١/١١١).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٠٤)، الرجز بلا نسب في :معاني القرآن للفراء (١/٣٦٤) وتفسير الطبري (١٢/٢١٦)، تفسير ابن كثير، (٣/٣٦٠)، وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٣٦٠) : "وكأن في الكلام محذوفا دلَّ عليه السياق، وتقديره: وأوصاكم ألا تشركوا به شيئًا، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (٢/٢٤).

(٤) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٢٠٣ـ ٢٠٥)، لمزيد من الأمثلة ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٠٤ (١٠٤، ٢١٤، ٢٣٠، ٣٧٣، ٤٤٢، ٤٨٢، ٤٩٠).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يفهم منه أن التذكير لا يطلب إلا عند مظنة نفعه، وما يدل على الأمر بالتذكير مطلقًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى:٩].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى يفهم منها أن التذكير لا يطلب إلا عند من يظن أنه سينتفع منها.

والآية الثانية والثالثة فيها الأمر بالتذكير مطلقًا.

قال الشيخ الشنقيطي في تحريره لوجه الإشكال والتوهم بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة يفهم منها: أن التذكير لا يطلب إلا عند مظنة نفعه، بدليل إن الشرطية".

وقد جاءت آيات كثيرة تدل على الأمر بالتذكير مطلقا، كقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١] وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]"[١].

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي أنه أجيب عن هذا بأجوبة كثيرة، فذكر منها خمسة أوجه، ثم رجَّح بقاء الكريمة على ظاهرها، فقال:

"والذي يظهر لمقيد هذه الحروف -عفا الله عنه-، هو بقاء الآية الكريمة على ظاهرها، وأنه ﷺ بعد أن يكرر الذكرى تكريرًا تقوم به حجة الله على خلقه، مأمور بالتذكير عند ظن

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٥٣).

الفائدة، أما إذا علم عدم الفائدة فلا يؤمر بشيء هو عالم أنه لا فائدة فيه، لأن العاقل لا يسعى إلى ما لا فائدة فيه"[١].

ثم طرح سؤالا رَحِمَهُ اللَّهُ قد يتبادر لذهن القارئ، وأجاب عنه مبينًا وموضحًا له، وهو: بأي وجه يتيقن عدم إفادة الذكرى، حتى يباح تركها؟[٢].

ثم عاد لتأكيد الوجه الذي رجَّحه، فقال: "وإنما اخترنا بقاء الآية على ظاهرها - مع أن أكثر المفسرين على صرفها عن ظاهرها المتبادر منها، وأن معناها: فذكرْ مطلقًا إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع - لأننا نرى أنه لا يجوز صرف كتاب الله عن ظواهره إلا لدليل يجب الرجوع إليه"[٣].

وترجيح الشيخ الشنقيطي هذا الوجه لدفع توهم التعارض، وتأكيده عليه، وذكره لسبب الترجيح، موافق لمضمون القاعدة الترجيحية: **(أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه)**[٤]. ويعتبر إعمالا منه لهذه القاعدة.

المثال الثالث:

الجمع بين ما يدل على الأمر ببر الوالدين الكافرين، وما يفهم منه خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ [المجادلة:٢٢].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٥٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص(٤٥٦ـــ ٤٥٨).

(٣) المصدر السابق، ص(٤٥٨).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (١/١٢٢)، وينظر مزيدًا من الأمثلة، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٦٠).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تأمر ببرّ الوالدين الكافرين.

والآية الثانية يفهم منها خلاف ذلك.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على الأمر ببر الوالدين الكافرين، وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ [المجادلة:٢٢].

ثم نص على دخول الآباء ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]"[1].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد تحريره رَحِمَهُ اللَّهُ لوجه الإشكال والتوهم شرع في دفع توهم هذا التعارض؛ فذكر وجها واحدًا ورجَّحه بقوله: "والذي يظهر لي"، وهو التفريق بين معنى المصاحبة بالمعروف في الآية الأولى والمودة في الآية الثانية، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

"ووجه الجمع بينهما أن المصاحبة بالمعروف أعم من الموادة، لأن الإنسان يمكنه إسداء المعروف لمن يوده ومن لا يوده، والنهي عن الأخص لا يستلزم النهي عن الأعم:

فكأن الله حذر من المودة المشعرة بالمحبة والموالاة بالباطن لجميع الكفار، يدخل في ذلك الآباء وغيرهم، وأمر الإنسان بأن لا يفعل لوالديه إلا المعروف، وفعل المعروف لا يستلزم المودة؛ لأن المودة من أفعال القلوب لا من أفعال الجوارح"[2].

وأيّد ترجيحه بالحديث، فقد استدلّ بإذنه ﷺ لأسماء بنت أبي بكر الصديق أن تصل أمها وهي كافرة[3].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٣٣٧).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٣٧)، وينظر لمزيد من الأمثلة: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٥٧، ٣٩٥، ٢٢٢، ٢٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك (٥٩٧٨)، (٤/٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم (١٠٠٣)، (٢/٦٩٦).

وهذا الترجيح منه رَحِمَهُ اللَّهُ موافق لمضمون القاعدة الترجيحية: (**إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه**)[١]، وأيضًا إعمالا منه لهذه القاعدة.

المثال الرابع:

الجمع بين ما يدلُّ بظاهره على أن المكرَه على الكفر لا يفلح أبدًا، وما يدل على أن المكرَه على الكفر معذورٌ؛ إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن المكره على الكفر غير معذور، ولا يفلح أبدًا.

والآية الثانية تدل على أنه معذور بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ محررًا وجه الإشكال والتعارض بعد ذكره للآية الأولى:

"قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢٠] هذه الآية تدل بظاهرها على أن المكرَه على الكفر لا يفلح أبدا.

وقد جاءت آية أخرى تدل على أن المكره على الكفر معذور إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦] [٢].

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (١/١٨٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٧٤).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

وبعد أن بين وجه الإشكال والتعارض بين الآيتين، شرع في ذكر ما يدفعه، وذكر وجهين[١]: فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: وهو أن رفع المؤاخذة مع الإكراه من خصائص هذه الأمة فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ويدلُّ لهذا قوله ﷺ: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه"[٢]. فهو يدل بمفهومه على خصوصه بأمته رَحِمَهُ اللَّهُ"[٣].

ثم قال بعد ذكره لأوجه الجمع: "والأول أظهر عندي وأوضح والله أعلم"[٤].

وهذا الترجيح من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يوافق القاعدة الترجيحية: **(أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجَّح على ما خالفه)**[٥]، وأيضًا إعمالا منه لهذه القاعدة الترجيحية.

المثال الخامس:

الجمع بين ما يفهم منه كون عذاب أهل النار غير باقٍ بقاءً لا انقطاع له أبدًا، وما يدل على أن عذابهم لا انقطاع له.

---

(١) المصدر السابق، ص(٢٧٤ــ ٢٧٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، حديث (٢٠٤٥)، (٣/٢٠١)، من طريق عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ، وصححه الألباني في: "الإرواء" (١/ ١٢٣/٨٢)، و"المشكاة" (٦٢٨٤).

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٧٤).

(٤) المصدر السابق، ص(٢٧٤-٢٧٦)

(٥) ينظر: لمزيد من الأمثلة على هذه القاعدة: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٩٥، ٢٢٢، ٣٣٧).

الآيات:

قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ [النبأ:٢٣].

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [النساء:١٦٩، والأحزاب:١٠٦، والجن:٢٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن عذاب أهل النار غير باقٍ بقاءً لا انقطاع له أبدًا، والآية الثانية تدل على أن عذاب أهل النار مستمر لا انقطاع له.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظير هذه الآية في سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] -: "هذه الآية يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باقٍ بقاءً لا انقطاع له أبدًا، ونظيرها...وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لا انقطاع له؛ كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [النساء:١٦٩، والأحزاب:١٠٦، والجن:٢٣]"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي للجمع بين الأحقاب المذكورة هنا مع الدوام الأبدي ثلاثة أوجه، ورجَّح الوجه الأول، وذكر سبب الترجيح.

فقال: "الأول وهو الذي مال إليه ابن جرير، وهو الأظهر عندي؛ لدلالة ظاهر القرآن عليه: هو أن قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ متعلق بما بعده؛ أي: لابثين فيها أحقابا في حال كونهم ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾ [النبأ:٢٤-٢٥] فاذا انقضت تلك الأحقاب عُذِّبوا بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغسَّاق"[٢].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(١٩٤).

(٢) المصدر السابق، ص(٤٤٢).

فالآية التي بعدها تبينها بقرينة سورة (ص) فهي بيان قرآني واضح، وخير ما يفسَّر به القرآنُ القرآنُ، وهذا التفسير دلَّت عليه آية (ص) دلالة واضحة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾ [ص:٥٥-٥٨].

فصرَّح هنا: "بأنهم يعذبون بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق"[١].

وهذا القول الذي مال إليه رَحِمَهُ اللَّهُ يوافق القاعدة الترجيحية: (**أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية فهو مقدمٌ على ما عُدم ذلك**)[٢].

وأيضا هذا القول يؤيده سياق الآيات التي بعدها، إذن فهو موافق للقاعدة الترجيحية التي تقول: (**إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك**)[٣].

وهذا الترجيح من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إعمالٌ لهاتين القاعدتين.

المثال السادس:

الجمع بين ما يدل على أن المدد من الملائكة يوم بدر: من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، وما جاء في سورة الأنفال أن هذا المدد ألف.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران:١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

---

(١) المصدر السابق، ص(٤٤٣).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (٢٨١/١).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (١١/٢)، لمزيد أمثلة على هذه القاعدة ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٤٣، ٤٨٥، ٤٤٧).

بيان الوجه الموهم للتعارض:

هذه الآية تدل على أن المدد من الملائكة من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف.

والآية الثانية تدل على أن هذا المدد ألف.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية تدل على أن المدد من الملائكة يوم بدر: من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، وقد ذكر تعالى في سورة الأنفال أن هذا المدد ألف"[١].

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي للجمع بين هذا التعارض المتوهم وجهين، ورجَّح الثاني منهما، وأيَّده بقراءة نافع[٢].

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب عن هذا من وجهين...، الثاني: أن آية (الأنفال) لم تقتصر على الألف، بل أشارت إلى الزيادة المذكورة في (آل عمران)".

ثم ذكر ما يؤيد هذا الوجه، فقال: "ولا سيما في قراءة نافع: ﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ بفتح الدال على صيغة المفعول؛ لأن معنى (مُرْدَفِينَ) متبوعين بغيرهم، وهذا هو الحق"[٣].

وهذا من فوائد تعدد القراءات: إضافة معنىً جديد؛ فقراءة نافع أضافت معنى جديدًا، وهو متبوعين بغيرهم.

وهذا الترجيح من الشيخ الشنقيطي موافق لمضمون القاعدة الترجيحية، وهو إعمالٌ منه لها: (إذا ثبتت القراءة، فلا يجوز ردُّها، أو ردُّ معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة)[٤].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(١٢٣-١٢٤).

(٢) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أبو رويم الأصبهاني، الإمام، حبر القرآن، أبو رويم، ولد: في خلافة عبد الملك بن مروان، سنة بضع وسبعين، وجوَّد كتاب الله على عدة من التابعين، وممن قرأ على هذا عليه: مالك الإمام، وكان أسود اللون، طيب الخلق، يباسط أصحابه، توفي: (١٦٩هـ). ينظر: العبر، للذهبي: (١/٢٥٧)، طبقات القراء، لابن الجزري (٢/٣٣٠ – ٣٣٤)، شذرات الذهب، لابن العماد (١/٢٧٠).

(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه ص(١٦٩)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(١٢٤).

(٤) ينظر: ترجيحات الشنقيطي في غير أضواء البيان، للشراري، ص(١٥٨)، قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (٧٩/١).

المثال السابع:

الجمع بين ما يدل على أن من لم يهاجر فإنه لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر، وما يفهم منه خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال:٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن من لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين، والآية الثانية تدل على خلاف ذلك، وهو ثبوت الولاية بين المؤمنين.

قال الشيخ الشنقيطي بعد ذكره للآية الأولى: "هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر، وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك، وهي: قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

فإنها تدلُّ على ثبوت الولاية بين المؤمنين، وظاهرها العموم"(١).

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

بعد تحريره رَحِمَهُ اللَّهُ لوجه الإشكال والتعارض، ذكر وجهين لدفع هذا التوهم:

الأول: الولاية المنفية: الميراث بينهم.

الثاني: الولاية المنفية القسم من الغنائم والخمس.

ورجَّح الشيخ الشنقيطي أن الولاية عامة لا تخصُّ الميراث أو الغنائم، فقال: "ولا مانع من تناول الآية للجميع؛ فيكون المراد بها نفي الميراث بينهم، ونفي القسم لهم من الغنائم والخمس"(٢).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٢٠).

(٢) المصدر السابق، ص(٢٢١).

وهذا الترجيح منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ موافق لمضمون القاعدة الترجيحية التي تنصُّ على: **(أن نصوص الوحي تُحمل على العموم ما لم يرد دليل على التخصيص)**[١].

يتبين مما سبق ذكره من الأمثلة، كيف أن الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان من منهجه في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات: **الجمع بإعمال قواعد الترجيح عند المفسرين**، فقد سلك هذا المسلك، فجمع بين الآيات المتوهم تعارضها، وأعمل تلك القواعد، في اختيار وجه الجمع الراجح عنده[٢].



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي (٢/١٦٦)، و ترجيحات الشنقيطي في غير أضواء البيان، للشراري، ص(٧٦٥).

(٢) ينظر لمزيد من الأمثلة والقواعد عليها: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٩٠،٢٣، ٢٣٨، ٣٧٠، ٤٣٠، ٤٣٣).

المبحث السابع

النسخ

مما لا شك فيه، أن موضوع النسخ من أهم الموضوعات وأجلها قدرًا في شريعتنا؛ لأن مدار الدين كتاب الله؛ لذا كان السلف الصالح يرون معرفة الناسخ والمنسوخ شرطًا في أهلية المفسر للتفسير والمحدث للتحديث.

ولأجل ذلك اعتنى به العلماء، وكتبوا فيه مؤلفات مستقلة كثيرة جدًا في القديم والحديث لأهميته، ولما يترتب على معرفته من الفهم الصحيح لكلام الله وخطابه.

وإن من أفضل مَنْ كتب في موضوع النسخ في القرآن الكريم من المتقدمين أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في كتابه "الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن".

وأفضل من كتب فيه من المتأخرين الدكتور مصطفى زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "النسخ في القرآن الكريم"، وقد كتب الدكتور عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي - حفظه الله - كتابه "الآيات المنسوخة في القرآن الكريم" ذكر فيه ما ثبت عنده نسخه من الآيات وعددها تسع آيات فقط في سبعة مواضع[2].

---

(١) هو: القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد، الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة، قرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي وإسماعيل بن جعفر وغيرهما، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد وجماعة، كان أبو عبيد فاضلا في دينه وفي علمه، ربانيا مفننا في أصناف علوم الإسلام من القرآن، والفقه والعربية والأخبار، من كتبه: "الغريب المصنف"، و"الطهور"، و"أدب القاضي" "فضائل القرآن"، توفي سنة (٢٢٤هـ). ينظر: [الطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/ ٣٥٥)، وتاريخ بغداد، للبغدادي (١٢/ ٤٠٣ - ٤١٦)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٠/ ٣٠٤)].

(٢) ينظر: الآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(١٥٥).

وبهذا يتبين أن الآيات المنسوخة في القرآن الكريم قليلة جدًا، وليس كما يصورها البعض بأنها بالمئات.

فالمتأمل في كتب الناسخ والمنسوخ يجدها بين إفراط وتفريط في القول بالنسخ:

- فكثير منهم عدَّ من النسخ ما ليس منه؛ كالتخصيص والتقييد والإجمال، وجعلوا آية السيف ناسخة لأكثر من مائة آية.

- وقلة من العلماء منعوا القول بالنسخ في القرآن، وأغلبهم من المعاصرين، وما ذكر عن **أبي مُسْلِم الأصفهاني**[1] من منع القول بالنسخ تبين أنه خلاف لفظي، والتحقيق أنه لم ينكر القول بالنسخ، وإنما يراه من باب تخصيص الأزمان[2].

- وعدد من العلماء توسطوا وقبلوا النسخ بشروطه، وميزوا بينه وبين غيره من أساليب الخطاب، وعلى رأسهم الإمام **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن العلماء المتميزين فيه الإمام ابن جرير **الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره؛ حيث حرَّر مسائل النسخ وآياته تحريرًا بالغًا، وهو عمدة وحجة في هذا الباب.

كما أن ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ برز في تحرير مسائل النسخ ومواضعه[3].

ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ ذكر النسخ هنا ليس من باب الترتيب، بمعنى أنه إذا تعذر الجمع والترجيح انتقلنا للنسخ، بل لابدَّ من تحقق شروط النسخ كاملة، وهي:

١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعيًا.

٢- أن يكون الحكم خطابا شرعيا متراخيا عن الخطاب المنسوخ حكمه.

---

(١) هو: محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب، يكنى أبا مسلم، ولد سنة (٢٥٤هـ)، كان كاتبا مترسلا بليغا متكلما جدلا، معتزليا، من كتبه "جامع التأويل" في التفسير، و"الناسخ والمنسوخ"، توفي سنة (٣٢٢هـ). ينظر: [معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٦/٢٤٣٧)، والوافي، للصفدي (٢/ ٢٤٤)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/٥٩)].

(٢) ينظر: الآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(٦٦ـــ ٧٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص(١٥٥ ـــ ١٥٦).

٣- ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعدُّ نسخًا.

٤- أن يكون بين الدليلين تعارض حقيقي؛ بحيث لا يمكن الجمع بينهما أو إعمالهما معًا[1].

فإن لم توجد هذه الشروط انتقلنا إلى التوقف كما سيأتي.

وبذلك يعلم أن النسخ لا يعدو كونه طريقة من طرق دفع توهم التعارض الوارد على الآيات عند البعض بشروط وضوابط، وليس مرتبة يصار إليها بطريقة آلية إن صح التعبير.

هناك أمور يجدر التنبيه إليها في هذا المبحث:

١- من المسلَّم به أن كون الآية ناسخة أو منسوخة أمر توقيفي لا يعلم إلا من طريق الشارع.

٢- لابدَّ من التعارض بين النصين في الظاهر، أي لابدَّ أن يكون الناسخ متضادًا مع المنسوخ.

٣- لا يدخل في هذا البحث إلا النوع الثالث من أنواع النسخ وهو نسخ الحكم وبقاء التلاوة؛ لأن توهم التعارض لابدَّ فيه من وجود الآيات المتعارضات في الظاهر[2].

٤- لم يقع الاتفاق بين العلماء على النسخ إلا في آية واحدة، وهي آية تقديم الصدقة

---

(١) دراسات في علوم القرآن، أ.د.فهد الرومي ص(٤٠٥)، وينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (٢٣٨)، والناسخ والمنسوخ، د. مصطفى زيد، ص(٢٤٨ ــ ٣١٣).

(٢) وهو من أشهر الأنواع وهو الذي أُلفت فيه الكتب:

النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم (مثل آية التحريم بعشر رضعات).

النوع الثاني: نسخ التلاوة وبقاء الحكم (مثل آية الرجم) "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة". والحديث رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب الرجم، حديث رقم (٢٥٥٣)، (٥٨٨/٣)، والنسائي في الكبرى، كتاب الرجم باب تثبيت الرجم (٧١١٨)، (٤١١/٦)، والحاكم في المستدرك (٣٥٩/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧٢/٦)، حديث رقم (٢٩١٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

لأجل النجوى بين يدي النبي ﷺ، وأما غيرها من الآيات ففيها خلاف[١].

٥- المنهج في قبول النسخ: قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: "والصحيح في النظر عندي: أن لا يحكم بنسخ شيء من القرآن، إلا ما قام عليه الدليل الذي لا مدفع له ولا يحتمل التأويل"[٢].

وهذه العبارة منه رَحِمَهُ اللَّهُ عبارة جامعة مع قلة ألفاظها، وهي في غاية الدقة في إعطاء منهجٍ يُسار عليه في قبول النسخ ورفضه.

٦- أن من أسباب الخلاف في النسخ هو عدم الاتفاق على مدلول النسخ عند المؤلفين في الناسخ والمنسوخ.

وقد أشار إلى ذلك مجموعة من العلماء، وممن أبرز ذلك الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في موافقاته[٣].

ولقد كان من المسالك التي سلكها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في دفع توهم التعارض والاختلاف بين الآيات في كتابه مسلك النسخ.

ومما يحسن الإشارة إليه أن ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ للنسخ في الجواب على توهم التعارض بين الآيات لا يعني قوله به، وإنما ذَكَرَهُ لأنه مما قد قيل في الجواب على هذا التوهم[٤].

وأحيانًا يشير إلى تضعيف القول به[٥]، وإذا كان يرى النسخ بين الآيات فإنه في الغالب يشير له ويرجح[٦].

---

(١) ينظر: الآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(١٥٥ ــ ١٥٦).

(٢) الاستذكار، لابن عبد البر (٧/٤٦١).

(٣) ينظر: الموافقات، للشاطبي ص(٣٤٠ ــ ٣٦٠)، والآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي ص(١٥٥).

(٤) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٩٣، ١٢٠، ٢٢٧، ٤١٥).

(٥) المصدر السابق، ص(٣٥٤).

(٦) المصدر السابق، ص(٧٧، ٧٨، ١٤٢، ٢٥٧، ٣٤٦).

والأمثلة على سلوك هذا المسلك في دفع التوهم كثيرة، أذكر منها:

المثال الأول:

الجمع بين وجوب قيام الليل على الأمة، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل:١-٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل:٢٠].

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:٢٠].

وقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على أن قيام الليل واجب على الأمة.

والآية الثانية: تدل على خلاف ذلك، وأن قيام الليل تطوع.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتوهم بين الآيات -بعد ذكره للآية الأولى والثانية-: "يدل على وجوب قيام الليل على الأمة؛ لأن أمْر القدوة أمْـرٌ لأتباعه، وقوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ دليل على عدم الخصوصية به ﷺ، وقد ذكر ما يدل على خلاف ذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، وقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهًا واحدًا في دفع هذا التعارض المتوهم، وهو نسخ الآية الأولى للآية الثانية.

فقال: "والجواب ظاهر، وهو أن الأخير ناسخ للأول، ثم نسخ الأخير أيضًا بالصلوات الخمس"[1].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٣٥). وينظر: الناسخ والمنسوخ عن قتادة ص(٥٠)، الناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام (٢٥٦ ــ ٢٥٧)، والنسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ص(٨٠٨ ــ ٨١٦)، والآيات المنسوخة في القرآن، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(١٠٤ ــ ١٠٧).

المثال الثاني:

الجمع بين ما يدل على طلب تقديم الصدقة لأجل النجوى بين يدي النبي ﷺ وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [المجادلة:١٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [المجادلة:١٢].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [المجادلة:١٣].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى تدل على طلب تقديم الصدقة لأجل النجوى.

والآية الثانية: تدل على خلاف ذلك.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتوهم بين الآيات -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية تدل على تقديم الصدقة أمام المناجاة، وقوله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ...﴾ الآية [المجادلة:١٣] يدل على خلاف ذلك".

وجوه دفع إيهام التعارض بين الآيات:

ذكر الشنقيطي لدفع هذا التعارض المتوهم وجهًا واحدًا وهو أن الآية الثانية ناسخة للأولى.

فقال: "والجواب ظاهر؛ وهو: أن الأخير ناسخ للأول، والعلم عند الله تعالى"[١].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٤١٣).

وهذا الموضع هو الموضع المتفق على نسخه[1] كما سبق الإشارة إليه في أول المبحث[2].

المثال الثالث:

الجمع بين ما يدل بظاهره على أن الواحد من المسلمين يجب عليه مصابرة عشرة من الكفار، وما يدل على خلاف ذلك.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٥].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ الآية [الأنفال:٦٦].

الوجه الموهم للتعارض بين الآيات:

جاء في الآية الأولى ما يدل على أنه لا يجوز أن يفرَّ المقاتلُ الواحد من العشرة، وهكذا.

وفي الآية الثانية جاء ما يدل على خلاف ذلك.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحرير وجه الإشكال والتوهم -بعد ذكره للآية الأولى: "ظاهر هذه الآية أن الواحد من المسلمين يجب عليه مصابرة عشرة من الكفار، وقد ذكر تعالى ما يدل على خلاف ذلك بقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ الآية [الأنفال:٦٦]"[3].

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

لم يذكر الشنقيطي لدفع توهم التعارض إلا وجهًا واحدًا، وهو: أن الآية الثانية ناسخة للآية الأولى.

---

(١) الآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(٩٧).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ عن قتادة ص(٤٧ ــ ٤٨)، والناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام ص(٢٥٨ ــ ٢٥٩)، والنسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ص(٨١٩ ــ ٨٢١)، والآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(٩٥ــ ٩٧).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢١٩).

فقال: "والجواب عن هذا، أن الأول منسوخ بالثاني، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٦].

ثم ختم جوابه بقوله: "والعلم عند الله تعالى"(١).

المثال الرابع:

الجمع بين ما يدل بظاهره على تخيير القادر على صوم رمضان بين الصوم والإطعام، وما يدل على تعيين الصوم عليه.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة:١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥].

الوجه الموهم للتعارض بين الآيتين:

الآية الأولى: ظاهرها يقتضي التخيير للقادر على الصوم بين الصوم والإفطار مع الإطعام.

والآية الثانية: تدل على خلاف ذلك؛ وهو فرض الصوم على القادر إذا شهد الشهر.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتوهم -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن القادر على صوم رمضان مخير بين الصوم والإطعام، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على تعيين وجوب الصوم، وهي قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥]".

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

ذكر الشنقيطي في دفع التعارض المتوهم بين الآيات وجهين، ورجَّح الوجه الأول وهو القول النسخ، بقوله: (وهو الحقُّ)، وهو أن الآية الثانية ناسخة للآية الأولى، فقال:

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢١٩)، وينظر: الناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام ص(١٩٢-١٩٤)، والنسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ص(٨٢١-٨٢٨)، والآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي ص(٩٩-١٠٤).

"والجواب عن هذا بأمرين:

أحدهما: وهو الحق، أن قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ منسوخ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

ثم تابع في ذكر الوجه الثاني للجمع[1].

المثال الخامس:

الجمع بين ما يدل على أن الزانية لا تجلد، بل تحبس إلى الموت، أو إلى أن يجعل الله لها سبيلا، وما يدل على أنها لا تحبس، بل تجلد مائة إن كانت بكرًا.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَالَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥].

وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

الوجه الموهم للتعارض بين الآيات:

الآية الأولى: تدل على أن عقوبة الزانية الحبس إلى الموت، أو إلى أن يجعل الله لها سبيلا.

والآية الثانية: تدل على أن عقوبتها الجلد مائة.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتوهم -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية تدل على أن الزانية لا تجلد بل تحبس إلى الموت أو إلى جعل الله لها سبيلا.

وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنها لا تحبس بل تجلد مائة إن كانت بكرًا، وجاء في آية منسوخة التلاوة باقية الحكم أنها إن كانت محصنة ترجم"[2].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص(٧٨)، وينظر: الناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام ص(٤٢ — ٤٨)، والنسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ص(٦٣٤ — ٦٤٤)، والآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(١٢٢ — ١٢٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(١٢٨ - ١٢٩).

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

دفع الشيخ الشنقيطي ذلك بجوابين:

الأول: أن الآية الثانية ناسخة للأولى.

والثاني: أنه كانت له غاية ينتهي إليها، وهو الحدُّ.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجواب ظاهر، وهو أن حبس الزواني في البيوت منسوخ بالجلد والرجم".

وذكر الوجه الثاني بقوله: "أو كانت له غاية ينتهى إليها هي جعل الله لهن السبيل، فجعل الله السبيل بالحد..."[١].

المثال السادس:

الجمع بين ما يدل بظاهره على أن خواطر القلوب يؤاخذ بها الإنسان، وهو لا يقدر على دفعها، وما يدل على أن الإنسان لا يكلف إلا ما يطيق.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

الوجه الموهم للتعارض بين الآيات:

الآية الأولى: ظاهرها يدل على مؤاخذة ومحاسبة الإنسان بما يدور في قلبه من الخواطر، سواء أظهره أو لم يظهره، والتي لا يستطيع دفعها ولا قدرة له على ذلك.

والآية الثانية: ظاهرها يدل على خلاف ذلك، وهو أن الإنسان لا يكلف إلا ما يطيقه ويقدر عليه، وهذه الخواطر لا قدرة له على دفعها.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(١٢٩)، وينظر: الناسخ والمنسوخ عن قتادة ص(٣٩)، والناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام، ص (١٣٢ - ١٣٤)، والنسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ص(٨٢٨ - ٨٣٧)، والآيات المنسوخة، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ص(١٠٩ - ١١٢).

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتوهم-بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية تدل بظاهرها على أن الوسوسة وخواطر القلوب يؤاخذ بها الإنسان، مع أنه لا قدرة له على دفعها، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الإنسان لا يكلف إلا بما يطيق كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وجوه دفع توهم التعارض بين الآيات:

ذكر الشيخ الشنقيطي في دفع هذا التعارض المتوهم وجهًا واحدًا، وهو:

أن الآية الأولى ناسخة للآية الثانية. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب أن آية: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]"[1].

المثال السابع:

الجمع بين ما يفهم منه أن السَّكَرَ المتخذ من ثمرات النخيل والأعناب لا بأس به، وبين تحريم الله للخمر.

الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:٦٧].

وقوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠].

بيان الوجه الموهم للتعارض:

الآية الأولى: تدل على إباحة النبيذ المسكر المصنوع من العنب والنخل؛ لأن الله امتنَّ بها عليهم، والامتنان منه سبحانه يدل على الإباحة، وأنه لا بأس به.

والآية الثانية: تدل على خلاف ذلك، وهو التحريم لأنه وصفها بأنها رجس، وأنها من

---

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٩٣)، والناسخ والمنسوخ عن قتادة، ص(٣٧ـــ ٣٨)، والناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام ص(٢٧٤ ــ ٢٧٩)، والنسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ص(٣٠٧ ــ ٦٠٩).

عمل الشيطان، وأمر باجتنابها، ورتب على الاجتناب رجاء الفلاح.

قال الشيخ الشنقيطي في تحرير وجه الإشكال والتوهم بين -بعد ذكره للآية الأولى-: "هذه الآية الكريمة يفهم منها أن السكر المتخذ من ثمرات النخيل والأعناب لا بأس به، لأن الله امتن به على عباده في سورة الامتنان التي هي سورة "النحل".

وقد حرم الله تعالى الخمر بقوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]، لأنه وصفها بأنها رجس، وأنها من عمل الشيطان وأمر باجتنابها ورتب عليه رجاء الفلاح، ويفهم منه أن من لم يجتنبها لم يفلح، وهو كذلك، وقد بين ﷺ أن كل ما خامر العقل فهو خمر، وأن كل مسكر حرام، وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام"[1].

وجوه دفع توهم التعارض:

ذكر الشيخ الشنقيطي وجهًا واحدًا لدفع توهم التعارض، ورجّحه بقوله (هو التحقيق) وهو أن الآية الثانية ناسخ للآية الأولى، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"والجواب ظاهر، وهو أن آية تحريم الخمر ناسخة لقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ الآية، ونسخها له هو التحقيق".

ثم تابع كلامه بذكر ما يزعمه كثير من الأصوليين والرد عليهم، ثم ذكر الآيات الأربع التي نزلت بشأن تحريم الخمر[2][3].

ومما سبق ذكره من الأمثلة يتبين أن القول بالنسخ يعد مسلك من المسالك، وطريق من طرق دفع التوهم والتعارض بين الآيات، وقد سلكه الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فدفع به توهم التعارض والاختلاف بين الآيات، وذلك بشروط وضوابط كما سبق بيانه.



(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٢٥٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص(٢٥٦ – ٢٥٨).

(٣) لمزيد من الأمثلة: ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٨٠، ٨٩، ١٢٠، ١٤٢، ٢٢٧، ٣١٥، ٣٤٥، ٣٥٤، ٤١٥، ٤٥١).

المبحث الثامن

التوقف

سبق بيانُ أن التوقف من المفسِّر فيما لم يتضح ويتبين له أولى من أن يقول في الآية بغير علم؛ فيدخل في باب القول على الله بغير علم[١].

وقد جاء في الكتاب والسنة وآثار الصحابة وعمل أهل العلم ما يدل على ذلك ويؤكده:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه"[٢].

---

(١) وذلك في المبحث الخامس من الفصل الأول، ص (٩٤).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (٣٢/١).

ومن السنة: ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة[١] ﷺ، قال: لما قدمت نجران سألوني؛ فقالوا: إنكم تقرؤن يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: "إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم"[٢].

ففي الحديث أن المغيرة سُئل عن الآية، فأشكلت عليه و لم يعرف الجواب، فتوقف إلى أن قدم على النبيِّ ﷺ فسأله عنها، فأجابه ﷺ، و لم ينكر عليه التوقف، وأقره على ما فعل.

ومن آثار الصحابة: توقُّفُ ابن عباس رضي الله عنهما، فيما أخرجه الطبري عن ابن أبي مُلَيْكَة[٣]، أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم[٤]، ونقل ابن عبد البر[٥] عن ابن وهب[٦] في كتاب المجالس، قال: سمعت مالكًا يقول: ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه

---

(١) هو: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، صحب النبي ﷺ وروى عنه، وشهد اليرموك وأصيبت عينه بها وقدم دمشق على معاوية، وتوفي سنة (٥٠هـ). ينظر: [طبقات ابن سعد (٥/٤٧٣)، تاريخ البخاري (٥/ ١٣٧، ٩٩)، تهذيب الكمال، للمزي (٧٠٨)].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم (٢١٣٥)، (٣/١٦٨٥).

(٣) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكَة واسمه زهير بن عبد الله بن جدعان، الإمام، الحجة، الحافظ، أبو بكر، وأبو محمد القرشي، التيمي، المكي، القاضي، الأحول، المؤذن، قال الذهبي: وكان عالمًا، مفتيا، صاحب حديث وإتقان، ولد: في خلافة علي، أو قبلها، وتوفي سنة (١١٧هـ). ينظر: [سير أعلام النبلاء، للذهبي(٥/ ٨٩)، إكمال تهذيب الكمال، لعلاء الدين مغلطاي (٨/ ٤٦)].

(٤) جامع البيان، للطبري (٢٩/٧٢).

(٥) هو: محمد بن عبد الله التجيبي، الإمام، الحافظ، المجود، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التجيبي، الأندلسي، القرطبي، سمع من: عبيد الله بن يحيى بن يحيى، وأسلم بن عبد العزيز، وطبقته بمصر، وسعيد بن هاشم الطبراني، وغيره بالشام، ورجع، ثم ارتحل في الشيخوخة، وتوفي: بالشام بطرابلس في سنة (٣٤١هـ). ينظر: [تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي (٢/٦٠ـ ٦٢)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٥/ ٤٩٨)].

(٦) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الفهري المصري، كان أحد أئمة عصره، وصحب الإمام مالك ابن =

قول: لا أدري، فإنه عسى أن يهيأ له خير.

قال ابن وهب: وكنت أسمعه كثيرًا ما يقول: لا أدري.

وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك "لا أدري" لملأنا الألواح[(١)].

وجاء رجل إلى الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال له: يا أبا عبد الله. جئتك من مسيرة ستة أشهر، حمّلني أهلُ بلدي مسألةً أسألك عنها، قال: فسل. فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها، قال: فبُهِتَ الرجلُ كأنه قد جاء إلى من يعلم كلَّ شيء، فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، قال: تقول لهم: قال مالك لا أحسن"[(٢)].

وقال الإمام مالك: يا أبا عبد الله: "إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن".

وقال بعضهم: ولكأنما مالك والله إذا سئل عن مسألة؛ كأنه واقف بين الجنة والنار"[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن، إلا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه، لا لأنَّ أحدًا من الناس لا يعلمه، لكن لأنه هو لم يعلمه"[(٤)].

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة يجب بيانها وهي أن التوقف لا يعني أن الآية لا معنى لها، فلا يجوز أن يقال: إن في القرآن ما لا معنى له عند عامة العلماء[(٥)].

= أنس عشرين سنةً، كان من بحور العلم، وله عدد من المصنفات، منها: "الموطأ" و "الجامع" و "تفسير غريب الموطأ" وغيرها، توفي سنة (١٩٧هـ). ينظر: [تذكرة الحفاظ، لابن عبد الهادي (٣٠٤)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٣٤٧/١)].

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البرّ (٨٣٩/٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البرّ ص(٨٣٨).

(٣) الموافقات، للشاطبي (٣٢٤/٥).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٩٦/١٧).

(٥) المختصر في أصول الفقه، لابن اللحّام ص(٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - عند بيانه لخطأ من يقول: إن الله أنزل كلاما لا يعلم معناه الرسول ﷺ وجميع الأمة -: "...والمقصود هنا: أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلامًا لا معنى له ولا يجوز أن يكون الرسولﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه"[1].

وإذا عرفت أن شيخ الإسلام ممن قال بالتوقف عند استشكال الآيات كما سبق النقل عنه، فهو كذلك ممن فعله؛ كما نقل ذلك عنه ابن كثير في "تفسيره" عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾ [النساء:٢٣].

حيث قيِّد تحريم الرَّبيبة[2] بوصفِ أنها في حجر الزوج، فهل الربيبة إذا لم تكن في حجره حلال له، هذا وجه الإشكال.

فتكلم ابن كثير عن الآية ونقل مذاهب أهل العلم فيها ثم قال: "وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاستشكله وتوقف في ذلك"[3].

وأيضًا تجدر الإشارة إلى: أن هذا التوقف ليس للأبد، بل إلى أمد، أي أنه توقف مؤقت؛ بحيث متى تبيَّن للمفسِّر بعد البحث والتأمل وإمعان النظر في الإشكال وجهَ الصواب، قال به، ودفع بذلك توهم التعارض بين الآيات.

وبهذا يستفيد الناظر في آي القرآن مشروعية التوقف ومداومة النظر عند استغلاق المعاني عليه، وعدم اتضاح وجه الجمع بين الآيات المتوهم تعارضها واختلافها، وليكن له في ابن عباس حبر هذه الأمة وترجمان القرآن، ومن جاء بعده من سلفنا الصالح خير قدوة إلى أن يستبين ويهتدي لما تأتلف به الآيات.

وبهذا يتبين أهمية التوقف وأنه من الطرق والمسالك المعتبرة في دفع توهم التعارض والاختلاف.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧/ ٣٩٠).

(٢) الرَّبِيبَةُ: بِنتُ امْرَأَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِهِ، سُمِّيَتْ بذلك لأنه يُرَبِّيهَا في حِجْرِهِ . ينظر: تفسير القرطبي (٥/ ١١٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٨٨٠)، وينظر: مشكل القرآن الكريم، للمنصور ص((٢٣٨-٢٣٩).

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك فحاول الجمع بينهما، فإن لم يتبين لك وجب عليك التوقف وتكلُ الأمر إلى عالمه"[١].

فينبغي للمسلم الحذر من الإقدام على القول في كتاب الله بلا علم خاصة في الآيات الموهمة للتعارض والاختلاف، والتي يلزم من يتصدى لها أن يكون من الراسخين في العلم[٢].

كذلك ينبغي لطالب الحق: الوقوف بين يدي الله ﷻ وأن يسأله ويلحَّ في المسألة بأن يزيده علمًا بما أُشكل عليه، فإن الله ﷻ إذا علم من عبده صدق اللجوء إليه، وصحة الغاية أعانه ووفقه وسدده.

قال العلامة الحافظ ابن عبد الهادي[٣] في كتابه "العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية" نقلا عن أحد أصحاب شيخ الإسلام: أنه سمع شيخ الإسلام يقول: "إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل عليَّ؛ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحلَّ إشكال ما أُشكل"[٤].

وقد سلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المسلك في كتابه؛ فقد توقف في مسألة الجمع بين ما يدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء، وما يدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء[٥].

وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩].

---

(١) المختصر في أصول التفسير، للشيخ ابن عثيمين، ص(٥٢).

(٢) مشكل القرآن الكريم، للمنصور، ص(٢٣٩).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الجماعيلي الأصل ثم الصالحي، شمس الدين أبو عبد الله، الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث الحافظ الناقد النحوي، ولد سنة (٧٠٤هـ)، عني بالحديث وفنونه، ومعرفة الرجال والعلل، وله عدد من المصنفات، منها: "الصارم المنكي في الرد على السبكي"، و "المحرر في الحديث"، وغيرهما، قال الصفدي: "لو عاش لكان آية"، توفي سنة (٧٤٤هـ)، ينظر: [طبقات الحفاظ، للسيوطي (٥٢٠)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٨/٢٤٥)].

(٤) العقود الدرية، لابن عبد الهادي، ص(٥ ــ ٦)، وينظر: مشكل القرآن، للمنصور، ص(٢٠٨).

(٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٣).

وقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩] إلى أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الآية [فصلت:١١].

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد مكثت زمنًا طويلا أفكر في حلّ هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم"[١].

ثم ذكر خمسة أوجه من أوجه الجمع وضعَّف اثنين منها[٢].

وهذا هو المنهج القرآني، فيما يظهر للإنسان من التعارض بين الآيات؛ أن يجتهد في التدبر وإمعان النظر، والإلحاح في الطلب، ليفتح الله عليه من بركاته، وفَهْمِ كتابِهِ.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٤).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص(٤٤ـ ٤٦).



الخاتمة

وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته

الخاتمة

في ختام هذا البحث، وفي كل حين، أحمد الله الذي منَّ عليَّ وتفضَّل بإنهاء العمل فيه، والتزام خطته على قدر الوسع والجهد، بعد الإبحار في شيء من أسرار التنزيل العزيز، وإعجازه التشريعي والبلاغي، وخلوِّه من الاختلاف والتعارض بين آياته، أسجِّل هنا بعض ما توصَّلتُ إليه من نتائج ظهرت لي، كما أشير إلى بعض التوصيات التي أسأل الله نفعَها، بالدفاع عن قدسية هذا الكتاب الجليل ضد كل الدعوات الإلحادية، التي لم تفتأ تُثار حوله للنيل منه، والتي تبوء دائمًا بالفشل والخسران، بفضل الله ثم بجهود جهابذة العلم الذين استعملهم الله في هذا العمل العظيم، ومنهم الشيخ الجليل محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن هذه النتائج ما يلي:

١. أكّد الكتاب على قضية أساسية وهي: "عدم تعارض القرآن بعضه مع بعض، أو مع السنة النبوية"، فقد عرض الشيخ رحمه الله لـ (٢٤٢) مسألة من مسائل "موهم التعارض والاختلاف"، ودفعها جميعًا، وذكر ما ليس من المشكل أساسًا، لرد كلام بعض الزنادقة الذين لا يُعتد بأقوالهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنما ذكرنا هذا الجواب مع ضعف الإشكال؛ وظهور الجواب عنه؛ لأن الزنادقة الذين لا يصلّون يحتجون لترك الصلاة بهذه الآية"[1]، وهذا يدلُّ على استيعاب الشيخ لمشْكِلِ القرآن أو أغلبه.

٢. أسلوب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ومنهجه في هذا الكتاب يعتبر مدرسة مستقلة بأصولها وقواعدها في علم مُشْكِلِ القرآن، ومنه: "موهم التعارض والاختلاف"، ومثَلٌ يُحتذى في للبحث في الأقسام المتخصصة بالقرآن وعلومه.

٣. في هذا الكتاب دعوة مُلحة إلى من يتصدى للدفاع عن القرآن الكريم في مواجهة

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص (٥٠٢).

شبه المبطلين، إلى التمكُّن من العلوم الشرعية والعربية، العلوم الأساسية منها وعلوم الآلة؛ وهذا واضح في صَنيع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ مما جعل ردُودَه تمتاز بقوة الحجة والبرهان.

٤. أنَّ العلم بالتفسير والمعنى الصحيح للنصوص القرآنية، كان هو المفتاح لدفع موهم التعارض والاختلاف عن نصوص التتريل، وأن سوء الفهم والجهل بالمدلول الصحيح للنص هو منشأ الطعن في القرآن.

٥. أن دفع إيهام التعارض والاختلاف عن آيات التتريل الحميد، له قواعد علمية متينة تجلَّت في الأوجه التي استعملها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مهمته الجليلة في تحقيق سلامة القرآن من كل ما يُثار حوله من شبهات الاختلاف والإشكال.

٦. برز في مباحث الكتاب أخلاق العلماء وسمتهم، من الأمانة العلمية، والتواضع، وإسناد كل قول إلى قائله، والاعتراف بالفضل لأهله، وهذا من أعظم ما يُوصى به طلبة العلم، فإنه بركة العلم.

وأما التوصيات، فأوصي بما يلي:

١ـ أوصي الباحثين باتخاذ منهج الشيخ الشنقيطي مدرسة ومنهجًا مستقلاً من مناهج دراسة مُشْكِل القرآن، ودفع موهم التعارض والاختلاف، تصورًا، وعرضًا، ومعالجةً، واستعمال المنهج الذي يقوم على استقراء النصوص التي تدل بظاهرها على موضوع أو مسألة معينة وحصرها، ثم استقراء النصوص التي يدل ظاهرها على خلاف ما دلت عليه النصوص المعَارضة وحصرها، ثم توظيف قواعد العلوم المتنوعة لدرء ذلك التعارض المتوهم.

٢ ـ مازال هذا الحقل ـ دفع ما يوهم التعارض عن القرآن ـ مفتوحاً للباحثين، ولذلك أرى أن تُتتبَّع بل وتُستقرئ مناهج العلماء حسب القرون، لمعرفة أهم شبهات كل عصر وكيفية دفعها، وعلى سبيل المثال: محاولة بعض الملحدين – تبعاً لأهل الكتاب من المستشرقين وغيرهم- استعمال أدوات نقد الكتاب "المقدّس" عندهم، على القرآن العظيم، ومحاولة الطعن في القرآن من خلال الخلل الذي في كتبهم "المقدّسة".

٣ ـ كما أوصي بالتركيز على الثمرات العملية لمختلف المسائل العلمية التي تُدَرَّس، وبخاصة في تخصص القرآن وعلومه، وأصول الفقه، واللغة العربية؛ للاستفادة منها في الدرس العلمي، كما في الحجاج العلمي كذلك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه.



الفهارس

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الألفاظ والمصطلحات المشروحة.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾	النساء	١٥	٢٩٣
﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾	النساء	١٨	١٨٧
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ﴾	النساء	٢٣	٣٠٠
﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾	النساء	٢٣	٨٠
﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾	النساء	٢٥	٨٣
﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾	النساء	٤١	١٨٥
﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾	النساء	٤٢	٧٧، ١٧٨
﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	النساء	٤٨	١٦٠
﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾	النساء	٥٩	٧١
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾	النساء	٨٢	٧٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾	النساء	٨٢	٦٦
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	النساء	٨٢	٩٨
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾	النساء	٨٢	٩٧
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	النساء	٨٧	٣٥، ٧٠
﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	النساء	٨٩	١٩٠
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾	النساء	٩٢	٨٥، ١٩٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾	النساء	٩٧	٢١٤
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾	النساء	١٢٢	٣٥، ٧٠
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾	النساء	١٢٩	١٥٦، ٢٠٨
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾	النساء	١٥١	١٦٨
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾	النساء	١٥٧	٢٤٧
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾	النساء	١٥٩	٢٤٧
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾	النساء	١٦٥	١٢٢، ١٣١
﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾	النساء	١٦٩	٢٦٢، ٢٨٠
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾	المائدة	٣	١٩٧
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾	المائدة	٣	٣٤
﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾	المائدة	٥	١١٧، ١٥٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾	المائدة	٥	٢٥٩
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾	المائدة	١٩	١٣٢
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	المائدة	٤٨	١٥١
﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾	المائدة	٥١	٢٠١
﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾	المائدة	٦٦	١٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾	المائدة	٩٠	٩٣
﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	المائدة	٩٠	٢٩٥، ٢٩٦
﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	المائدة	٩٣	٩٣
﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾	المائدة	١٠٩	١٨٥
﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾	المائدة	١٠٩	٢١١
﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾	المائدة	١١٥	١٢٤
﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	٢٣	٧٨، ١٧٨، ١٧٩
﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	٢٣	٢٠٦
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾	الأنعام	٥٩	٢٤٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾	الأنعام	١٥١	٢٣٧، ٢٧٢
﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾	الأنعام	١٥١	٢٧٣
﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	الأنعام	١٥١	٢٣٧، ٢٧٢، ٢٧٣
﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	الأنعام	١٥١	٢٧٤
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	الأنعام	١٦٤	١٧٥
﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③﴾	الأعراف	٣	٥
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	الأعراف	٦	٢١٠، ٢٢٣
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾	الأعراف	١٢	٢٢٩
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف	٣٣	٢٩٧
﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾	الأعراف	٣٨	٢٠٦
﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾	الأعراف	٧٧	١٠٧
﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ⑩⑦﴾	الأعراف	١٠٧	١٣٨
﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	الأعراف	١٥٧	٢٧٩
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	الأعراف	١٥٨	٢٦٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝﴾	الأعراف	١٨٢، ١٨٣	١٥٨
﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾	الأعراف	١٨٧	٢٤٨
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	الأنفال	٢	١٣٧
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾	الأنفال	٩	٢١٢، ٢٨١
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾	الأنفال	٢٦	٢١٧
﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾	الأنفال	٣٢	١٩٢
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾	الأنفال	٣٣	١٩٢
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	الأنفال	٣٣	١٩٢
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	الأنفال	٣٣	١٩٥، ٢٣٨
﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	الأنفال	٣٤	١٩١، ٢٣٨، ٢٣٩
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	الأنفال	٣٨	١٨٦
﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾	الأنفال	٤٣	١٩٢
﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾	الأنفال	٦٥	٢٩١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	الحجر	٩٢، ٩٣	٢١٠، ٢٢٤
﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾	النحل	١٥	٢٠٧
﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾	النحل	٢٥	١٧٥
﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾	النحل	٢٨	١٧٨، ١٧٩، ٢٠٥
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾	النحل	٣٦	١٦٨
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	النحل	٤٣، ٤٤	٩٩
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	النحل	٤٤	١٧٠
﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	النحل	٦٧	٢٩٥
﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾	النحل	٧٤	٣٥
﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾	النحل	٨١	٢٢٨
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾	النحل	٨٩	١٨٥
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾	النحل	٩٩	٢٠٥

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾	النحل	١٠٦	٢٧٨
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾	النحل	١١٥	١٩٧
﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	الإسراء	٩	٢٢١، ٢٤٢، ٢٤٣
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	الإسراء	١٥	١٧٥
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	الإسراء	١٥	١٢٢، ١٣١
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	الإسراء	٣٦	٢٩٧
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾	الإسراء	٥٧	١٦٦
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾	الإسراء	٩٧	٨٥
﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾	الكهف	٢٠	٢٧٨
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾	الكهف	٤٧	٢٠٨
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾	الكهف	٧٩	٢٦٦
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	مريم	١٧	١٨١
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾	مريم	٣٨	٨٥
﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾	طه	١٥	٢٤٨
﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾	طه	٢٧	١٥٩
﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾	طه	٢٧-٢٨	١٥٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	طه	٣٦	١٥٨
﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾	طه	٤٧	٢٠٠
﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾	طه	١٠٣	١٦٨
﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾	طه	١٠٤	١٦٩
﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾	طه	١٣٤	١٣١
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	الأنبياء	٢٥	١٦٨
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾	الأنبياء	٩٨	١٦٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾	الأنبياء	١٠١	١٦٦
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾	الأنبياء	١٠١، ١٠٢	١٨١، ١٨٢
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	المؤمنون	٥ – ٦	٨٠
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	المؤمنون	٩	١١٣
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾	المؤمنون	٦٠	١٣٧
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	المؤمنون	٩٦	٢٠٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾	الأحزاب	٥٠	١٠٨
﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾	الأحزاب	٥٢	١٠٧
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾	الأحزاب	٦٥	٢٦٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	الأحزاب	٧٠-٧١	٤
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾	الأحزاب	١٠٦	٢٨٠
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً ﴾	سبأ	٢٨	١٨٠
﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾	سبأ	٤٠	١٦٥، ١٦٦
﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾	سبأ	٤٤	١٣٢
﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	سبأ	٤٧	٢٢٥
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	فاطر	١٨	١٧٥
﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾	فاطر	١٨	١٧٥
﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾	فاطر	٣٢	١٧٣
﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾	فاطر	٣٧	١٢٣
﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾	يس	٦	١٣٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	الزمر	٥٣	٧٧
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	الزمر	٦٥	٢٥٩
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾	الزمر	٧١	١٢٣
﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	غافر	٧	١٩٤
﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾	غافر	٤٣	٧٧
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾	غافر	٥٢	٧٨
﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾	غافر	٧٤	٧٨، ١٧٨، ١٧٩، ٢٠٥
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾	فصلت	٩	٢٤٥، ٣٠٢
﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾	فصلت	١٠	٢٤٦
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾	فصلت	١١	٢٤٥، ٢٤٦، ٣٠٢
﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾	فصلت	٢٨	٢٣٢
﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾	الشورى	٥	١٩٤، ١٩٥
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	الشورى	٧	١٨٠، ٢٦٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾	الحاقة	٢٥	٢١٣
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾	الحاقة	٢٥	١١٦، ٢١٣
﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	المعارج	٤	٦٢
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾	المعارج	٤٠	٨٣
﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾	نوح	٢٧	١٦٤
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	الجن	٢٣	٢٦٢، ٢٨٠
﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾	المزمل	١-٣	٢٨٩
﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	المزمل	٩	٨٣
﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾	المزمل	١٤	٢٣٢
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾	المزمل	٢٠	٢٨٩
﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾	المزمل	٢٠	٢٨٩
﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾	المزمل	٢٠	٢٨٩
﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾	المزمل	٢٠	٢٨٩
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾	المدثر	٤٢	١١٣
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	القيامة	١	٢٣٠
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣)﴾	القيامة	٣	٨٧
﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	القيامة	٩	٢٤٨
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾	القيامة	٢٢- ٢٣	٣٦
﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)﴾	المرسلات	٣٥، ٣٦	٧٨، ٢٠٥

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾	النبأ	٢٠	٢٠٨
﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾	النبأ	٢٣	٢٦٢، ٢٨٠
﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾	النبأ	٢٤-٢٥	٢٨٠
﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾	النازعات	٢٧	٢٤٥
﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾	النازعات	٢٧-٣٠	٢٤٤
﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾	النازعات	٣٠	١٢٦، ٢٤٥
﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾	النازعات	٣٢	٢٠٧
﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾	التكوير	٩	٢١١
﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾	الانشقاق	١٠	١٥٩، ٢١٣
﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾	الأعلى	٩	١١٨، ٢٢٧، ٢٧٥
﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾	الغاشية	٢١	١١٨، ٢٢٧، ٢٧٥
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾	البلد	١	١٠٩، ١٢٧، ٢٢٩
﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾	البلد	١٦	٢٦٦
﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾	الشمس	٨	٣٧
﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾	الشمس	١٤	١٠٨
﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾	التين	٣	١٢٧، ٢٢٩
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾	الزلزلة	٧-٨	١٦٠



فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الآثار

الأثر	الراوي	الصفحة
أخطأت التأويل، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرَّم الله	عمر بن الخطاب ﷺ	٩٤
أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، (يعني: المعرفة بالقرآن ناسخِه ومنسوخِه، ومحكَمِه ومتشابِهِه، ومقدمِه ومؤخرِه، وحلالِه وحرامِه، وأمثالِه	عبدالله بن عباس رضي الله عنهما	٩٠
أنه قال لقاصٍّ: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال: هلكتَ وأهلكتَ	علي بن أبي طالب ﷺ	٩٠
سئل ابن عباس ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ، فقال: وهو أن ألسنتهم تقول: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون	عبدالله بن عباس رضي الله عنهما	١٧٩
قيدوا العلم بالكتاب	عمر بن الخطاب ﷺ	٨٤
وَهِمَ عمرُ، إنما نهى رسول الله ﷺ أن يُتَحَرَّى طلوع الشمس وغروبها	عائشة رضي الله عنها	٥٥

فهرس الأعلام المترجم لهم



فهرس الألفاظ والمصطلحات المشروحة



فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الأماكن والبلدان والقبائل

فهرس الأبيات الشعرية



فهرس المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي، دار ابن حزم، (ط:١)، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٢. الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السُبكي، دار الكتب العلمية.

٣. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (ط١)، (١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م).

٤. آثار الشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف: الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، (ط:١)، (١٤٢٦هـ).

٥. أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د.مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، (ط:٥)، (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م).

٦. إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير، تحقيق: القاضي حسين السيَاغي، و د.حسن الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:١) ، (١٩٨٦م).

٧. الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت (ط:١) حلب، (١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م)، (ط:٢) القاهرة (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م).

٨. الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرضٌ ودراسةٌ، د.أحمد القصير، رسالة دكتوراه، دار ابن الجوزي، (ط:١)، (١٤٣٠هـ).

٩. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني اليمني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، دار الكتاب العربي، (ط:١)، (١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م).

١١. أسباب نزول القرآن، للإمام أبي الحسن علي الواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط:١)، (١٤١١هـ ــ ١٩٩١م).

١٢. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، (١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م).

١٣. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان. تحقيق د. عبد الله شحاتة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. (ط٢)، (١٣٩٥هـ).

١٤. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)،(١٤١٥ هـ).

١٥. أصول السرخسي، محمد بن أحمد شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

١٦. أصول الفقه ، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

١٧. أصول الفقه الإسلامي، أ.د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، (ط:٢)، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

١٨. أصول الفقه، محمد بن مفلح، أبو عبد الله شمس الدين، الراميني ثم الصالحي ثم الحنبلي، تحقيق: د.فهد السدحان، مكتبة العبيكان، (ط:١)، (١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م).

١٩. الأضداد، محمد بن القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،(١٤٠٧هـ).

٢٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، (ط٢)، (١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م).

٢١. الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: د.هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي، (ط:١)، (١٤٢٩هـ).

٢٢. إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن عند الباقلاني، د.محمد العواجي، مكتبة دار المنهاج، (ط:١)، (١٤٢٧هـ).
٢٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، (ط١٥)،(٢٠٠٢م).
٢٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت،(ط١)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م).
٢٦. الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد، القاضي أبو بكر الباقلاني، تحقيق: د.محمد عصام القضاه، دار الفتح، (ط:١)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٢٧. آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض، إعداد: خالد الدميجي، حياة الحمادي، حنان العمري، دار الهدى النبوي، دار الفضيلة، (ط١)، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، أصل الكتاب ثلاث أطروحات ماجستير.
٢٨. الآيات المنسوخة في القرآن، د.عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع: مكتبة العلم بجدة.
٢٩. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، (ط٥)،(١٤٠٠هـ).
٣٠. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، دراسة وتحقيق: سعاد بنت صالح بابقي، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
٣١. البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد الزركشي، دار الكتبي، (ط:١)، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
٣٢. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي الزركشي، (الجزء الخامس)، تحرير: د.عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية بالكويت (ط:٢)، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، وأعادت طبعه: دار الصفوة ، مصر.

٣٣. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط١)،(١٤١٣هـ).

٣٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (ط١)، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

٣٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة – بيروت، دون تاريخ.

٣٦. البديع في ضوء أساليب القرآن، تأليف: د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي،(١٤١٩هـ).

٣٧.البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ط:١)، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

٣٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاهرة، (ط:٣)، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٣٩. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب،(ط ١٧)، (١٤٢٦هـ).

٤٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان.

٤١. البلاغة العالية، علم المعاني، تأليف: عبد المتعال الصعيدي، قدم له وراجعه وأعد فهارسه: د.عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، بالقاهرة،(ط٢)،(١٤١١هـ).

٤٢. البلاغة الميسرة، د. عبد العزيز الحربي، دار ابن حزم، (ط:٢)، (١٤٣٢هـ — ٢٠١١م).

٤٣. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط: ٢)، (١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م).

٤٤. تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم — دمشق، (ط١)، (١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.)

٤٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبوالفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).

٤٦. تاريخ التعليم في مكة المكرمة، د.عبد الرحمن صالح عبد الله، مؤسسة الرسالة.

٤٧. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد — الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، بدون تاريخ.

٤٨. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي — بيروت، (ط١)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).

٤٩. تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي، عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة،(ط٢)،(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

٥٠. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط:٢)، (٢٠٠٧م).

٥١. التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: د.محمد هيتو، دار الفكر ، دمشق.

٥٢. تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبع على نفقة الشيخ محمد بن عوض بن لادن، (ط٢)، (١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م).

٥٣. تخريج الفروع على الأصول، تأليف عثمان شوشان ، دار طيبة ، الرياض ، (ط١) ، (١٤١٩هـ).

٥٤. ترجيحات الشنقيطي في غير أضواء البيان جمعًا ودراسةً، د.محمد بن مرضي المزيل الشراري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، (١٤٣٥ـ ١٤٣٦هـ).

٥٥. تشنيف المسامع بجمع الجوامع، تاج الدين السبكي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، تحقيق: د.سيد عبد العزيز، و د.عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، توزيع المكتبة المكية، (ط:١)، (١٤١٨هـ — ١٩٩٨م).

٥٦. التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، (بحث أصولي مقارن بالمذاهب الإسلامية المختلفة)، أ.د. عبد اللطيف عبد الله عزيز البرزنجي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، (ط:١)، (١٤١٣هـ —١٩٩٣م).

٥٧. التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي، د.محمد إبراهيم الحفناوي، دار الوفاء للطباعة والتصوير، (ط:٢)، (١٤٠٨هـ — ١٩٨٧م).

٥٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف: دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٩٨٣م).

٥٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، (ط: ٢)، (١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م).

٦٠. تفسير القرآن العظيم، سورة النساء، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، من أصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، (ط١)، (١٤٣٦هـ).

٦١. تفسير القرآن الكريم، سورة الزمر، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، من أصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، (ط١)، (١٤٣٦ه).
٦٢. تفسير القرآن، سورة غافر، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، من أصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، (ط١)، (١٤٣٧ه).
٦٣. التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٦٤. التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، تأليف د. مساعد الطيار . دار ابن الجوزي ، الدمام ، (ط١)، (١٤٢٢هـ).
٦٥. التلخيص في علوم البلاغة، محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، تحقيق وشرح: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط١)، (١٤١٨هـ).
٦٦. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،(ط١)،(١٣٢٦هـ).
٦٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١)، (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).
٦٨. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(ط١)، (٢٠٠١م).
٦٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط:١)، (٢٠٠١م).
٧٠. التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، محمد عبد العزيز النجار، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ط١)، (١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م).
٧١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، (١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م).

٧٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، (١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م).

٧٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: معالي الدكتور عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، (ط:١)، (١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م).

٧٤. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرّ القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، (ط:١)، (١٤١٤هـ).

٧٥. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط:٢)، (١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م).

٧٦. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، بيروت،(ط٣)، (١٤١٦هـ).

٧٧. الجملة تأليفها وأقسامها، د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان،(ط٢)،(١٤٢٧هـ).

٧٨. جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د.أحمد بن محمد البريدي، مكتبة الرشد، الرياض، (ط:١)، (١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م).

٧٩. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبد العزيز صالح الطويان، مكتبة العبيكان، والجامعة الإسلامية (ط:١)، (١٤١٩هـ — ١٩٩٨م).

٨٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبومحمد، محيي الدين الحنفي، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي، دون تاريخ.

٨١. الحجة في القراءات السبع، الإمام ابن خالويه، تحقيق: د.عبد العال مكرم، دار الشروق، (ط:٣)، (١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م).

٨٢. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، (ط١)،(١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م).

٨٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة – بجوار محافظة مصر، (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).

٨٤. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار ، دار صادر، بيروت، (ط٢)،(١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م)

٨٥. الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبي الحسن البصري، تحقيق وشرح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، وطبعة أخرى: تحقيق وشرح: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة،(ط١)، (١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م).

٨٦. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت،(ط١)، (١٩٨٧م).

٨٧. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (ط٤)، (د.ت).

٨٨. الدر الثمين في أسماء المصنفين، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين – محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس،(ط١)، (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م).

٨٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: معالي الدكتور عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، (ط:١)، (١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م).

٩٠. دراسات في علوم القرآن، أ.د.فهد بن عبد الرحمن الرومي، (ط:١٨)، (١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م).

٩١. دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي، دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد الله الرومي، دار التدمرية، (ط:١)، (١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م).

٩٢. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

٩٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند،(ط٢)، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٩٤. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، تحقيق: محمد بدوي، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، (ط:١)، (١٤٣٦هـ).

٩٥. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة،(ط٣)،(١٤١٣هـ).

٩٦. ديوان حسان بن ثبت رضي الله عنه، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت،(٢٠٠٦م).

٩٧. ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت،(ط٢)، (١٤٢٦هـ)، .

٩٨. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط١)، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٩٩. رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة، (ط١)، (١٤٢٦هـ).

١٠٠. الرسالة، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، (١٣٥٨هـ ــ ١٩٤٠م).
١٠١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط١)، (١٤١٥هـ).
١٠٢. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د.عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، (ط:١)، (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م).
١٠٣. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت،(ط١)، (١٤٢٢هـ).
١٠٤. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة. بيروت، (ط١)، (١٤٠٥هـ).
١٠٥. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، (ط:١)، (١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م).
١٠٦. سابغات، أحمد يوسف السيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٤٣٧هـ).
١٠٧. السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلومه، إعداد الباحث: عبد الرحمن المطيري، إشراف: د.خالد القرشي، (١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م).
١٠٨. السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، عبد الحكيم القاسم، إشراف: د.حسن بن محمد بن عبد العزيز، رسالة ماجستير، (١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م).

١٠٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط٣)، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)

١١٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت،(ط١)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م).

١١١. شرح أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين الخيرية، (ط:١)، (١٤٣٤هـ).

١١٢. شرح ديوان الحماسة، أبو علي المرزوقي الأصفهاني، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط١)، (١٤٢٤ هـ).

١١٣. شرح ديوان المتنبي، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، على المكتبة الشاملة، وهو غير موافق للمطبوع.

١١٤. شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي، تحقيق: د. المتولي رمضان، مكتبة وهبة، (ط٢)،(١٤١٤هـ).

١١٥. الشرح لمختصر الأصول من علم الأصول، أبو منذر محمود بن محمد المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر، (ط:١)، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).

١١٦. شرح مراقي السعود، المسمى (نثر الورود)، للشيخ العلاّمة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق: علي العمران، وقف مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد.

١١٧. شرح المفصل لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١١٨. شرح مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دروس ألقاها معالي الشيخ صالح آل الشيخ، مكتبة المنهاج، (ط:٣)، (١٤٣٤هـ).

١١٩. شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، شرحه د.مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، (ط:٢)، (١٤٢٨هـ).

١٢٠. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة،(١٤٢٣ هـ).

١٢١. الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، أحمد سيد حسانين الشيمي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة الإسلامية، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

١٢٢. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: محمد علي بيضون،(ط١)، (١٤١٨هـ).

١٢٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٤)، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

١٢٤. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، (ط:١)، (١٤٠٨هـ).

١٢٥. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، (١٤٠٣هـ).

١٢٦. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي، (د.ت).

١٢٧. طبقات الشافعيين، : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

١٢٨. طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان،(ط١)، (١٩٧٠م).

١٢٩. الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة،(ط٢)، (١٤٠٨ ه)ـ.

١٣٠. طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (د.ت).

١٣١. طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضى شهبة، تحقيق: محسن غياض، مطبعة النعمان، جامعة بغداد، (د.ت).

١٣٢. العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣٣. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: د.خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، دار ابن عفان، القاهرة، (ط:١)، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١٣٤. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: أيمن نصر الأزهري - سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،(ط١)، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).

١٣٥. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن عبد الهادي، تحقيق: محمد الفقي، مكتبة المؤيد، الرياض.

١٣٦. عقيدة أهل السنة والجماعة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، توزيع المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في سلطانة، الرياض، (ط:٤)، (١٤٢٢هـ).

١٣٧. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام، دار العاصمة، الرياض، (ط:٢)، (١٤١٩هـ).

١٣٨. علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، (ط:٤)، (١٩٩٢م).

١٣٩. علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، د.بريك بن سعيد القرني، تقديم: د.عبد الله التركي، أ.د.محمد السريع، إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه، الرسائل العلمية،(ط:١)، (١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م).

١٤٠. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام (١٣٥١هـ)ج. برجستراسر.

١٤١. الفرق الكلامية نشأتها وأصولها، ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، (ط١)، (١٤٢٢هـ).

١٤٢. فصول في أصول التفسير، د.مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، (ط:١)، (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م).

١٤٣. الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل العزازي، دار ابن الجوزي، (ط:٢)، (١٤٢١هـ).

١٤٤. في مصادر التراث السياسي الإسلامي (دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل)، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (د.ط)، (١٤١٥هـ).

١٤٥. القاموس المحيط للفيروز آبادي. مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢)،(١٤٠٧هـ).

١٤٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(ط٨)، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

١٤٧. القواعد الأصولية، وكيفية استنباط الأحكام منها، د.محمد مصطفى، كلية مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد التاسع عشر، العدد الأول، يناير ٢٠١١م.
١٤٨. قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، أ.د.حسين الحربي، دار القاسم، (ط:٢)، (١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م).
١٤٩. قواعد التفسير جمعًا ودراسة، الشيخ خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، دار ابن القيم، (ط:١)، (١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م).
١٥٠. القواعد الفقهية تأليف د. يعقوب الباحسين. مكتبة الرشد، الرياض.(ط١)، (١٤١٨هـ)
١٥١. الكافية في علوم القرآن، أ.د. غبدالرحمن بن معاضة الشهري، أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود، غير مطبوع.
١٥٢. كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١)، (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م).
١٥٣. كتاب العلم، الحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف، (ط:١)، (١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م).
١٥٤. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دون تاريخ.
١٥٥. كتاب الكليات، أبو البقاء الكفوي، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٩هـ).
١٥٦. كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى عن قتادة بن دُعامة السدوسي، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، (ط:٢)، (١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٥م).
١٥٧. الكشاف عن حقائق غوامض التزيل (تفسير الزمخشري)، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت،(ط٣)، (١٤٠٧هـ).

١٥٨. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).
١٥٩. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٦٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،(ط٢)، (١٤١٩هـ).
١٦١. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط١)، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
١٦٢. اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
١٦٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقى، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ).
١٦٤. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، (ط٢)، (١٣٩٠هـ -١٩٧١م).
١٦٥. مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطّان، مكتبة المعارف، (ط:١)، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).
١٦٦. مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، لتلميذه: أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة الشؤون الفنية، (ط:١)، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).
١٦٧. مجمل اللغة، أحمد بن فارس الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت،(ط٢)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
١٦٨. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

١٦٩. المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق: د.طه العلواني، مؤسسة الرسالة، (ط:٣)، (١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م).
١٧٠. مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت،(ط٥)، (١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م).
١٧١. مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: وهبة الزحيلي، مكتبة العبيكان، (ط:٢)، (١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م).
١٧٢. المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد البعلي الدمشقي الحنبلي، حققه وقدَّم له ووضع حواشيه وفهارسه: د.محمد مظهر بقا، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، (١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م).
١٧٣. المدخل إلى مذب الإمام أحمد بن حنبل، ابن بدران الدمشقي، ت: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ومؤسسة دار العلوم، دون تاريخ.
١٧٤. مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (ط:٥)، (٢٠٠١م).
١٧٥. المستصفى، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، (ط:١)، (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م).
١٧٦. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة،(ط١)، (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).
١٧٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، دون تاريخ.

١٧٨. المطلق والمقيد، حمد بن حمدي الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ط:١)، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م).

١٧٩. معالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، (ط:١)، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

١٨٠. معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، تحقيق: د.عيد مصطفى درويش، د.عوض بن حمد الفوزي.

١٨١. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (ط١)، (د.ت).

١٨٢. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

١٨٣. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،(ط١)، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

١٨٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي،(١٤٠٦هـ).

١٨٥. معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان يوسف، من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية،(١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

١٨٦. المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، إبراهيم مصطفي، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة.

١٨٧. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:٨)، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

١٨٨. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة،(ط١)، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤هـ.)

١٨٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

١٩٠. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩١. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٢)، (١٤٠٧هـ).

١٩٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت،(ط١)، (١٤١٢هـ).

١٩٣. مقدمتان في علوم القرآن، وهما: مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية، نشرهما من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين دار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحها وطبعها: المستشرق د. آرثر جفري، مطبعة السنة المحمدية، (١٩٥٤م).

١٩٤. الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق:محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٤هـ).

١٩٥. من علماء الحرمين، الشيخ عطية محمد سالم، دار الجوهرة، المدينة المنورة، (ط:١)، (١٤٢٦هـ).

١٩٦. مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد الزرقاني، المكتبة العصرية، (ط:١)، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١٩٧. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، (ط:٥)، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

١٩٨. منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، د.عبد المجيد محمد إسماعيل السُوسوة، دار النفائس للنشر والتوزيع.

١٩٩. منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، عبد الرحمن السديس، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤١٠هـ).

٢٠٠. منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله- في الفقه وأصوله، د.عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، (ط ١)، (١٤٢٠هـ)، دار ابن حزم، بيروت.

٢٠١. المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي النملة، دار مكتبة الرشد، الرياض، (ط:١)، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٢٠٢. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تقديم: فضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، ضبط نصه وقدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، (ط:١)، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٠٣. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (ط:٢).

٢٠٤. الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس.

٢٠٥. المؤلفات في مشكل القرآن الكريم ومناهجها، د.عبد الرحمن بن سند الرحيلي، رسالة دكتوراه بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، (١٤٣٤هـ).

٢٠٦. موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، ياسر الشمالي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤٠٨هـ).

٢٠٧. موهم التعارض بين القرآن والسنة (دراسة نظرية وتطبيقية) من أول سورة الأعراف حتى نهاية سورة الحِجْر، تركي بن سليمان النشوان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، للعام (١٤٢٥ ـ ١٤٢٦هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٠٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البحاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط١)، (١٣٨ هـ - ١٩٦٣ م).

٢٠٩. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، (ط:٢)، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، (أصل الكتاب رسالة جامعية).

٢١٠. الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، (ط:١)، (١٤٠٨هـ).

٢١١. النبوات لابن تيمية تحقيق د. عبد العزيز الطويان. أضواء السلف، الرياض. (ط١)،(١٤٢٠هـ).

٢١٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بدون تاريخ.

٢١٣. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، (ط: ١)، (١٤٢٢هـ).

٢١٤. النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، د.مصطفى زيد، دار الوفاء، للطباعة والنشر، (ط:١)، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

٢١٥. نظرية التقعيد الأصولي، د.أيمن عبد الحميد البدارين، دار ابن حزم، (ط:١)، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٢١٦. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، محمد كمال الدين بن غزي، ت: محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، (١٤٠٢ه).

٢١٧. نفائس الأصول في شرح المحصول، شهاب الدين أحمد القرافي، تحقيق: عادل عبـد الموجود، و علي معوض، مكتبة نزار مصطفى البـاز، (ط:١)، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

٢١٨. النكت في إعجاز القرآن، للرماني، وهو ضمن ثلاث رسـائل في إعجـاز القـرآن للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر،(ط٣)، (د.ت).

٢١٩. نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسين بـن علـي الإسـنوي الشافعي، أبو محمد جمال الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٢٢٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمـد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت،(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

٢٢١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، عدة طبعات.



فهرس الموضوعات

